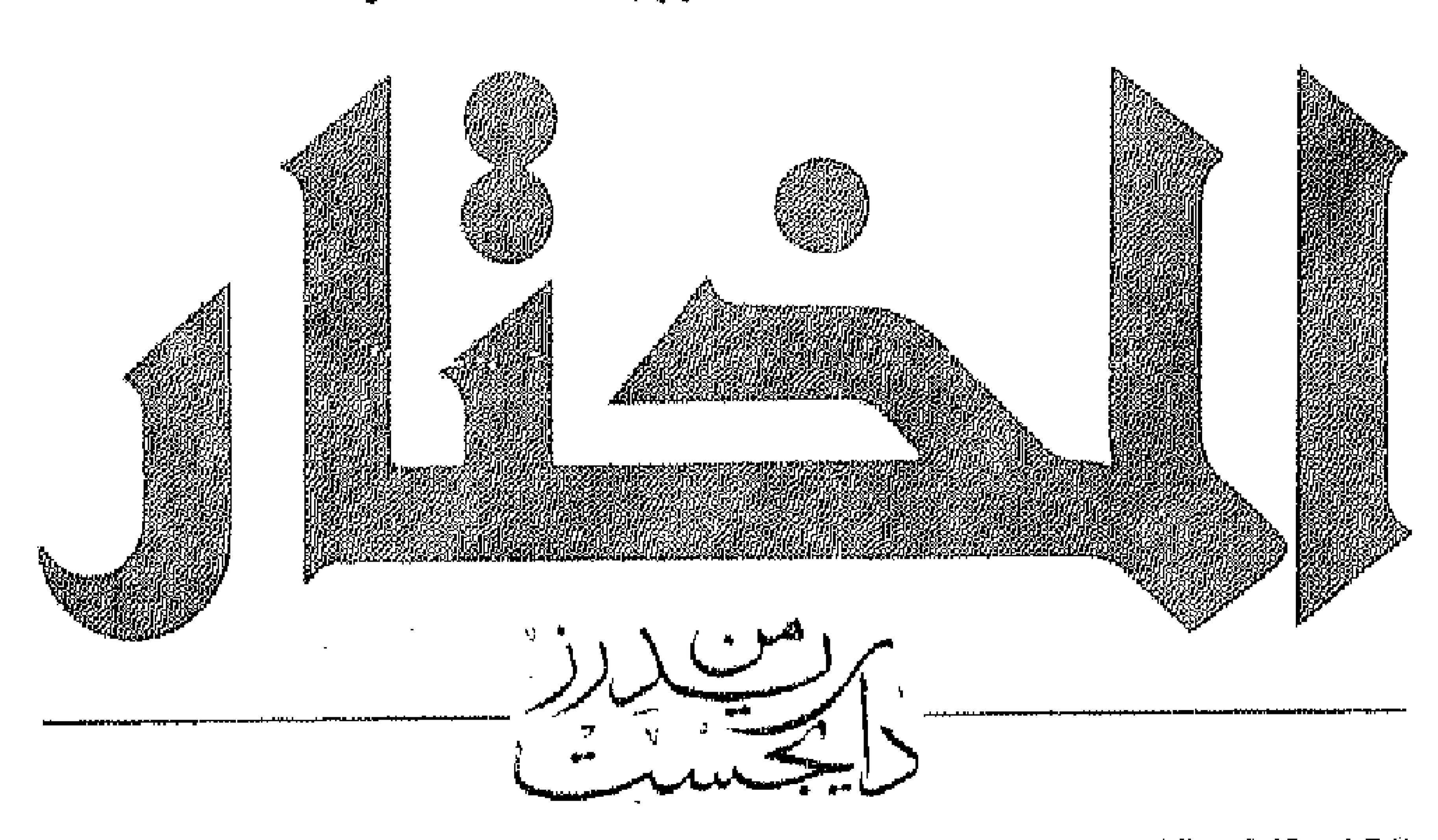
يوليو (تموز) ١٩٨٩ - ذو الحجّة ١٤٠٩



AL MUKHTAR min Reader's Digest July '89 N° 128

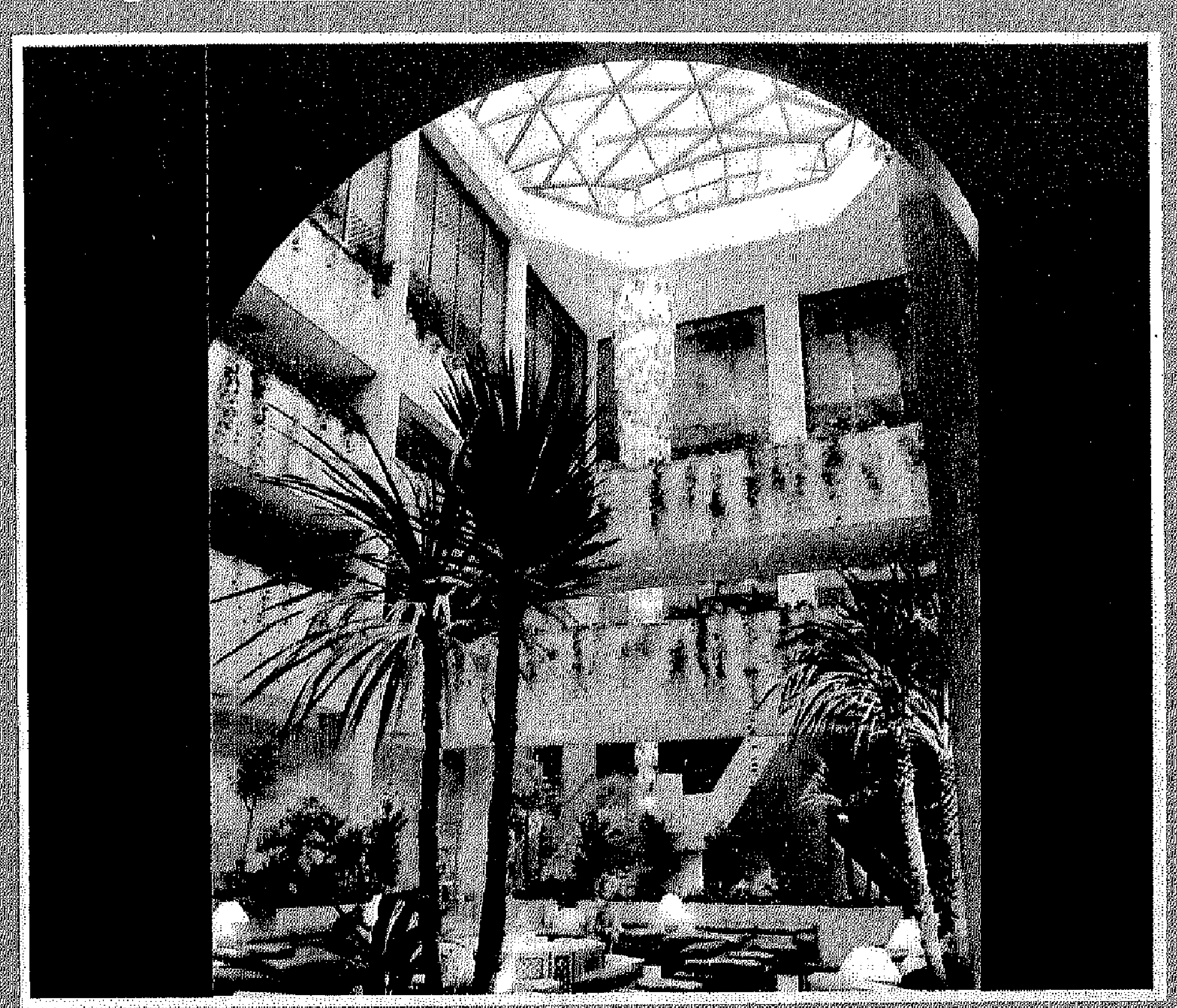
أوسع المجلات انتشارًا في العالم

لا تبالغوا في الرياضة (ص ٩٧)

طفلة خلف جدار النار! (ص ١٢)

التلفزيون لمطاردة المجرمين (ص ٢٢)

فندق الشام



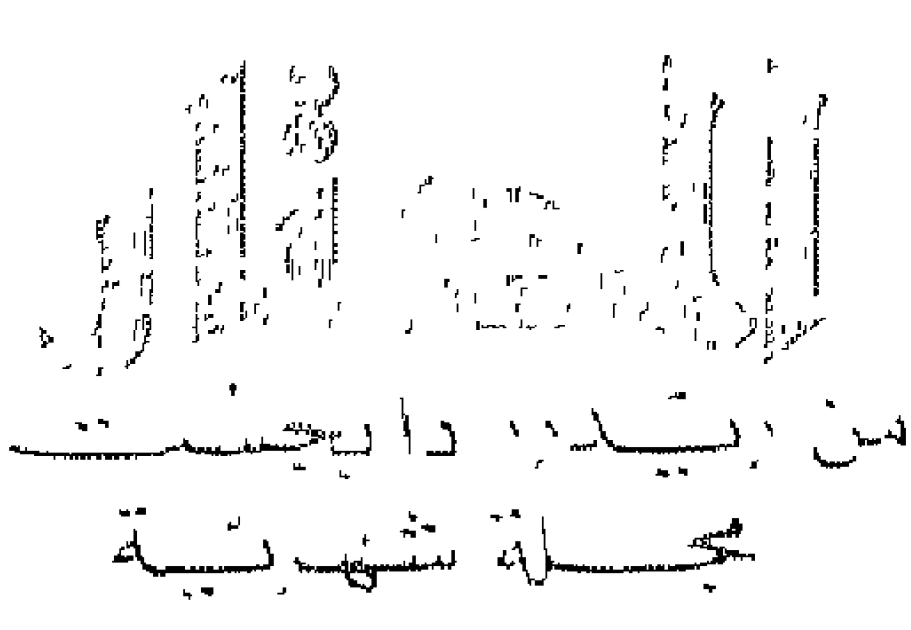
أحدث مدينة في أقدم عاصمة

فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة ، بل إنه مدينة قائمة بذاتها .. صمم على أحدث طراز في ليوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت ترتاح في غرفتك ، أو كنت منهمكاً في عملك .. فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحي وحمام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالاضافة إلى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية .. ولاننس المطعم الدوار المطل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لازلنا نفاخر بها ونحافظ عليها .

للحجز : فندق الشام ـ ص.ب ٧٥٧٠
تلكس : ٤١١٩٩٦٤
رقم الهاتف : ٢٣٢٣٠٠ (١٠٠ خط)
تلكس الزبائن : ٤١١٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام
عراقة في التقاليد





من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير – المدير المسؤول ادمون صعب.

امانة التحرير راغدة حداد. الاخراج جورج عالي. الخطوط جبران مطر.

الامتياز شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس. الناشر شركة "ابيراك" للمنشورات الدولية – بيروت

رئيس مجلس الادارة – المدير العام الدكتور لوسيان دحداح.

المدير العام المعاون داني دحداح – باز

التحرير والادارة مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي – لبنان

الهاتف ٤٩١٦٣٠ – ٤٩٢٦٧٠ التلكس MUKTAR 44615 LE

الاشتراكات فريال علاف، بناية الشرنوبي، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان.

الهاتف ٣٤٥٧٣١ – ٣٤٩٤٧٧ التلكس MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE

الصف والتنفيذ المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت

الطباعة المطبعة العربية، المدينة الصناعية – البوشرية، المتن الشمالي – لبنان

التوزيع الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.



AL MUKHTAR min Reader's Digest

© 1989 BY AN NAHAR P.I.S.A. LICENSEE OF THE READER'S DIGEST ASSN. INC

Editor-in-Chief, Edmond Saab

Managing Director Dany Dahdah-Baz.

Centre Myrna Chalouhi, Blvd Sin el-Fil, P.O Box 55228,

El-Metn, Lebanon

Tel 492670 -- 491630, Telex MUKTAR 44615 LE

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

July '89 N° 178 (New Series) Vol 11

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير كين غيلمور. مدير التحرير فرنسيس ج. شيل. المدير العام جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الاميركية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الاميركية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية

حقوق النشر محفوظة لـ"المختار من ريدرز دايجست" بموجب اتفاق خاص مع شركة "ريدرز دايجست" في نيويورك، الولايات المتحدة. يحظر النقل من "المختار" او الترجمة او الاقتباس منها في اي شكل كان جزئياً او كلياً، في العربية او في اي لغة اخرى. وهذه الحقوق محفوظة بالنسبة الى كل الدول العربية والافريقية. وقد اتخذت كل اجراءات التسجيل والحماية في العالم العربي والخارج بموجب الاتفاقات الدولية المعقودة لحماية الحقوق الفنية والادبية

عمان ٣٥٠ل – سوريه ١٥ل – الأردن ٧٠٠ف – الكويت ٧٠٠ف – الامارات العربية المتحدة ٩د – قطر ٨ر – البحرين ٨٠٠ف – السعودية ١٠ر – مصر ١٠٥ح – السودان ١ج – ليبيا ٥٠٠د – ج.ع. اليمنية ٧ر – مسقط ٨٠٠ب – العراق ٨٠٠ف – قبرص ٧٥ب – تونس ٧٠٠م – المغرب ٧د – الجزائر ٧د – فرنسا ١٠ف – انكلترا ١ج – اليونان ١٣٠د – كندا واميركا الشمالية ٢،٥د

كلمة عزاء

المرء في الضيق يحتاج الى كل سند من الاصدقاء فكيف نختار الكلام المناسب؟

□ عندما خضعت ماري لجراحة استئصال ورم صدري، أحاطت بها عائلتها. وهي تتحدث عن ذلك فتقول: "اعتنت والدتي بالاطفال، واهتمت شقيقتي بتأمين حاجات المنزل، وكان زوجي في المستشفى كل يوم. ولكن لم يعدني أحد من اصدقائي المقرّبين الذين تغيّبوا كلياً حتى بعد انتهاء الجراحة. وعندما جاؤوا أخيراً لعيادتي تحدثوا في مواضيع كثيرة باستثناء موضوع مرضي، وتصرَّفوا كما لو أن شيئاً لم يكن. فحزَّ الامر كثيراً في نفسي.



□ كانت سيلفيا في التاسعة والخمسين من عمرها عندما توفيت. وعلى رغم مرض القلب وداء السكري الحاد اللذين كانت تعاني منهما حافظت على تألّقها ونشاطها حتى يوم وفاتها. ويستعيد زوجها ذكرياته فيقول: "كنت أتأكّد من تناولها العلاج وأحاول أن أخفّف من غلوائها في العمل. لكنها كانت تحب نمطها في العيش، وغالباً ما كانت تقول إن النوعية أهمّ في نظرها من الكمية. وفي أثناء الجنازة قال لي بعضهم: كانت الحياة لا تزال تليق بسيلفيا، ومن المؤسف أنها لم تُعنَ بنفسها أكثر. وفي ذلك إلماعٌ الى أنه كان في وسعي الحيلولة دون موتها. وما زلت أذكر كيف أنني وجدت قولهم بعيداً كل البعد عن التفكير الصحيح."

عندما يصيب أمر جلل انساناً نعرفه نستجيب غالباً على نحو غير ملائم، فنجرح شعوره بقولنا تماماً ما لا يرغب في سماعه، ونختفي عندما يكون في أمس الحاجة الينا، واذا اتصلنا به تجنّبنا الموضوع الحساس برمّته. ونحن بتصرفنا هذا لا نقصد أن نكون عديمي الذوق والتفكير. فلماذا اذاً نتصرف هكذا بينما نحن حقيقة نقصد تقديم المساعدة؟

يقول الدكتور فيليب د. كاثر طبيب الامراض النفسية ومدير مركز غريتر كايب آن للصحة العقلية بولاية مساتشوستس: "بعد حدوث أمر مأسوي لشخص نحبّه، نشعر بأننا ايضاً معرضون لظروف مشابهة، فيدفعنا قلقنا الى التفوّه بتعليقات غير ملائمة".

ويستطيع معظمنا أن يستعيد مناسبة واحدة على الاقل تفوّه فيها بملاحظة حمقاء وتمنى بعد ذلك لو انه استطاع تداركها. كيف يمكننا اذاً ايجاد الكلام المناسب نقوله لشخص يمر في وضع صعب؟

لئن تكن تعوزنا هنا القواعد النهائية، ففي امكاننا دائماً تقويم الاوضاع واختيار التصرف اللبق والصادق في آن. وفي ما يأتي بعض الاقتراحات:

لا تجعل من نفسك محور الحديث. يقول كاثر: "عندما تكون برفقة انسان كابد مأساة، تذكر انك هناك لتأمين الدعم والعون له، وليكن اهتمامك مركزاً على مشاعره لا على مشاعرك الخاصة."

لا تتّخِذْ من مأساة صديق ذريعة لتسرد تجارب مماثلة مررتَ بها. ويضيف كاثر: "لا ضَيْر من قولك: "لقد مررتُ بوضع مماثل، ولذلك أعلم ما تشعر به". ولكن اياك أن تقول: "عندما توفّيتْ أمي انقطعتُ عن الاكل أسبوعاً". فمكابدة الالم تختلف من شخص الى آخر."

أصغِ. يحتاج المحزونون الى التفجُّع والمرور بالمراحل الطبيعية للحزن، والى التحدُّث عن مشاعرهم وذكرياتهم. وتقول روث روزنفيلد الاختصاصية بمعالجة الامراض النفسية في وايت بلينز بنيويورك: "كلما تحدث شخص كهذا كان ذلك شافياً. دع صديقك يقود الحديث. لا تحاول تسليته، واكتفِ بالاصغاء اليه. تقبَّلْ مشاعر صديق وكنْ متفهِّماً له."

هناك محزونون لا يظهرون ألمهم

Condensed From McCall's (November '88), © 1988 by Working Woman / McCall's Group, New York, N.Y. Photo: Whitney Lane

بالكلام، فعليك أن تحترم موقفهم كذلك. ويقول رجل خضع لعلاج كيميائي بعد اصابته بالسرطان ان أفضل المكالمات الهاتفية التي تلقّاها كانت من صديقة اعتادت الاتصال به مرة في اليوم ولم يتجاوز حديثها الدقيقة الواحدة، موحية اليه أنها تفكّر فيه من دون الاصرار على سؤاله عن آخر تطوّرات صحته.

كن صادقاً. ترى تيري فلين – ماهوني، الممرضة السويسرية في مستشفى مساتشوستس العمومي التي قدّمت النصائح لمئات مرضى الايدز، ان كثيرين يجدون صعوبة في انتقاء الكلمات الصحيحة التي يجب أن تُقال للشخص المصاب بمرض عضال. فهم يقولون كلاماً مثل: "لا عليك، فكل شيء سيكون على ما يرام"، حتى وإن لم يكن ذلك صحيحاً وكان المريض على علم بالامر.

وتضيف فلين – ماهوني: "عندما تعود انساناً في المستشفى حاول أن تكون واقعياً ولكن ايجابياً في الوقت ذاته. ومن جملة الاسئلة المناسبة يمكنك أن تطرح دائماً هذين السؤالين: كيف حالك؟ هل هناك شيء أستطيع أن أفعله لك؟ أظهر له اهتمامك بوضوح وأنك مستعد للمساعدة إذا احتاج اليك. لا تخف أن تلمسه: فتربيتة على اليد وضمة الى الصدر قد تكونان أكثر عزاء من الكلمات."

أعرض العون. قد يكون الشخص المفجوع عاطفياً مثقلا بتفاصيل الحياة اليومية، فاعرض عليه قضاء حاجاته أو انهاء مشروع باشره أو اصطحاب أولاده الى دروسهم في العزف على البيانو.

كن صبوراً. تختلف فواجع الموت من حيث شدّتها ودوامها، وغالباً ما يستمر وقعها سنوات. وتقول احدى الارامل: "بعدما توفّي زوجي ما فتىء أولادي يقولون: "لقد عرفتِ زواجاً موفقاً، لكن أبانا تركنا الآن وعليكِ أن تعيشي حياتك". كان يضيرني أن أُعامَل كما لو أنني سقطت أرضاً وجرحت ركبتي ورفضت أن أنهض. أنا لم يفتني وجوب استمراري في الحياة، وهو ما فعلته في نهاية الامر ولكن بطريقتي الخاصة، فما من أحد يستطيع أن يختصر وقت الحزن.

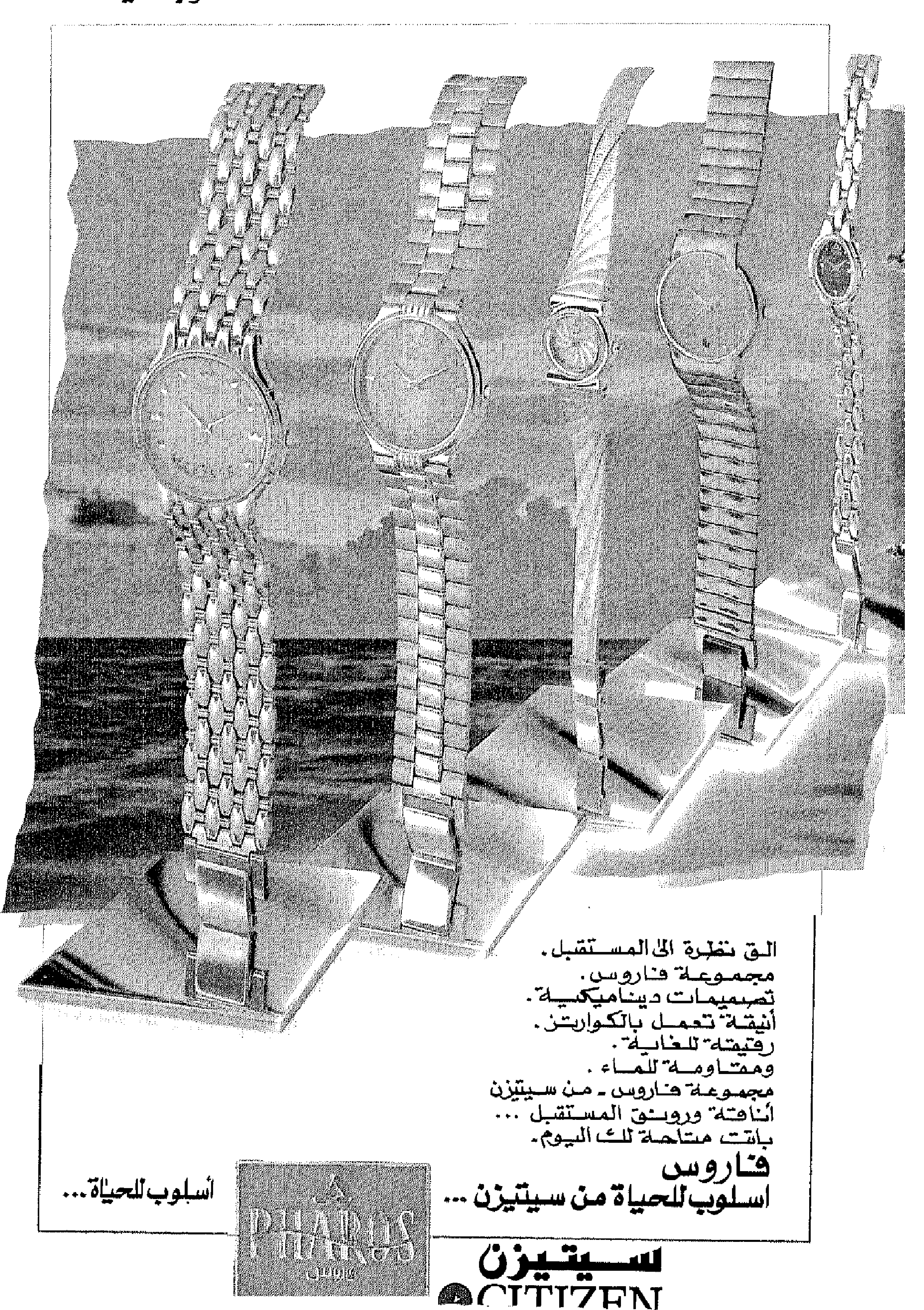
من ناحية أخرى، اذا بدا حزن الصديق عميقاً وطال أمده على نحو غير طبيعي، دعه يعرف أنك معنيّ بأمره. هذا ما تقوله آن براون الاختصاصية بمعالجة الامراض النفسية في مدينة أسبن بولاية كولورادو. وتضيف: "قد تقول له: إنّ ما تعانيه لا بد أن يكون بالغ الصعوبة، ولا أعتقد أن عليك تحملّه وحيداً، لذا أودّ مساعدتك".

حاول جميع الوسائل التي تنجح، بهذا توصي براون التي تردف: "اتصل بصديقك هاتفياً أو أرسل اليه بطاقات، وحاول دعوته الى الطعام."

لا تتوقعنَّ من أحد أن يعرف ماذا يقول أو يفعل في كل الظروف الصعبة. لكنك اذا انطلقت من التفكير الصحيح وأصول الذوق السليم، وركّزت اهتمامك على دعم الآخرين، فسرعان ما تقودك الغريزة الى حسن التصرف في كل الظروف.

■ ساندي هورفتز

أسلوب للحياة...




من ريدرز دايجست

يوليو (تموز) ١٩٨٩
ذو الحجة ١٤٠٩

السنة الحادية عشرة
(سلسلة جديدة)

مقالات مقتبسة توفر لكم متعة دائمة

هيردال
جوّابُ البحَار القديمة

القاطنون قرية كولا ميشيري في مرتفعات الالب المطلة على الرفييرا الايطالية يعرفون أن النروجي الفضي الشعر الذي يملك رأس الجبل فوقهم هو مستكشف شهير وعلّامة جاب البحار السبعة في قوارب أسماؤها "كونتيكي" و"رع" و"دجلة"، سعياً الى اخراج أسرار الحضارات البائدة الى النور. لكن أكثر ما يوقع في نفوسهم أثراً هو أن ذلك الرجل يحافظ على اخضرار رأس الجبل. وفيما أدت الحرائق المتكررة الى اتلاف معظم المرتفعات المجاورة بقي لدى "السنيور هيردال" حرج بديع من الصنور والسنديان.

وهذا، على غرار أمور اخرى في حياة تور هيردال، نتيجة تخطيط مفرط يعقبه فعل قوي. وقد قرّ رأيه، عندما فرغ من بناء بيته في تلك المنطقة قبل واحد وثلاثين عاماً، على أن أفضل وسيلة لصون الخمائل المحيطة بمسكنه الجديد هي أن يأتي بقطيع من المعزى. أخبره كل من يعرفه أنه مخبول، فالمعزى تزيل الاشجار من الجبال اذ تقضم بشراهة لحاء الشجر والأغصان.

ولما كان هيردال رجلا لا يثنيه شيء فقد دأب على الانطلاق كل مساء لشق درب بمنجله وسط الشجيرات. ثم جاء بالمعزى الى الدرب لتقتات بالشجيرات التي كانت طعاماً للحرائق. وسنة بعد سنة أصبحت شجراته اكثر قوة وخضرة، فيما سرت الحرائق في الشجيرات على السفوح الأخرى. فعمد بعض جيرانه بكتمان الى محاكاته بتربية المعزى.

هذا هو اسلوب تور هيردال الذي درج عليه. لقد نشأ في بلدة لارفيك على شط البحر جنوب أوسلو عاصمة النروج، فتى

Illustration: George Angelini



أغضى الخبراء
لسنين عن نظرياته
حول انتشار الحضارات
لكنه ناضل وأثبت صواب
رأيه مرة تلو أخرى

متحفظاً واسع المعرفة، تراوده أفكار خاصة به لا يبالي إن كان الغير يستهجنها. ساءل نفسه يوماً: أيمكن لشاب قوي أن يعيش على مهاراته في فلاة حيث لا مكتب للبريد ولا صيدلية يلجأ إليهما عند الضرورة؟ وكان جوابه نعم، اذا ما كان ذاك الشاب واسع الحيلة وعثر على رفيقة.

وقد التقى هيردال رفيقته تلك، واسمها ليف تورب، وهي فتاة تدرس الاقتصاد في جامعة أوسلو. كانت في العشرين، وهو في الثانية والعشرين. عزم على أن يقصدا جزيرة فاتو هيفا في بولينيزيا (١) وهي بقعة جبلية صغيرة جنوب المحيط الهادي تزخر بالادغال لكنها خلوّ من البشر. واستلزمه ذلك جهداً لاقناع قسم علم الحيوان في الجامعة بالأمر، لكن المسؤولين محضوه موافقتهم بشرط أن يدرس أنواع الحلزون البري الذي يعيش هناك. وتزوج الاثنان في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٣٦ وسرعان ما أبحرا على متن سفينة متجهة الى المحيط الهادىء.

نقطة التحوّل. أثناء فترة الأختبار التي استمرت عاماً في فاتو هيفا وردت على ذهن هيردال فكره ثورية ثاقبة. ذات يوم كدح وزوجته في اجتياز الجبال نحو الساحل الشرقي، وجلسا يرمقان أرتال الموج العملاق متكسرة عند الشطّ.

سألته ليف: "لم ليست هناك أمواج عارمة كهذه تتكسر بزبدها على الجانب الآخر للجزيرة؟"

كان تور يعلم الجواب، لكنه أدرك للمرة الاولى مغزاه. ان الامواج العارمة تتكسر باستمرار على الساحل الشرقي لأن الريح في ذلك الجزء من الكرة الأرضية تعصف على مدار السنة آتية من الشرق ومواكبة للتيار عبر ٦٥٠٠ كيلومتر من مياه المحيط الممتدة بلا انقطاع من الساحل الغربي لأمريكا الجنوبية الى فاتو هيفا. فكيف يتواءم ذلك مع الرأي المتعارف عليه دولياً في أن أهالي جزر المحيط الهادىء أتوا أصلا من آسيا، والريح والماء يسفعانهم من الجهة المعاكسة؟

أليس أسهل لموجة المهاجرين أن تفد رأساً من البيرو في اتجاه الغرب؟ لعل في ذلك تعليلا لنمو نباتات من أمريكا الجنوبية في جزر المحيط الهادىء، أمثال البطاطا الحلوة وجوز الهند والقطن. وفيه تعليل أيضاً للتماثيل الضخمة التي عثر عليها هيردال مدفونة وسط أدغال فاتو هيفا، وهي تماثيل ذات عيون كبيرة محدقة وشحمات آذان طويلة تماثل على نحو لافت تلك التماثيل التي خلّفتها الحضارات السابقة للانكا في جبال الانديز. كما أنها تلقي ضوءاً على القصص التي رواها له أحد شيوخ جزيرة تيكي عن الملك الجبار الذي جاء بأجداده الى هنا من أرض كبيرة عبر البحر.

في السنين العشر التي أعقبت مغادرة هيردال منطقة فاتو هيفا، وباستثناء خدمته مظلياً في "قوات النروج الحرة" خلال الحرب العالمية الثانية، أمضى كل دقيقة توافرت له في تمحيص الكتب وروايات المسافرين والدراسات العلمية

(١) بولينيزيا مجموعة أرخبيلات في المحيط الهادىء، بينها جزر هاواي.

عن جزر المحيط الهادىء. وقد بدت البيّنات التي جمعها دعماً لنظريته عن الهجرة من الساحل الامريكي، قاهرة لا ترد حين نسّقها في مئات الصفحات. ولكن ما من أحد يصدقها. واذ عرض نظريته في "نادي المستكشفين" بنيويورك قال له رئيس النادي كلايد فيشر محتداً أن ما يقوله هذر، فهنود أمريكا الجنوبية لا يمكن أن يكونوا أبحروا الى تلك الجزر اذ انهم لم يملكوا مراكب للسفر بحراً. فاجابه هيردال: "لعلهم سافروا على أطواف من خشب الفلّين."

قال فيشر بجفاء: "اذهب وابن طوفاً من فلين وحاول أن تبحر فيه عبر المحيط الهادىء."

كانت تلك نقطة التحول في حياة تور هيردال. فقد طبق كلام فيشر بحرفيته، وبنى طوفاً من جذوع شجر الفلين بمعونة حرفين محليين في البيرو. وقدّر الخبراء أن مركبه "كونتيكي" سيغرق في مدة أقصاها أسبوعان. لكن هيردال أبحر فيه عام ١٩٤٧ مع خمسة بحارة مدة مئة يوم ويوم، وعبروا سبعة آلاف كيلومتر من المحيط المفتوح من كالاو في البيرو الى راروبا وهي حيد مرجاني يبعد ٨٠٠ كيلومتر عن شرق تاهيتي.

الهجرة عبر المحيطات. أقامت رحلة "كونتيكي" البحرية الدليل على امكان إبحار الملاحين البدائيين من أهالي أمريكا الجنوبية الى بولينيزيا. غير أن هيردال لم يزعم قط أن في ذلك برهاناً على أنهم قاموا بذلك فعلا، بل كان، بحسب قول نورمان بايكر الملاح الذي شاركه في ثلاث بعثات لاحقة، "يجرّب المعدات" التي يحتمل أنها استعملت قبل قرون.

وكما أمل هيردال، لم يغرق "كونتيكي" اذ لم يكن ذا تركيب قاس محكم السدّ، فكان ماء البحر يفيض عبر الفسحات بين ألواح الخشب.

ان تمكّن ستة رجال من الحياة على هذا القارب الصغير مكافحين أسماك القرش الكبيرة وهم يجوبون البحر ضد زوابع المناطق الحارة، هو في ذاته قصة تأخذ بمجامع القلوب. وقد طبعت رواية هيردال عن تلك الرحلة البحرية عام ١٩٤٨ بعنوان "بعثة كونتيكي" وترجمت الى أكثر من ٦٠ لغة وبيعت منها ملايين النسخ. كما أن الفيلم الوثائقي الذي تم توليفه من لقطات مصورة عن القارب الغاطس المتمايل حاز جائزة "أوسكار" وذهب بلب الملايين في العالم.

ولم تكن ملحمة "كونتيكي" سوى هامش للمرجع العلمي الثقة الخالد الذي نشره هيردال عام ١٩٥٢. ففي هذا الكتاب المعنون "الهنود الحمر في المحيط الهادىء" بصفحاته الـ ٨٠٠ المزدانة باقتباسات من ألف مصدر بدا هيردال على قناعة بأنه قدم بينات ودلائل كافية لتجعل المتبحرين في العلم يبدلون آراءهم عن الهجرات عبر المحيطات.

لكن علماء الانثروبولوجيا وسواهم من الباحثين أغضوا عنه باعتباره حالماً كانت بعثته حركة بهلوانية بهدف الاشتهار ليس غير. واستشاط الخبراء غضباً من شاب لا يحمل درجة دكتوراه تجاسر على الشك في معتقداتهم الراسخة.

لم ترهب هيردال همسات حطّت من قدره، فهو من سلالة الفايكنغ (٢) الى كونه علّامة. وقد تحدى مزدريه. استغرق الامر ١٣ سنة، لكن علماء الآثار المشاركين في "المؤتمر العلمي العاشر حول المحيط الهادىء" المنعقد في هونولولو عام ١٩٦١ صوتوا بالاجماع على الاقرار بأن أمريكا الجنوبية هي أحد أهم المصادر للشعوب والثقافات في جزر المحيط الهادىء. ويقول هيردال: "كان ذاك أعظم يوم في حياتي."

"رع" و"دجلة". نبهت رحلة "كونتيكي" هيردال الى آفاق جديدة. فإن كان في وسع الأنسان القديم الإبحار من البيرو الى بولينيزيا، فربما أمكنه أيضاً أن يذهب في رحلات رائعة في بحار أخرى. وقد راع هيردال أن اكتشف رسوماً ونقوشاً في قبور مصرية تمثل أبقاراً منقولة في مراكب صنعت من قصب البردي شبيهة بمراكب لا تزال مستعملة في بحيرات بلاد البيرو.

ولاحظ، علاوة على ذلك، أن ثمة سمات مشتركة بين الحضارات المصرية والمكسيكية والامريكية الجنوبية، مثل عبادة الشمس وبناء أهرام هائلة وزراعة القطن. ولاح لهيردال احتمال مثير بأن تكون مراكب القصب جازت المحيط الأطلسي الى المكسيك وأمريكا الجنوبية وهي تقل مهاجرين حملوا معهم مهاراتهم وعاداتهم.

واذ عزم هيردال على استكشاف امكان القيام برحلة مماثلة، اعترض الخبراء كما فعلوا من قبل عندما أبدى نيته الانطلاق برحلة "كونتيكي". فمراكب القصب في نظرهم ينبغي لها الارتحال على نهر راكد، لكن الامواج ستحطمها في عرض البحر إن لم يتأكلها الماء المالح. ورأى هيردال في ذلك احتمالا وارداً، لكنه أشار الى ما ورد في المخطوطات القديمة عن رحلات بحرية بمراكب القصب.

بنى هيردال مركباً من البردي سماه "رع" على اسم رب الشمس القديم في مصر. وانطلق به عام ١٩٦٩ مبحراً من صافي في المغرب ماخراً الأطلسي، وكاد أن يبلغ جزر الهند الغربية شمال البرازيل، لكن القارب غرق بعد امتلائه بالماء اثر هبوب عاصفة. لقد أثبت هيردال وجهة نظره، لكن رجل الفايكنغ القابع داخله أصرّ على متابعة الرحلة. فرجع وأعاد تصميم قاربه مسترشداً بالرسوم الجدارية المصرية. وفي العام ١٩٧٠ أبحر القارب "رع - ٢" عبر الاطلسي ووصل الى باربادوس قاطعاً ٥٤٦٠ كيلومتراً في ٥٧ يوماً.

وفي ما بعد بنى هيردال، بمعونة عرب الاهوار الذين يعتمدون أساليب تقليدية ترقى الى آلاف السنين، سفينة من البردي في جنوب العراق بهدف اثبات أن قدامى السومريين ربما أبحروا من بيوتهم عبر نهري دجلة والفرات للمتاجرة مع حضارات قديمة أخرى في مصر ووادي الهندوس الواقع في باكستان اليوم.

انطلقت السفينة "دجلة" عام ١٩٧٧ مبحرة مسافة ٦٧٠٠ كيلومتر عبر الخليج العربي ومضيق هرمز الى باكستان.

(٢) الفايكنغ قوم من البلدان الاسكندينافية غزوا شواطىء شمال أوروبا وغربها واستقر بعضهم فيها.

وجازت بحر العرب الى مصب البحر الأحمر حيث اضطرتها النزاعات الاقليمية الى التوقف. وأقام هيردال البرهان ثانية على صحة رأيه.

تشابه الحضارات. أحد الاكتشافات الباهرة التي أسفرت عنها تلك الرحلات انتشار تقنيات حرفية مميزة في أرجاء واسعة من الكرة الارضية. ومثال ذلك البناء الحجري الذي عثر عليه هيردال أطلالا في جزر ايستر شمال شرق فاتو هيفا، والمكون من قوالب حجرية ذات أحجام وأشكال متباينة ركبت باتقان محكم بحيث يتعذر دس شفرة سكين بين الحجار. وهو صادف شبيهاً لهذا البناء في البيرو لاحقاً. وعثر هيردال على مثله ايضاً في المرفأ الفينيقي القديم "ليكسوس" في المغرب وفي البحرين وفي جزر المالديف.

لم تتوافر معلومات كثيرة من قبل عن التاريخ القديم للمالديف، غير أن هيردال خلال مكوثه هناك نبش آثاراً لشعب قديم زعم أن اسمه "ريدن". ومما صنعه الريدن، بحسب قوله، نحت تماثيل عثر عليها لملوك تتدلى شحمات آذانهم حتى أكتافهم. أيمكن للريدن أن يكونوا جزءاً من التحرك الكبير الذي انتقلت فيه جموع غفيرة عبر البحار قبل آلاف السنين؟ انه تعليل لا يقنع الجميع، لكنه سؤال يلذّ لهيردال أن يطرحه لاثارة الجدل.

احتفل المستكشف الشهير بعيد مولده الرابع والسبعين في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٨. وهو لم يفقد حيويته البدنية ولا حماسته للرحلات المتطاولة سعياً الى اكتشافات جديدة. وقد رأى في كوبا قبل عهد قريب أحافير أثرية عليها نقوش عدّها برهاناً ساطعاً على الصلات التجارية بين كوبا وأمريكا الوسطى والجنوبية قبل كولومبوس. وعرضت عليه في أذربيجان من جبال القفقاس بالاتحاد السوفييتي رسوم لسفن من القصب منقوشة على حيد مرجاني يرقى الى ما قبل بزوغ الحضارة المصرية.

وبسبب كتبه الرائجة والبرامج التلفزيونية والأفلام السينمائية الكثيرة عن بعثاته الاستكشافية، تستند شهرته الى مغامراته الطريفة أكثر مما تستند الى أستاذيته العلمية. وهو يعلم حق العلم أن الذين يتوافدون الى متحف "كونتيكي" في أوسلو يعنون بانتصاره على الريح والبحر أكثر من اكتراثهم لنظريات وضعها عن الاعراق والاجناس البشرية. لكن مصدر غبطته القصوى على مر السنين هو أن يرى الخبراء الذين هزئوا به يوماً يقرون بصواب رأيه.

لقد أمطر هيردال بالميداليات وعضويات الشرف والشهادات الفخرية. كما أن "نادي المستكشفين" في نيويورك الذي صرفه من دون أي حفاوة قبل ٤١ عاماً يفخر اليوم بأن يضمه في عداد مديريه الفخريين. يقول جون برونو الرئيس الحالي للنادي: "المستكشفون نوعان: منهم من يخوض الغمار حباً بالمغامرة، ومنهم أكاديميون راغبون في زيادة معارف الانسان. وهيردال يندرج بامتياز في عداد الفئتين."

روبرت فرنيك ■



لفح اللهب وجه المنقذ وتناهت اليه صرخات الطفلة لكن أين هي؟

لاح ريف جنوب شرق فيرجينيا غبشاً من داخل السيارة المسرعة. انه منتصف ليل العاشر من سبتمبر (أيلول) ١٩٨٦ وناتالي فيغلي (١٩ عاما) مذعورة. تفحصت حزام الامان الذي يوثق حاملة طفلتها ايفا ذات الاشهر السبعة.

وكان ديني والد ايفا جاء وصديقه جيم لأخذ ناتالي في نزهة بالسيارة. وكانت هي



تأمل أن يحسن ذلك علاقتهما المتوترة بعد الانفصال. لكن الوقود نفد من السيارة وها هي ناتالي مشدودة الاعصاب تراقب السيارة اذ تنحرف عند منعطف حاد.

فجأة علا صرير العجلات ورأت ناتالي مرتاعة أنواراً متلونة تومض وأصوات معدن ينهرس وزعيقاً.

بعد هنيهة كانت تحدق بارتباك الى السماء المضاءة بنور النجوم. صرخ ديني بها: "اخرجي، السيارة تحترق!"

أين الصغيرة؟ إد ماركس (٣٣ عاما) رئيس فرقة الحرس الجوال في متنزه نهر نورثوست في تشيسابيك بولاية فيرجينيا، يكبح فرامل شاحنة ويشغّل أنوار الطوارىء. أمامه على جسر اسمنتي

Illustration: Victoria Vebell

ضيق حطام داخن لسيارة "شيفروليه". ناتالي وديني وجيم واقفون في مكان قريب مذهولين وثيابهم ممزقة وملطخة بالدم.

قال ماركس لجاره دانييل ماهر (٣٣ عاما) الذي كان الى جانبه: "ياه، انهم محظوظون، فتلك السيارة ستنفجر."

واذ هرعا صوب مكان الحادث كانت اقماع الدخان الاسود بدأت بالاحمرار يواكبها انقداح شظايا من أسهم اللهب. علامات انزلاق السيارة امتدت من بعد ٤٥ متراً الى حاجز الامان الذي اخترقته السيارة وهشمته، وبرز جزؤها الامامي فوق نهر نورثوست.

بدت ناتالي لوهلة غير موقنة ما حدث. لحقت جيم بغريزتها عبر الشباك الجانبي المفتوح في السيارة. بغتة ادركت ما حدث فصاحت: "اين ايفا؟"

حاولت ناتالي ان تتحرك صوب السيارة، لكن جسدها الناحل برحت به الاوجاع وانتابها الغثيان. لم تر أنوار شاحنة إد ماركس ولا الرجال الراكضين ومضت تردد: "آه، طفلتي، ايفا." وفيما عاد إد ماركس الى الشاحنة الصغيرة لاستدعاء النجدة بواسطة جهازه اللاسلكي، أمسك دانييل ماهر الام الشابة من ذراعها. صرخ بها: "ينبغي ان أعرف تماماً مكان طفلتك في تلك السيارة، فليس هناك متسع من الوقت." لم تقو ناتالي المضطربة الا على الاشارة قبل ان تتداعى.

لحظات ثمينة. حين تخرج دانييل عام ١٩٧٥ في أكاديمية الخدمات التصحيحية بولاية نيويورك بدا مستعداً لمعالجة كل الازمات. ولكن بعد ثلاث سنوات تعرض لحادث اذ ألفى نفسه عالقاً داخل سيارة مشتعلة وقد بترت ساقه جزئياً فيما رجال الاطفاء يجاهدون لاطلاقه. ومنذ ذلك التاريخ وهو يخشى شيئين: الحريق والانحباس.

لكن مخاوفه تلك غلبها القَسَم الذي اطلقه بعيد انقاذه بأن يمد يد العون ما استطاع. وفعلا، منذ انتقاله الى ولاية فيرجينيا وشروعه في عمله الجديد في تأجير المعدات كافح حريقين بمفرده، منقذا بيت أحد الجيران ومخلصا امرأة من الاصابة بحروق خطرة. لكن ذلك لم يهيئه لمواجهة الورطة المرعبة التي القى نفسه فيها.

علم أن محاولة دخول السيارة عبر نافذة جانبية يستغرق وقتا طويلا. فهرع الى الزجاج الخلفي الذي لم يصب بأذى. رفع الرياضي قبضته وضرب الزجاج السميك مرة تلو أخرى، لكن ضرباته ارتدت بلا جدوى.

انقضت لحظات ثمينة، وتعذرت رؤية ما في داخل الزجاج بسبب الدخان الاسود الكثيف، وكان اللهب اللاذع ينفث قرب خزان الوقود، وسُمع صوت فرقعة معدنية. شعر دانييل بالاهتياج يسري في بدنه، فركل الزجاج بجزمته الثقيلة لكن الرفسات ارتدت. ثم سمع صرخة طفل تتردد متلاشية. وتذكر صغاره الثلاثة القابعين في أمان مع زوجته سوزان. وأسرّ في نفسه: علي أن أدلف داخل السيارة.

أخذت السيارة في النشيش وكأنها توشك أن تنفجر. خطا دانييل الى الخلف.

شاهد إد يهرع لإجلاء الضحايا عن منطقة الانفجار، فحدّث نفسه: الآن! الآن! خفض رأسه وكرّ من بعد ثلاثة أمتار مقتحما السيارة بكتفه، فحطم الزجاج الخلفي منقذفاً الى الداخل ومكسراً لوحة أجهزة القياس.

انطرح شبه مغمى عليه، منحصراً في المقعد الأمامي ورأسه على جهاز الراديو. ألسنة اللهب تنقذف عبر الدخان وتلفح وجهه. تجسدت أمامه كل كوابيس الانحباس والحريق.

تحت السلة. اضطجعت ناتالي مصابة بجرح بالغ وأسندت ظهرها الى حاجز الطريق. كانت تفكر في قسمتها. لقد توفيت أمها وجداها قبل ثلاث سنوات في مسقط رأسها فرنسا. وبعد وصولها الى الولايات المتحدة نُقل أبوها الامريكي الى مركز عمل خارج البلاد، وأبقيت هي في رعاية عائلة صديقة. وما لبثت أن التقت ديني بعد عام.

وسرعان ما ولدت ايفا. وعلى رغم علاقتها التعسة مع ديني الا أن الطفلة الجعدة الشعر منحتها غبطة لم تحلم بها. وكان دأبها أن تحمل ايفا صباح كل يوم وتسير مسافة كيلومتر الى حضانة للاطفال، ثم تمشي كيلومترا آخر للعمل في مطعم. لقد شعرت للمرة الاولى في حياتها أن ثمة حافزا يدفعها الى غاية نبيلة هي تربية طفلتها.

حرك دانييل يديه في الظلام وهو يجس المقعد الامامي وأرض السيارة والشباك الامامي المحطم. بدت صرخات الطفلة



ايفا فيفلي مع دانييل ماهر.

مدفونة في بقعة قاتمة تحوق بها لفحات مخيفة من النار. "أين أنتِ؟" بدأ يفتش في المقعد الخلفي وهو يكاد يختنق.

لامس شيئا مألوفا. إنها حاملة أطفال مدلاة من وسط المقعد الخلفي، لكنها خاوية وقد أخذت جوانبها البلاستيكية تلين. تلوّى الى الخلف جزعا منقبا بين العلب والملابس على غير هدى. الوقت ينفد... الوقت ينفد...

السائل المنساب من أنابيب المشعاع يقطر على رأسه وظهره. جدار النار لا يفصله عنه سوى ٣٠ سنتيمترا. ثم سمع بكاء ضعيفا متقطعا. نبش المكان موغلا وأحس باللحم الطري لذراع صغيرة تحت سلة غسيل.

اختطف الصغيرة بذراع واحدة ثم تدحرج زاحفا الى الزجاج الخلفي. وسمع وسط صرخات الطفلة هديرا. العجلات تنفجر وألسنة اللهب تقترب من خزان الوقود. ثم رأى وجه إد القلق وذراعيه الممدودتين. فدفع بالطفلة عبر الغبش المحمر.

صرخ إد ممسكا بالطفلة: "أخرج يا داني، ستنفجر السيارة!"

الانفجار. وسط أصوات الزجاج المتكسر والنار المفرقعة وصراخ الرجال شعرت ناتالي بأنها تدنو من الموت. فجأة ارتعدت الارض بانفجارين كبيرين وأضاءت السماء بوهج قوي. لا، لا! وبأعجوبة شعرت بذراعي ايفا اللدنتين الرطبتين تطوقان عنقها، وسمعت الصرخة المقرقرة التي تطلقها طفلتها عند اضطرابها. قال إد: "انها بخير."

انهمرت دموع الفرح على وجنتي ناتالي وهي تمطر ايفا بالقبلات. واذ رفعت نظرها لمحت رجلا فارعا يدنو وعلى شفتيه ابتسامة عريضة. قال: "أنا دانييل، انها طفلة جميلة."

وفي انتظار وصول فرق الاسعاف حمل دانييل الطفلة برفق ومشى بها وهو يعرج.

وقع الانفجار الاول بعد أقل من ٣٠ ثانية من تسليم دانييل الطفلة الى إد. أما الآن فإن النار تستعر ولا سبيل الى السيطرة عليها، واللهب يتراقص على ارتفاع ٣٠ مترا.

أرسلت ناتالي على عجل الى مستشفى مجاور حيث باشرت علاجا للصدمة والكسور المتعددة في عظم الحوض والجروح الداخلية. وعولج ديني وصديقه من تمزقات ورضوض. وكانت ايفا الناجية الوحيدة التي لم تصب بأذى.

مزرعة دانييل ماهر تبعد ٣٠ كيلومترا عن فرجينيا بيتش حيث سكنى ناتالي وعملها. وحين أخذت ايفا لزيارة دانييل عام ١٩٨٨ طوّح هذا الطفلة الدارجة بذراعيه وخطا سريعا الى ساحة المتبن حيث الجواد والاوز والبط والدجاج وخاطب حيواناته: "هيا يا رفاق، رحبوا بايفا." وتعالت ضحكة الصغيرة لدى سماعها استجابة الحيوانات بأصوات متنافرة. ثم أخذها دانييل الى ارجوحة المطاط المدلاة من شجرة جوز سامقة.

زقزقت ايفا: "آه يا داني، يا داني!" "جاذبة" شعره وأذنيه وفي عينيها الزرقاوين حب من نوع خاص. ترى أيهما اكثر سعادة، داني أم ايفا؟

شلدون كيلي ■

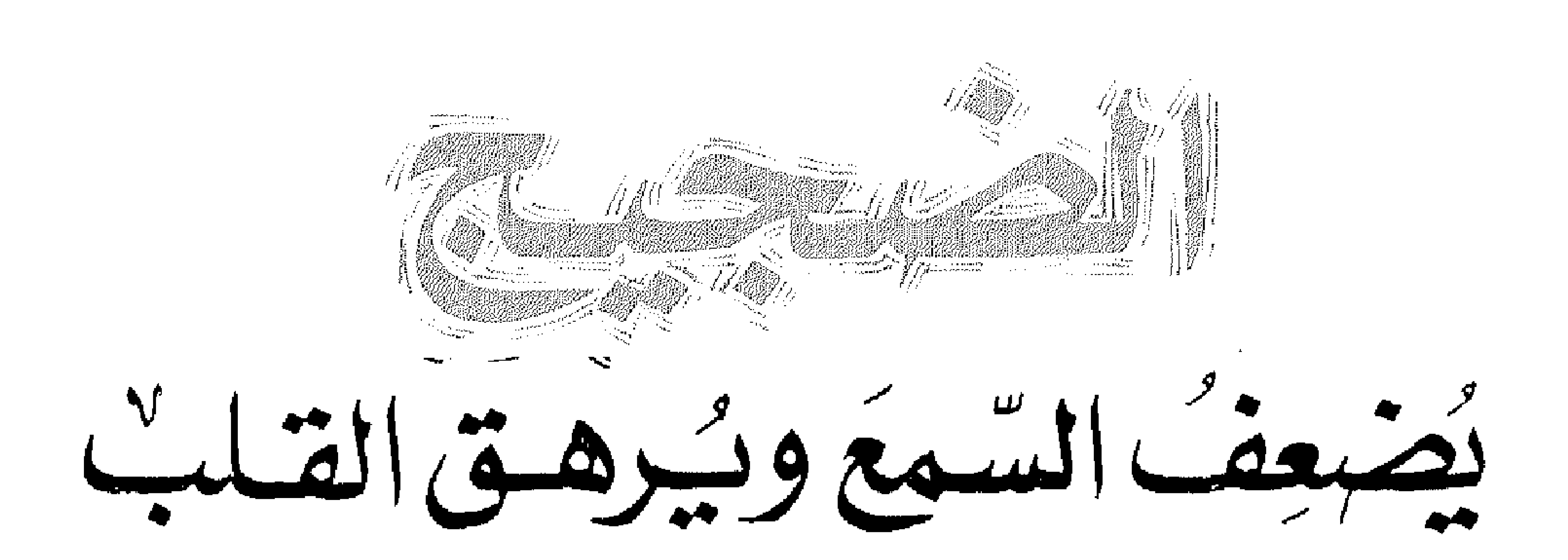


النساء يعمّرن أطول

بعدما قرأ والدي في الجريدة تحقيقاً يبين أن النساء يعمّرن أطول من الرجال قال: "أعجب لماذا يذهب الرجل أولا؟"

فردت أمي: "لا بد من أن يبقى أحد لالتقاط ثيابه عن الارض!"

ك. ر.



الضجيج يُضعِفُ السّمعَ ويُرهِقُ القلبْ

تعلو هتافات جمهور المشاهدين مدوّية حين ينزل الفريق الى الملعب. ان بعضهم في ذلك النهار سيلحقهم ضرر يلازمهم مدى الحياة. ومن المدهش أن يكون أعضاء الفرقة الموسيقية هم الاكثر تعرضاً للخطر، فهم تمرنوا قبل بدء اللعب في غرفة صغيرة جداً بحيث جلس عازف المزمار ورأسه يكاد يكون داخل فم البوق. يليهم في خطر التعرض للضرر الانصار الذين يهتفون ويصرخون ويحدثون أصواتاً مفرقعة بآلات مبتكرة، في مدرّج يتجاوز صخبه هدير الطائرات النفاثة لدى اقلاعها.

وسيغادر كثيرون الملعب وفي رأسهم طنين وألم في الاذنين. قد تفوتهم ملاحظة ذلك طوال سنوات، لكن اصابتهم قد تتلف قدرتهم على سماع درجات خفيفة من الصوت.

Illustration: Javier Romero

اثارة الاعصاب. يدخل الصوت آذاننا في شكل تموجات طاقة ميكانيكية قوية. ويعيش العلماء قوة الصوت، بوحدة "ديسيبل"، وكل تضاعف طاقة يعادل عشرة ديسيبل. فالتحادث العادي يقاس بنحو ٦٠ ديسيبل، وصراخ الطفل يصل الى نحو ٩٠ ديسيبل. وبموجب هذا المقياس اللوغارتمي قد يكون الصراخ أقوى ألف ضعف.

أعلنت مديرية السلامة المهنية في الولايات المتحدة أن ملايين الناس يتعرضون يومياً في أعمالهم لـ٩٠ ديسيبل، وهذا هو الحد الاقصى للسلامة خلال ٨ ساعات عملا. ويقول وليم كلارك من معهد الصم في جامعة واشنطن في سانت لويس بولاية ميسوري: "ان هذا القياس ليس مثالياً لكون الصوت يؤثر على نحو متفاوت في الافراد. فنظرياً، يجب أن يصون هذا المقياس قوة السمع لدى ٩٠ في المئة من العمال، لكنه يفترض أن أذني العامل تتمتعان بفترة هدوء لمدة ١٦ ساعة كافية للشفاء. وهذا أمر قليل الاحتمال في ما خص معظم الناس."

الصوت يحدث اهتزازاً في ألوف الشعيرات الصغيرة في الاذن الداخلية. وتحفز الاهتزازات دفعات عصبية الى الدماغ تترجم صوتاً كما تعيه حواسنا. والتعرض الطويل لقوة ٨٥ ديسيبل أو اكثر، أو التعرض القصير لمستويات شديدة القوة - كموجات صدامية بقوة ١٤٠ ديسيبل من طلقات بندقية - قد يتلف نهائياً بعضاً من هذه الشعيرات الدقيقة الحساسية في الاذن الداخلية.

ويستعين الرئيس الامريكي السابق رونالد ريغن بسماعة بسبب تلف دائم اصابه في أيام عهده بالتمثيل السينمائي حين أطلق مسدس من عيار ٠،٣٨ مليمتر رصاصات فارغة بالقرب من أذنه اليمنى. ويتوقع الاختصاصيون بالسمع أنه في العام ٢٠٠٠ سيكون عدد الذين يستخدمون أدوات السمع مساوياً لعدد أولئك الذين يضعون عدسات لاصقة في عيونهم حالياً.

يعتقد كثيرون أن ضعف السمع هو ظاهرة لا بد منها في الشيخوخة. لكن الدراسات تظهر أن أولئك الذين يسكنون في بيئات هادئة معرضون لفقدان القليل جداً من قوة سمعهم في شيخوختهم.

وفي البلدان الصناعية حيث تسود الضجة القوية يصاب حتى الشباب بتلف في السمع. وقد اجرى ديفيد ليبسكومب، وهو استاذ سابق في علم السمع في جامعة تنيسي، فحصاً لأكثر من ألف طالب جامعي في السنة الاولى، ووجد أن ستة من كل عشرة يشكون من انخفاض في قوة السمع كالذي يلازم المتقدمين في العمر. وموسيقى الروك هي أحد الاسباب التي تضعف السمع، فالصوت في قاعة موسيقى الروك يفوق مستوى ١٢٠ ديسيبل الذي يكاد يقارب قوة صفارة انذار. والآلات العالية التقنية، مثل الستيريوهات المجسّمة النقالة، تشكل تهديداً خطيراً للسمع.

إشارات خطر. مهما يكن الأمر فان الذين يعيشون في بيئة ضاجّة يخاطرون بأكثر من آذانهم.

فقد أظهرت الدراسات انهم قد يعانون ارتفاعاً في مستويات الكولستيرول واصابات بقرحات المعدة والامعاء وارتفاعاً في ضغط الدم وحالات شاذة في نبض القلب اكثر من الذين يعيشون ويعملون في بيئات هادئة.

ان الضجة القوية تحفز الجسم على الاستجابة "بالمقاومة أو بالفرار" ويعني ذلك ارتفاع مستوى الادرينالين يليه ارتفاع ضغط الدم واتساع بؤبؤي العين وتقلص العضلات.

والضجة كانت لأسلافنا دليل خطر غالباً، وهذه الاستجابات ساعدتهم في التغلب على مصاعبهم الطارئة. أما اليوم، اذ تُحرك الضجة التي لا تهدأ ردود الفعل ساعة بعد ساعة، فانها تسبب صعوبة في التنفس وتعباً وارهاقاً وأرقاً وما يتبع كل هذه من ضرر للصحة.

وقد تبين حين عرّضت قرود لضجة متواصلة، أن ضغط دمها ارتفع بمعدل ٣٣ في المئة واستمر على هذا المستوى وقتاً طويلا بعدما خمدت الضجة.

والضجة المصحوبة ببعض المواد الشائعة الاستخدام قد تزيد تلف السمع. فعلى سبيل المثال، ان تناول ١٢ حبة أسبيرين يومياً، وهي كمية قليلة يأخذها كثيرون لتخفيف الم التهاب المفاصل، قد تسبب طنين الاذنين في بيئة شديدة الضجة. حتى ثماني حبات يوميا قد تعظّم الضرر الذي تسببه الضجة القوية. والتعاطي المزمن للاسبيرين قد يؤدي الى تلف دائم في السمع (١) فاذا أصابك طنين في الاذن أثناء تناولك الاسبيرين فعليك أن تستشير طبيبك حول امكان خفض الكمية أو ابدال الاسبيرين بمسكّن آخر للألم.

ان الذين يتعاطون الكحول وسط الضجة قد يصابون بضرر في السمع مدى الحياة. ففي عمق كل أذن تحدث الاصوات العالية ارتكاساً سمعياً شبيهاً باغماض العينين نصفياً حين التحديق. فالعضلات تنكمش بهدف خفض انتقال قوة الصوت عبر العظام الصغيرة في الاذن الوسطى بما يصل الى ٢٠ ديسيبل.

مضادات الضجيج. من حسن حظنا أننا لا نعتمد فقط على قدرة الاذنين لوقاية سمعنا. فالعلم والتكنولوجيا هما في طريقهما الى ربح المعركة في صراعهما ضد التلوث الضجيجي. فسيارات اليوم اكثر هدوءاً من أي وقت سابق. وقد خفضت أصوات الطائرات التجارية بنسبة ٥٠ الى ٧٥ في المئة عما كانت في الستينات وأوائل السبعينات، بعدما بينت الابحاث ارتفاعاً غير عادي في ضغط الدم لدى سكان المناطق القريبة من المطارات.

وبرزت طريقة تكنولوجية أخرى تدعى "مضاد الضجيج" (٢). فقد عرف العلماء منذ عشرات السنين أن في الامكان الغاء الصوت اذا صُدمت موجاته بموجات مقابلة مماثلة لها (٣). فعندما تتصادم الموجات تُحدث منطقة صغيرة من السكون.

انما مشكلة هذه المعالجة كانت في معرفة تطبيق هذه النظرية. اذ كيف نميز

(١) الكمية القليلة التي تساعد في منع النوبات القلبية لا تسبب مشكلة.
(٢) Anti - noise
(٣) Mirror - image sound waves

صوتاً ونحلل نمط موجاته ونبثّ للحال صورة مماثلة لكنها مقابلة؟ وفي الثمانينات تسنّى تطوير رقائق للدماغ الالكتروني تفي سرعتها بتأدية هذا العمل.

ويتوافر في السوق حالياً أول جيل من مضادات الضجيج التكنولوجية. فهناك شركة في كولومبيا بولاية ماريلاند تبيع سماعات رأس تخفض صوت المروحية في أذني الطيار ٣٠ ديسيبل. وقد تقدمت بطلب لتسجيل براءة اختراع كاتم مضاد للضجيج في السيارة.

في العام ١٩٨٦ عندما طار الامريكيان ديك روتان وجينا ييغر حول العالم من دون توقف في الطائرة "فويجر"، عمدا الى وقاية أذنيهما بسماعات رأس مضادة للضجيج من صنع شركة للادوات الالكترونية في مساتشوستس. وفي ويسكونسن شركة تسوّق أجهزة لالغاء الهدير في مجاري الهواء والمداخن في المصانع. وتطوّر تكنولوجيا مضادات الضجيج العسكرية للاستخدام في أجهزة السونار ولجعل الغواصات أكثر هدوءاً.

وللتكنولوجيا الجديدة فوائد: فعمال المصانع يترددون في استخدام سدادات الاذنين خشية عدم سماع أصوات تحذير من زملائهم. أما الادوات المضادة للضجيج فيمكن ضبطها لالغاء صوت معيّن فقط، مثل الغاء ٩٩ في المئة من صوت محرك ديزل، مع السماح لشخصين بالتحادث على بعد بضعة أمتار بصوت طبيعي.

خطوط دفاع. ستصبح تكنولوجيا مضادات الضجيج في بداية القرن المقبل أمراً مألوفاً يحذف كثيراً من الضجيج المتكرر ذي التواتر البطيء. والى ذلك الوقت هناك خطوات عملية يمكنكم استخدامها لجعل عالمكم أكثر سكينة:

١ . اجعلوا منازلكم عازلة للصوت. الصفحات القاسية، كأرضيات البلاط والجدران العارية والمرايا، تعكس الصوت وتضخمه. استخدموا الستائر والسجاد والاثاث الضخم لامتصاص الصوت. وتركيز الغسّالات والخلاطات والخفاقات وسواها من الادوات الكهربائية التي تصدر أصواتاً عالية على حصر من المطاط يساعد في خفض الضجة والصخب. زينوا الارض حول منزلكم باشجار وارفة وشجيرات تعلو حتى النوافذ فتمتص الاصوات الخارجية، وأحكموا سد الشقوق حول النوافذ والابواب لمنع نفاذها الى الداخل.

٢ . عند سماعكم صوتاً عالياً مفاجئاً لا تخجلوا من وضع أصابعكم على آذانكم. ولدى استخدام معدات كالمنشار الكهربائي أو المكنسة الكهربائية استعملوا سدادات للاذنين أو سماعات رأس مانعة للصوت. ان حشوات القطن لا توفر سوى قليل من الوقاية للاذنين، ولكن يمكن شراء اسطوانات اسفنج - بلاستيك رخيصة تنتفخ فتملأ قناة الاذن وتؤمن حماية أقلّها خفض ٣٠ ديسيبل.

٣ . أدعوا الى التزام السكون والهدوء لأن التخلص من الضجة الشديدة هو حق مدني اجتماعي. وقد يبدو تسجيل محضر مخالفة في حق بائع الجيلاتي في احدى

بلدات بنسلفانيا لمناداته بأصوات عالية في ناقلته، وتغريم الموسيقيين العازفين في شوارع سان فرنسيسكو، ضرباً من المغالاة. لكن سلطات معظم المدن الكبرى في الولايات المتحدة حضّرت مشاريع قوانين ضد الضجيج، وسيتم تطبيقها اذا نادى الشعب بذلك. وللحكومة الامريكية ما يدفعها الى ذلك، اذ انه خلال السنين العشر المنصرمة ناهزت طلبات تعويض العمال والعسكريين من جراء تلف في السمع أثناء الوظيفة ملياري دولار.

أفسحوا في المجال للهدوء. واجعلوا لكم ملجأ يقيكم صخب العالم حيث يدرك الآخرون انكم لا ترغبون في أي ضجة. وعيّنوا وقتاً منتظماً تتمتعون فيه بواحة من الهدوء، وستكتشفون عاجلا أن أصوات السكون ذهبية حقاً.

لويل بونتي■



المشكلة في...

المشكلة في دقة المواعيد هي أنك تصل فلا تجد من يقدر لك دقتك.

المشكلة في تربية الاولاد هي أن قدمك تظل على الكابح حتى بعد توليهم عجلة القيادة.

المشكلة مع الجهل هي أنه يكتسب ثقة كلما تقدم.

المشكلة مع الصراط المستقيم هي أنه يمر في أرض قفر.

المشكلة مع الخبرة أنها تعلمك أموراً لم تكن ترغب حقاً في معرفتها.

المشكلة في أن تكون قدوة لأولادك هي اضطرارك الى انتزاع كل المرح من منتصف عمرك.

المشكلة في تقديمك اقتراحات ذكية هي أنك عرضة لأن تُنتدب لتنفيذها.

صحيفة "نيوز تايمس"

الحب سر الشعر

الطبيعة، كالشاعر العظيم، تحدث أروع النتائج بأصغر الوسائل. فالطبيعة لا تحوي غير الشمس والاشجار والازهار والماء والحب. ولكن من فرغ قلبه من الحب لا تعني له هذه الاشياء أي قيمة شعرية. فالشمس بالنسبة اليه جرم سماوي يبلغ قطره عددا من الكيلومترات، والاشجار صالحة للاحتطاب والتدفئة، والازهار تقسم فصائل وأنواعا، والماء رطب.

هـ. هـ.

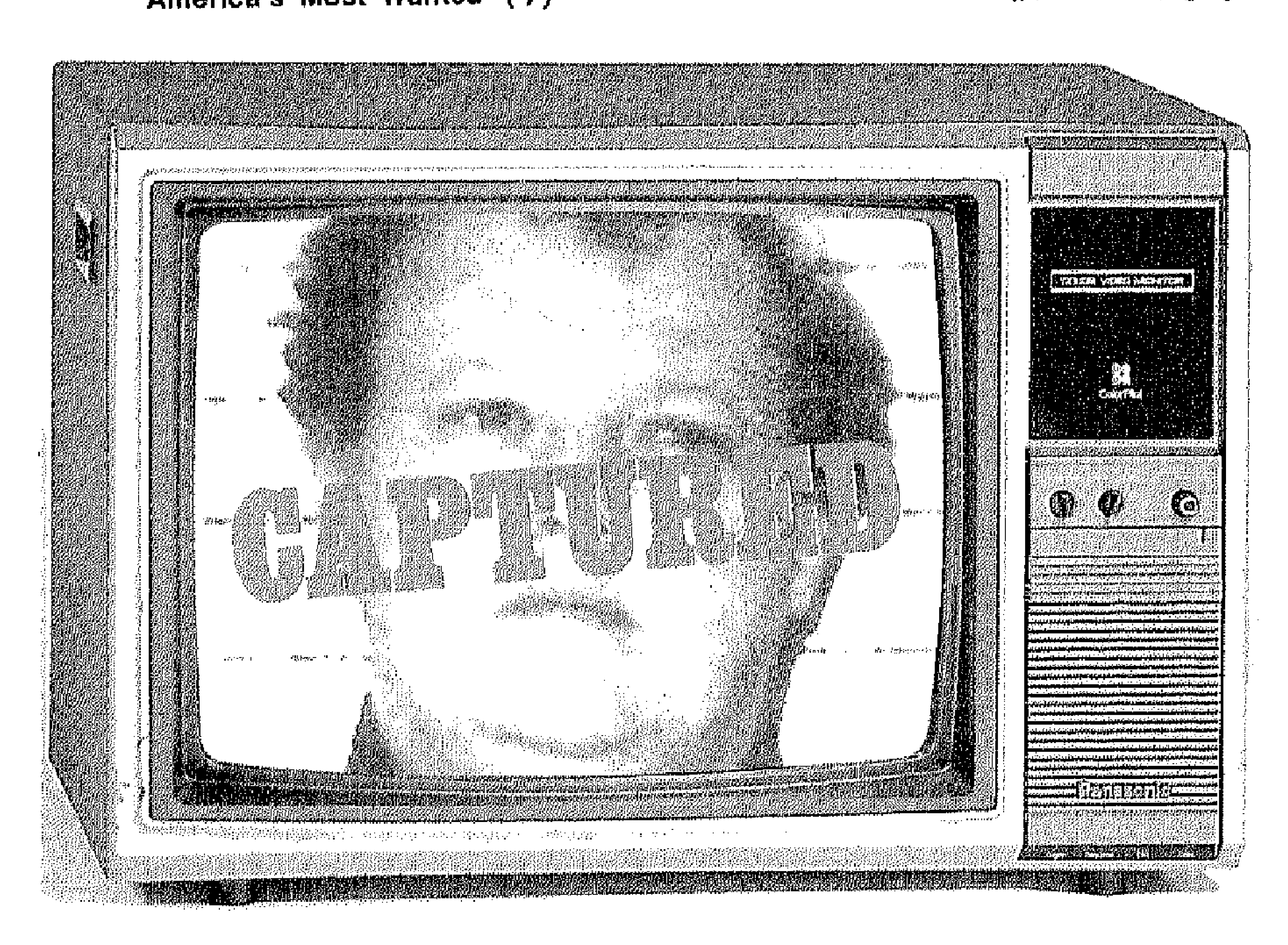
مطاردة المجرمين بـ... التلفزيون

كان مارك غودمان (٢٧ عاما) يمضي آخر أيامه في سجن بالم بيتش في فلوريدا تنفيذاً لحكم قضى بحبسه مدة قصيرة لاشتراكه في جريمة سطو.

مساء ١٥ مايو (أيار) ١٩٨٨ جلس وزملاءه أمام جهاز التلفزيون في السجن لمشاهدة برنامج "أخطر المطلوبين في أمريكا" (١) وهو أحد أكثر البرامج التلفزيونية شعبية.

فجأة شاهد غودمان وجهه على الشاشة. فهو كان أحد المطلوبين في ولاية "أوكلاهوما بعد فراره من السجن الاتحادي حيث احتجز في انتظار محاكمته بتهمة سطو مسلح على مصرف. وها هو التلفزيون يعرض وقائع تلك الجريمة وذلك الفرار. حاول غودمان أن يغير القناة، لكن السجناء الآخرين تعرفوا

(١) America's Most Wanted



برنامج تلفزيوني ناجح أدى عرضه الى القبض على عشرات المجرمين الفارين

Condensed from New York Times Magazine (September 25, '88)
© 1988 by The New York Times Co., New York, N.Y.

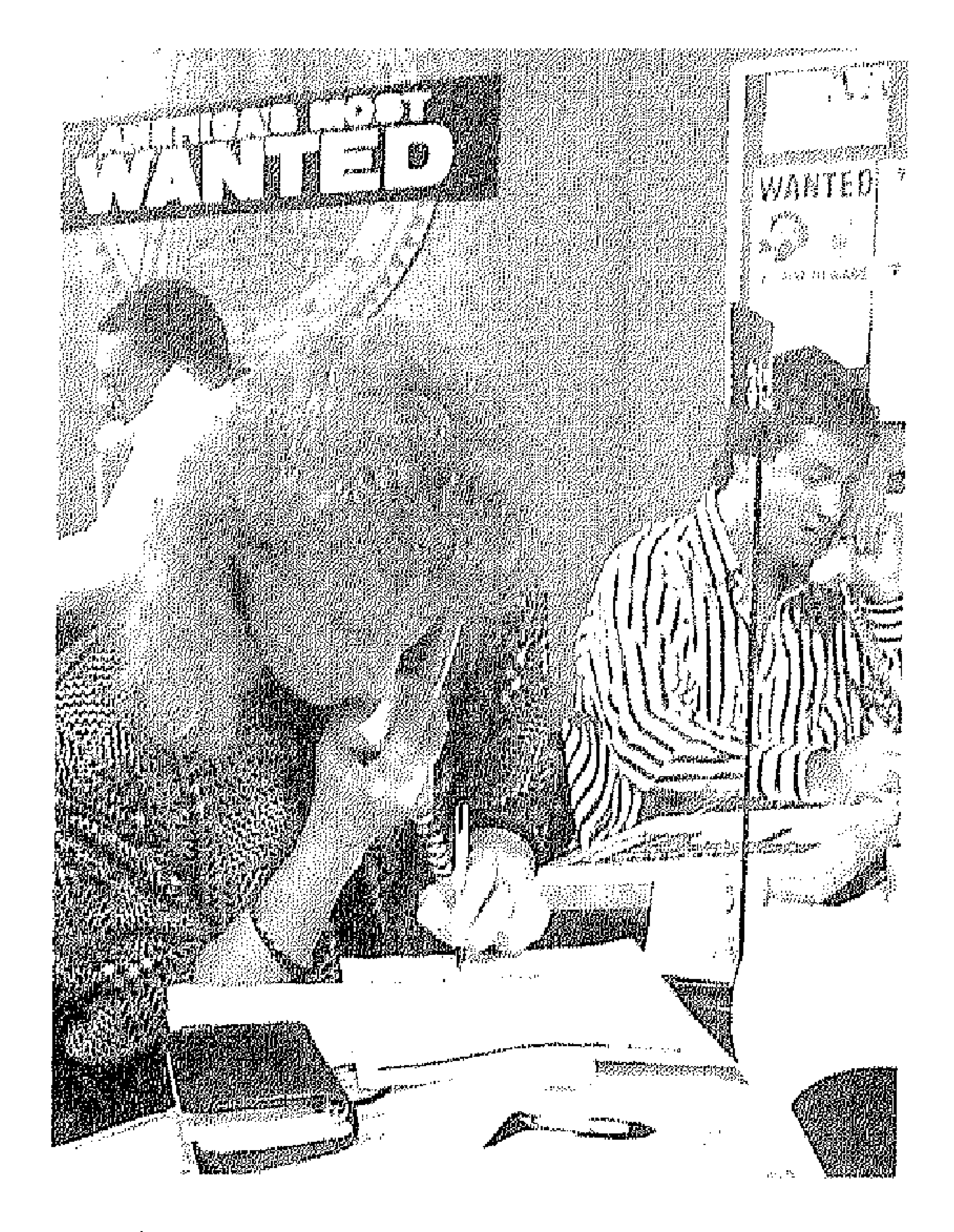
اليه وأخبروا الحراس، فنقله هؤلاء الى جناح آخر حيث الحراسة أكثر تشدداً.

مارك غودمان واحد من ٣٥ مجرماً تم القبض عليهم بناء على معلومات مفيدة تلقتها السلطات من مشاهدي البرنامج التلفزيوني "أخطر المطلوبين في أمريكا" الذي يقدّم عرضاً مسرحياً لأحداث الجرائم التي اقترفوها أو تلك المنسوبة اليهم.

في البدء كان هذا البرنامج، الذي تنتجه شركة "فوكس" في استوديو لها في واشنطن، يبث عبر المحطات السبع التي تملكها الشركة. أما الآن، نظراً الى شعبيته المتزايدة، فهو بات يبث عبر ١٢٥ محطة في أنحاء الولايات المتحدة.

أول فار قبض عليه هكذا كان جايمس روبرتس (٤٤ عاماً) الذي ظهرت صورته في العرض الاول للبرنامج. وكان روبرتس فرّ في العام ١٩٨٦ من سجن في ولاية انديانا حيث كان ينفذ ستة أحكام بالسجن المؤبد بعد تنفيذه سلسلة جرائم قتل طاولت خمسة أشخاص بينهم طفلان. ولقد قبض عليه بعد أربعة أيام من عرض البرنامج، وذلك بفضل أربعة عمال كانوا يعملون معه في مأوى للمشردين في جزيرة ستاتون بنيويورك وهم تعرّفوا اليه بعد مشاهدة البرنامج.

خطوط "ساخنة". في كل حلقة من البرنامج عرض لجريمتين أو ثلاث. وغالباً ما يساهم الضحايا الحقيقيون في التمثيل الى جانب ممثلين محترفين. وتتضمن بعض المقاطع مقابلات مع شهود ورجال شرطة وصوراً للمجرم الفار



وأوصافه وخصائصه النفسية المميزّة. وعلى أثر العرض تنهال على الاستوديو مئات الاتصالات من أنحاء البلاد يجريها مشاهدون عبر خطوط هاتفية مجانية للطوارىء. وهناك ٤٢ موظفاً يتلقون المكالمات ويحولون المهم منها الى رجال الشرطة والتحري المعنيين بالقضايا المعروضة والمرابطين في الاستوديو ذلك المساء.

في شهر ابريل (نيسان) ١٩٨٨ اقتحم ٣٠ شرطياً الطبقة السفلى في مبنى في بروكلين بنيويورك. وبعد عراك وجيز اعتقلوا كارل دنستروم (٣٨ عاماً) المطلوب في ولايتي ميريلاند ونيويورك لتورطه في جريمة قتل متصلة بالمخدرات ذهب ضحيتها خمسة أشخاص، وفي قضية اطلاق نار.

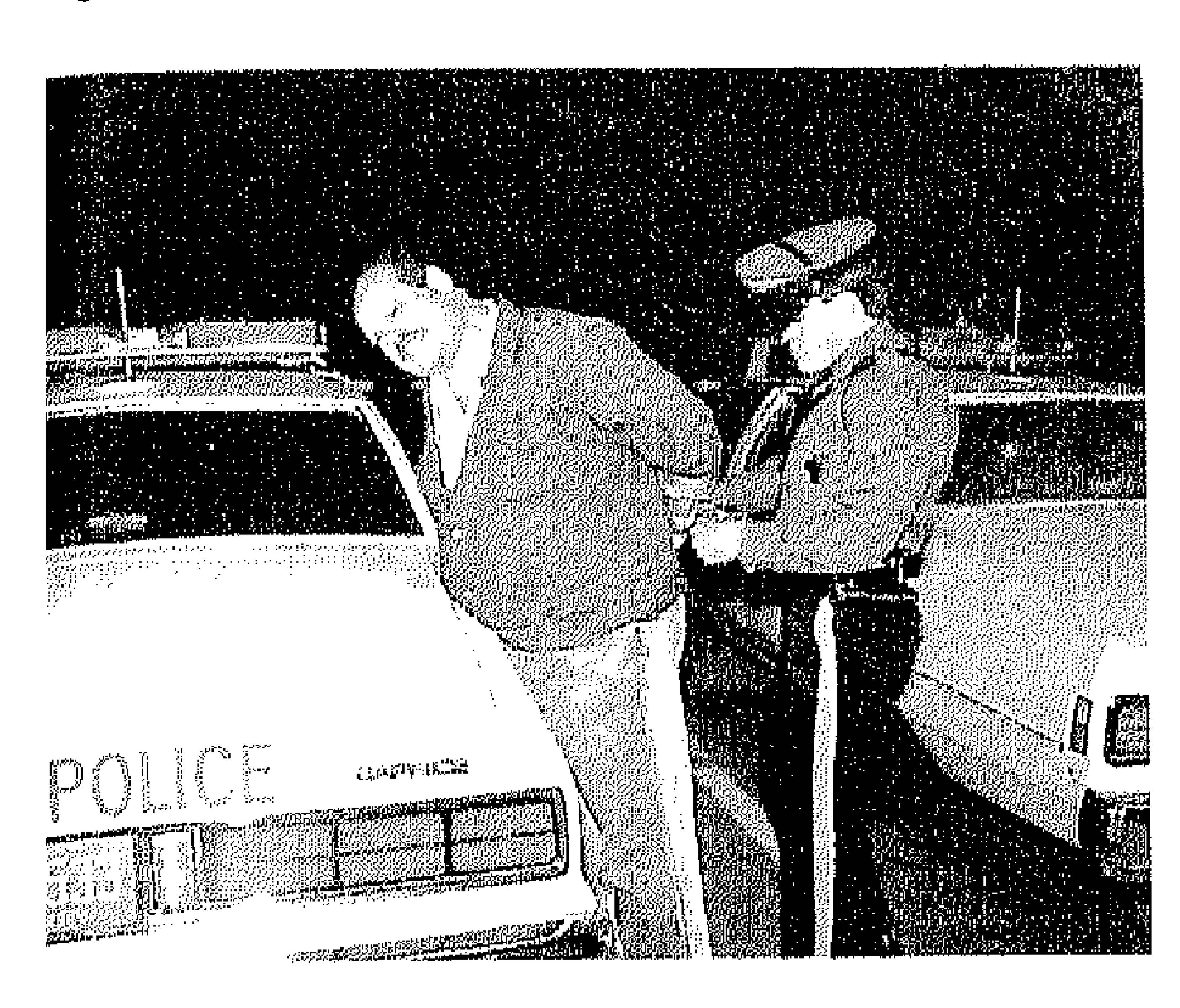
وكان التلفزيون قدم مساء ١٣ مارس (آذار) عرضاً مصوراً لحادث اطلاق النار في ميريلاند. وقد أدت المعلومات التي

قدّمها المشاهدون الى توقيف المجرم.

صباح كل خميس يجتمع منتج البرنامج مايكل ليندر مع مساعديه لاختيار المقاطع المناسبة للحلقات المقبلة. وهم يتحركون بسرعة، ففي شهر مايو (أيار) ١٩٨٨، مثلاً، تلقوا مكالمة هاتفية من الرقيب جيري روغالسكي في ولاية وسكنسن أعلمهم عن جريمة قتل اقترفها عام ١٩٨٣ أربعة أشخاص في عصابة يمتطي أفرادها دراجات نارية وذهبت ضحيتها فتاة في مقتبل العمر. وقد أوقف جميع المشتركين في الجريمة الا واحداً اسمه دنيس ستمبنر.

وللحال اتصل المنتج بمخرج اسمه مايكل سيرني وزوده ملفاً ضخماً ضمّ مذكرات توقيف وقصاصات من صحف محلية وتقرير الطبيب الشرعي الذي عاين جثة الضحية. وبعد مقابلات أجراها المخرج مع عائلة الضحية، وبمعاونة دائرة الشرطة في المدينة، تمكن من تصوير مشاهد من الجريمة التي وقعت عام ١٩٨٣. وعرض الشريط على شاشات التلفزيون في ١٩ يونيو (حزيران) ١٩٨٨. وبعد عشرة أيام أوقف ستمبنر في مزرعة للجياد في ولاية كولورادو حيث عمل لمدة أربعة أيام.

إشراك الناس. تبدأ جميع حلقات البرنامج باظهار جون والش وهو يسير بخطوات واسعة. ثم يقدم موضوع الحلقة ويعطي أوصاف الشخص المطلوب الذي تظهر صورته على الشاشة. ويخاطب والش الجمهور قائلا: "انني في حاجة الى مساعدتكم. تمعنوا في هذا الوجه، وان



كنتم تعلمون أين سيكون هذا المساء فاتصلوا بنا في الحال، وهكذا تساعدون في القبض على واحد من أخطر المجرمين الفارين من وجه العدالة في أمريكا."

أحد العناصر الرئيسية في نجاح البرنامج هو والش نفسه الذي يبلغ الثالثة والاربعين من العمر وكان في وقت سابق مستشاراً في ادارة الفنادق. وهو تعلّم أمور الجريمة بطريقة قاسية ومؤلمة. ففي العام ١٩٨١ خطف ابنه آدم وهو في السادسة من عمره وقتل. ويقول والش: "كنت أعتقد أنني حققت حلمي، فلدي عمل جيد، وعائلة رائعة ومنزل في فلوريدا المغمورة بأشعة الشمس. وذات صباح ذهبت زوجتي الى الدكان وخطف ابننا. أما القاتل فلم يعثر له على أثر."

منذ ذلك التاريخ كرس والش حياته للمكافحة في سبيل حماية الاطفال. وهو يقول: "لست شرطياً ولا عضواً في لجنة أمن أهلية. لكن هناك ٣١٥ ألف مجرم فار يسرحون ويمرحون. وهذا البرنامج هو فرصتنا لاثبات قدرة المواطنين العاديين على قلب هذا الوضع."

في البدء شكك رجال الامن والشرطة في البرنامج. "أما الآن، يقول المنتج ليندر، فإنهم يمطروننا بوابل من المعلومات وطلبات المساعدة" ولقد عيّن مكتب التحقيقات الاتحادي (FBI) عدداً من عملائه مستشارين في البرنامج. وظهر رئيس المكتب وليم سيشونز في إحدى الحلقات ليعلن إضافة ثلاثة أسماء جديدة الى اللائحة الشهيرة التي وضعها المكتب بأسماء "أخطر عشرة فارّين مطلوبين" والتي استُمدّت منها الحلقات. ولقد تمّ اعتقال أحد المشبوهين الذين سمّاهم المكتب بعد فترة وجيزة وبناء على معلومات من أحد مشاهدي البرنامج.

نقّاد وأنصار. يقول روبرت مورغنتو المدعي العام في مانهاتن في نيويورك: "مطاردة المجرمين باهظة الكلفة. ويعرف رجال التحري ورجال مكتب التحقيقات الاتحادي أشهراً في تعقبّ مجرم واحد. وهذا البرنامج طريقة رائعة توفر مئات ألوف الدولارات."

غير أن هناك فريقاً من الناس غير متحمس للبرنامج باعتباره بالغ الاثارة والعنف، كسواه من البرامج الشبيهة به مثل "قضايا غامضة لم تحلّ" (٢) من انتاج شركة «NBC» و"قضية عالقة" (٣) وهو إنتاج آخر لشركة "فوكس". وبرنامج "أخطر المطلوبين في أمريكا" يصور عادة الجرائم العنيفة حيث تغتصب الضحايا وتضرب حتى الموت أو تطلق عليها النار من مسافة قريبة جداً.

يقول ليندر مدافعا: "يعود منتجونا الميدانيون بمواد فظيعة نحاول دائماً تلطيفها وتخفيف بشاعتها. فنحن لا نبغي تنفير الجمهور أو إثارة اشمئزازه بتعريضه لمشاهد وحشية" وهو يؤكد أن ليست في البرنامج مقاطع مرتجلة، ويضيف بإصرار: "انه ممارسة صحافية جيدة وعمل تأديبي يشجّع الانضباط ويحض عليه."

وفي ملاحظة أبدتها كولين أوكونور مديرة قسم التربية الشعبية في "الاتحاد الامريكي للحريات المدنية" أن البرنامج يصوّر أحياناً كثيرة جرائم منسوبة الى المشتبه بهم. وتساءلت: "كيف لشخص صوره التلفزيون مجرماً قاتلاً أن يحظى بعد ذلك بمحاكمة عادلة؟"

يؤكدّ ليندر أن قضايا الحريات المدنية لا تغيب أبداً عن أذهان المنتجين والمخرجين، وأن البرنامج يصور غالباً مجرمين فارين دانتهم المحكمة وأصدرت عليهم أحكاماً، لا مشبوهين لم تصدر في حقهم أحكام بعد. ولكي تبقى المكالمات الهاتفية محصورة بالمواطنين ذوي الحس العام، امتنع البرنامج عن تقديم أي مكافآت، وحتى عن اعلان المكافآت التي تخصصها هيئات عامة وخاصة لمن يرشد الى الشخص المطلوب.

قصّتا نجاح. قليلون هم الذين ينكرون على البرنامج نجاحه. وذات مرّة تمّ توقيف أحد الفارين قبل عرض الحلقة الخاصة به. ففي نهاية الحلقة التي قدّمت في ٢٤ ابريل (نيسان) ١٩٨٨ ظهرت على الشاشة لمدّة ١٥ ثانية صورة جايمس

(٢) Unsolved Mysteries
(٣) A Current Affair

تشارلز ستارك المحكوم غير مرة بجرائم أخلاقية والمطلوب في كاليفورنيا لتورطه في جريمة قتل. وكان ذلك عرضاً لمشاهد من حلقة الاسبوع التالي.

ما ان انتهت الحلقة حتى تلقى البرنامج بضع مكالمات هاتفية وردت جميعها من ولاية ميشيغن، تعرّف اصحابها الى ستارك وفي صباح اليوم التالي أوقف الفارّ في مكان عمله في مرأب لغسل السيارات في آن آربور.

وهناك فارّ واحد على الأقل شاهد صورته على شاشة التلفزيون ولم ينتظر السلطات لتقبض عليه. إنه ستيفن راندل داي الذي كان مطلوباً لعلاقته بجريمة قتل حصلت عام ١٩٨١ في كليفلاند وذهب ضحيتها راكب دراجة نارية، كما اتهم لاحقاً باطلاق النار على رجل.

ومثل برنامج "أخطر المطلوبين في أمريكا" حادث اطلاق النار في نيوجيرزي. وتخلل الحلقة عرض صور التقطتها الشرطة لستيفن داي ووصف دقيق ومفصّل لوشم يحمله في جسده ومعلومات عن تعاطيه الكحول بكثرة وعن نمط حياته الانعزالية.

لم يستطع داي أن يتحمل ذلك كلّه. وبعد أسبوعين أوقف سيارة شرطة في سان دييغو بكاليفورنيا وسلّم نفسه. انه الان في نيوجيرزي ينتظر محاكمته.

وحسناً فعل داي إذ سلّم نفسه. فبعد عرض الحلقة الخاصة به تلقى البرنامج أكثر من ٣٠٠ مكالمة هاتفية من مشاهدين تعرفوا الى داي وقالوا انهم شاهدوه في جوار سان دييغو.

فرنك بريال ■



نافذة على البحر

اتصلت بفندق مشرف على البحر لاحجز غرفة لنهاية الاسبوع. فصُدمتُ عندما ذكرت لي الموظفة ايجار الغرفة الغالي جداً. فطلبت منها أن تبقى على الخط ريثما أستشير زوجي في الموضوع. وبعدما اخبرته عن السعر أضفت: "هذا لان الغرفة مطلة على البحر."

فهتف: "تباً لهم ولفندقهم! اسأليها هل تقبل بسعر مخفّض اذا لم ننظر من النافذة."

د.غ.

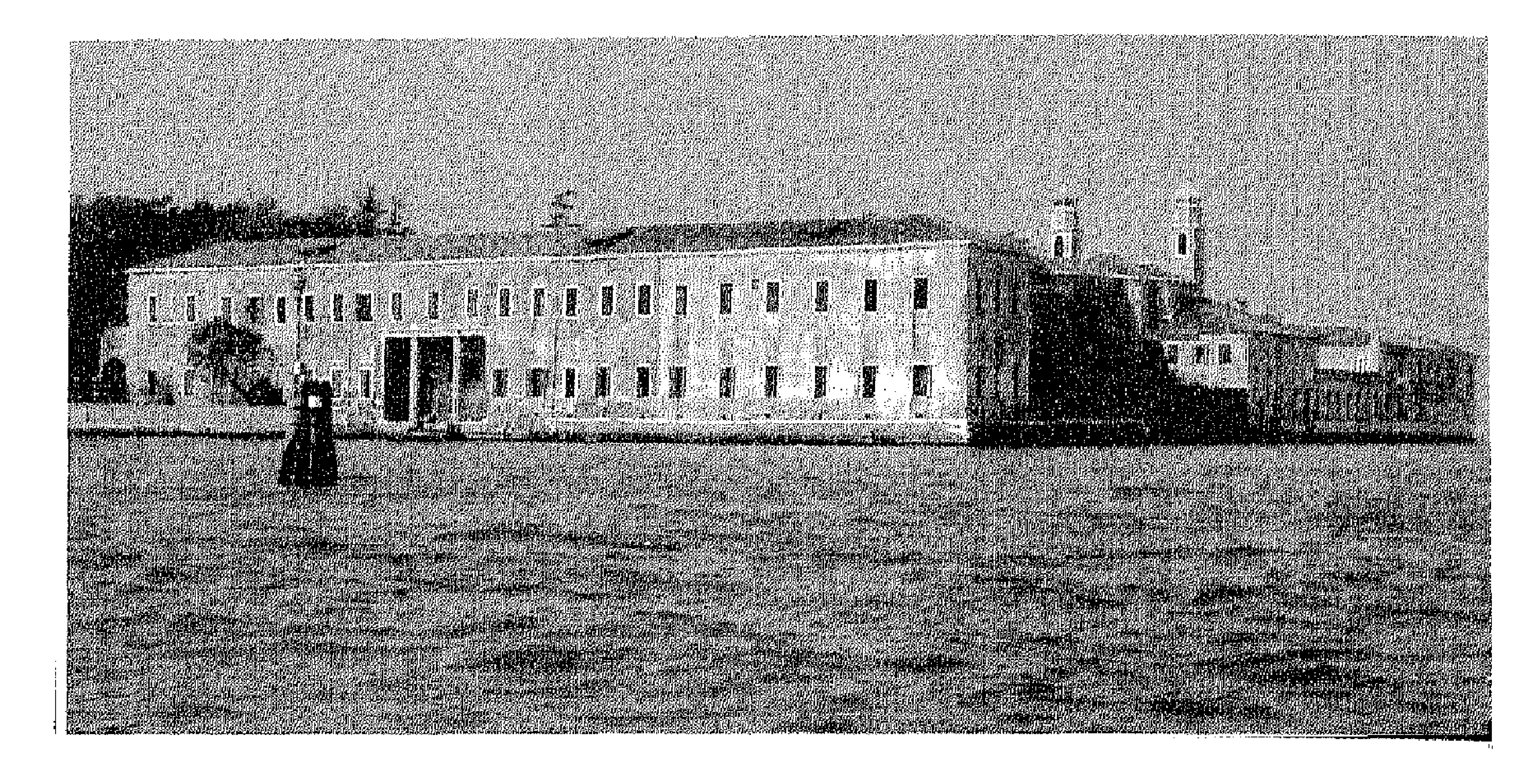
جدة متصابية

عندما بلغت جدتي عمر الـ١٠٣ سنوات زارها صحافي من الجريدة المحلية لاجراء حديث معها حول سر عمرها الطويل. وبعد جلسة طويلة من الاخذ والرد تفرّست جدتي في عيني الصحافي الشاب وقالت بحدة: "أكتب ما شئت، ولكن حذار أن تذكر عمري!"

ف.هـ.

إحياءُ التراث المعَماري

تستيقظ جزيرة سان سرفولو على صراخ طيور النورس وهدير محركات الزوارق وهي تشق طريقها عبر البحيرة. وتقرع الاجراس في قببها المخبأة في الضباب. قبيل الثامنة يصل زورق الخبز، وخلال ساعة تزبد الجزيرة بالحياة. في دكان الحداد يرتدي العمال ثيابهم القطنية ويضربون بمطارقهم قضبان الحديد الحمراء المحماة. وفي دكان البنّاء ينحت التلامذة قطع الرخام في اشراف أستاذهم



الآتي من فيينا. وفي دكان النجارة تتجمع النشارة حول اقدام حفّاري الخشب المنغمسين في عملهم.

مدرسة فريدة في جزيرة قرب البندقية يتعلم فيها الحرفيون مهارات معقدة للمحافظة على كنوز الماضي

هكذا يبدأ نهار آخر مفعم بالنشاط في "المركز الاوروبي لتدريب الحرفيين على صون التراث المعماري" قرب مدينة البندقية. وقد أنشئت هذه المدرسة لتهيئة جيل جديد من الحرفيين المهرة بغية الحفاظ على كنوز الماضي المعمارية. ومنذ العام ١٩٧٧ خرّجت نحو

Photos: ELBERT

٧٠٠ تلميذ من ٣٠ بلداً بما فيها الجزائر والاوروغواي وأوستراليا والنيبال، تعلموا فنون التنظيف والنقش والنحت والزخرفة. وفي كل فصل دراسي يتم تعليم أربعين حرفياً انتاج روائع جمالية ليست ممكنة إلا باليد. ومن بين أيديهم يعود الماضي الى الحياة.

إن الحاجة الى المحافظة على الفن المعماري بيّنة منذ زمن بعيد. فبعد الدمار الناتج من الحرب العالمية الثانية ركزت أوروبا جهودها على اعادةالبناء. كان لا بد من تشييد أبنية جديدة بأسرع ما أمكن. وطوال عقود أهملت الاساليب القديمة وتضاءلت فئة الحرفيين الذين شيدوا الصروح المجيدة في الماضي الى حد الانقراض.

ولم يتنبه الناس للخطر الا بعد الخراب الوشيك للبندقية. ففي نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٦ اجتاحت الامطار والسيول ايطاليا وظلت البندقية مغمورة تحت مترين من المياه لمدة ثلاث عشرة ساعة. فأحدثت الكارثة رد فعل فورياً على مستوى العالم بأسره. وتدفقت الاموال من أجل انقاذ "مدينة القنوات" ومن ثم اعادة بنائها. وحمل المجلس الاوروبي مشعل المحافظة على التراث أبعد من ذلك. ففي أوائل السبعينات استفتى الدول الاعضاء، وكان مجموعها ١٨، سائلا عن المتطلبات التي يقتضيها اطلاق مجهود أوروبي عظيم. فكان الجواب بالاجماع: الحاجة الى حرفيين مهرة.

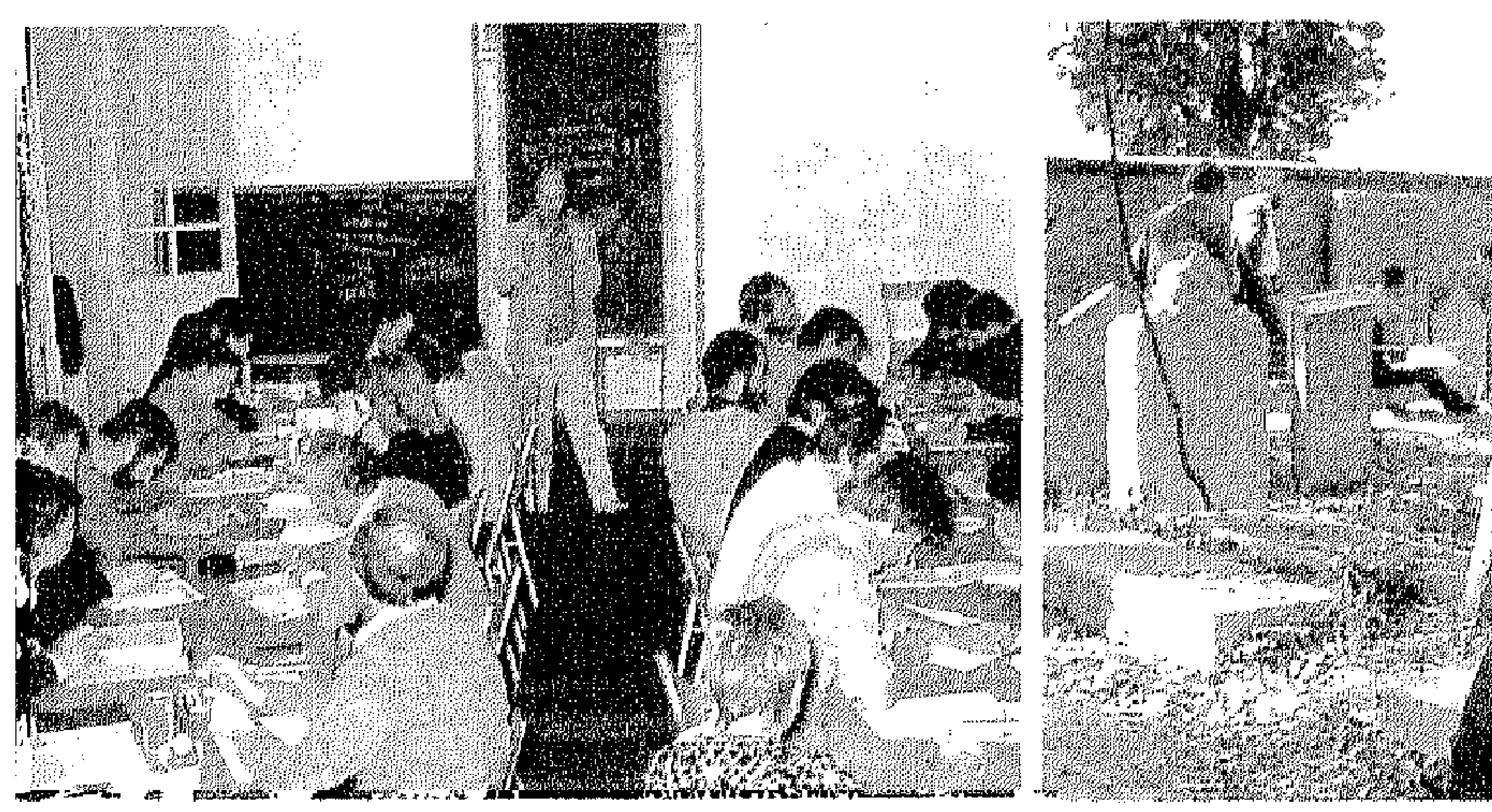
اتصال وتعاون. هكذا ولدت فكرة ايجاد مركز تدريب دولي، وأعلن العام ١٩٧٥ "عام التراث المعماري الاوروبي." وبعد سنتين تمّ افتتاح المدرسة في البندقية برئاسة ولفديتريتش ألبرت وهو المشرف على برنامج التراث المعماري في المجلس الاوروبي. لكن الامتداد اللامركزي للمدرسة على نطاق منطقة كاستيلو أثبت انه غير عملي. وفي العام ١٩٨٠ منحتها السلطات المحلية أبنية على جزيرة سان سرفولو. وهكذا أصبح للمركز مقر ثابت.

أول من استوطن هذه الجزيرة كان الرهبان البنديكتيون في القرن التاسع. بعد ذلك تحول ديرهم مصحاً للأمراض العقلية، وقد تهدم بعد إغلاقه في العام ١٩٧٨. أما اليوم فإن سان سرفولو مكان جميل وبهيج. والعشب في الحدائق مخضوضر، والفجوات المثقوبة في الجدار الذي يمتد على حافة الجزيرة تطل على مياه البندقية الرمادية الضاربة الى الزرقة، بطرقها المبنية على دعائم وجزرها البادية عبر الضباب.

والمدير ألبرت ألماني مرح ذو ضحكة معدية يتكلم اللغات الاربع المعتمدة في المركز، وهي الايطالية والانكليزية والفرنسية والالمانية، متنقلا من لغة الى اخرى وهو يرد على سيل لا ينتهي من المكالمات الهاتفية والزوار. ويعتقد ألبرت، وهو معماري بالخبرة، أن التراث المعماري يجب أن يحفظ على أساس من المعرفة الواسعة الشاملة. يقول: "الابنية أنظمة. فهي ليست مبنية بالحجار وحسب، بل بالحديد والخشب والدهان. على كل من يعمل في صونها أن يفهم هذه المواد والطريقة التي يتبعها الحرفيون الآخرون في العمل."

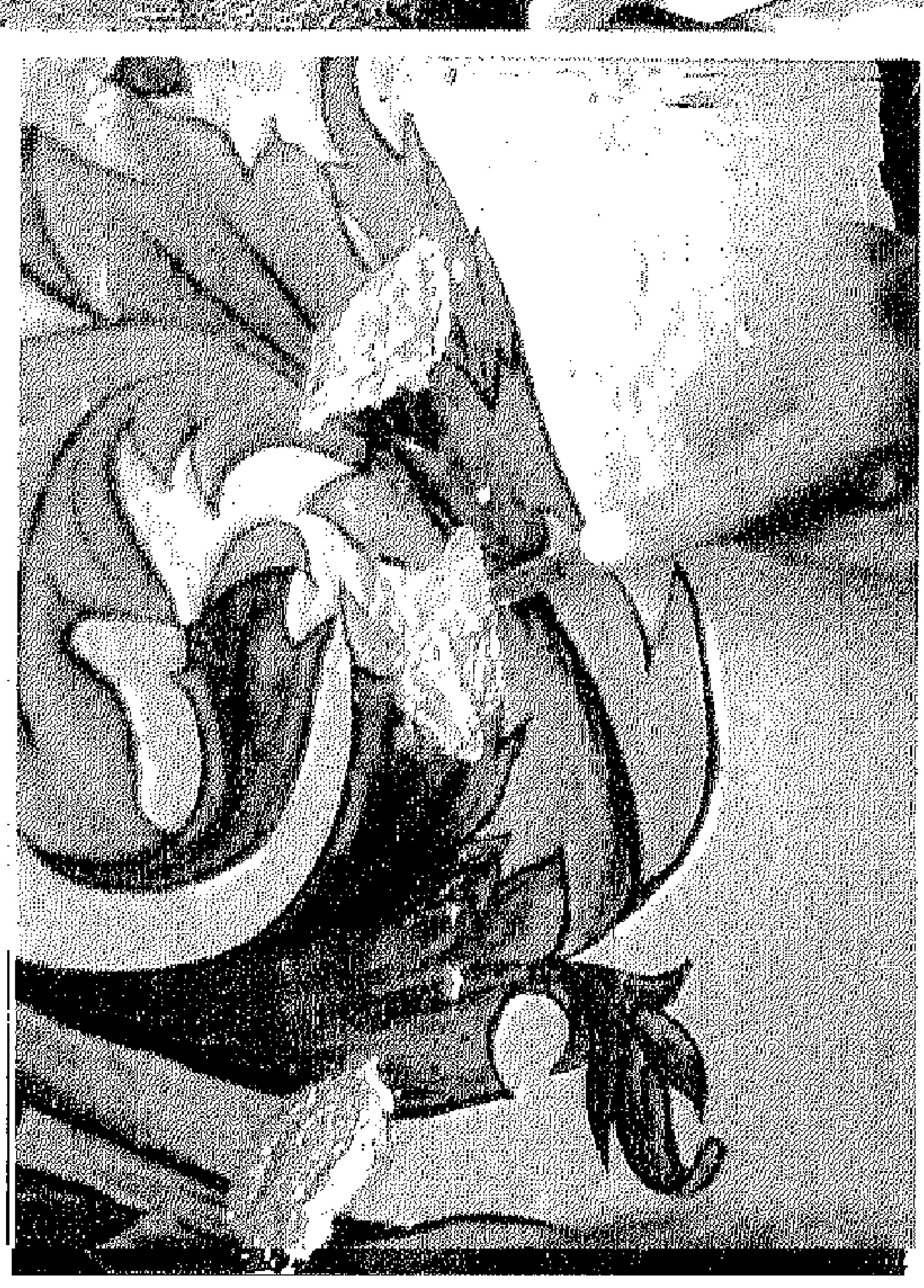
ان التشديد على الاتصال الدولي والتعاون بين الاختصاصيين بمختلف فروع المعرفة هو من أهم مقوّمات المركز. لهذا السبب، مثلا، عاد التركي أردال ارن (٣٦ عاماً) لتلقي دورة ثانية في العام ١٩٨٦. وعلى رغم كونه مهندساً معمارياً فهو أتى ليدرس فن البناء. يقول: "كان علي أن أتعلم كيف يعمل الحرفيون وماذا أستطيع أن أطلب منهم. وكنت في حاجة الى أن أتعلم كيف يزاول الناس في البلدان الاخرى شؤون الصيانة لأرى ما اذا كانت لديهم حلول للمشاكل المشتركة."

خليط لغات. لا يقبل في مدرسة سان سرفولو الا الحرفيون الذين يملكون خبرة سنوات في العمل. والى كتب التوصية والصور الفوتوغرافية التي تظهر مهاراتهم، على المتقدمين بطلبات





الدخول أن يظهروا مواهبهم الفنية. يقول ألبرت باصرار: "نحن نعتقد بضرورة وجود الموهبة في ما يختص بأعمال الصيانة. ان حرفيي الماضي كانوا فنانين،" وهو لا يرى سبباً لأن تكون المستويات العصرية أقل صرامة. أما القلة التي تُقبل فتغطى تكاليفها، التي تبلغ سبعة ملايين لير (٤٨٠٠ دولار) للشخص الواحد، بمنح



(فوق) الطلاب في احد الصفوف. (اعلى اليمين) عمل ميداني في مقبرة تاريخية. (تحت) تدريب عملي، هنا طالب يرمم نقشاً جصّياً.

تقدمها "لجنة المجموعة الاوروبية" والحكومات ورابطات الحرفيين وغيرها من المؤسسات العامة والخاصة.

وبما أن الدروس تعطى بلغات أربع فإن الاساتذة، وهم خبراء عاملون، يستعينون بمترجمين تدربوا في سان سرفولو لتغطية جميع التعابير التقنية. لكن الاتصال الحقيقي يحدث في المشاغل فوق السندان والازميل والمنشار. ففي مشغل النجارة تتعلم النروجية هان - كاري بيورك (٣١ عاماً) أسلوب التطعيم الذي كان سائداً في القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر. على اللوحة أمامها فصّلت زهرة رشيقة هيفاء، وعليها تطعيمها بأجزاء صغيرة من الاخشاب الملونة. إنه لعمل دقيق. ويجتمع حولها جمهور من النجارين الزملاء. ويأتي التعليق والتشجيع بخليط من اللغات وما من مترجم لينقل اليها ما يجري.

في كل خريف وربيع تعطى ثلاثة أو أربعة مقرَّرات دراسية. والى ذلك يقدم المركز دورات مكثفة تستغرق كل منها خمسة عشر يوماً في حقول متخصصة مثل اللحام بالنار والرسم اليدوي والتطعيم والصب.

والاكثر رواجاً بين المواضيع التي تعطى على نحو مكثف هو بلا شك الجص الرخامي (*) وهو أسلوب يصنع من الجص شبيهاً مذهلا للرخام، ويتضمن خلائط جصية ملونة افرادياً من الجبس والصمغ والخضاب تخلط معاً وتترك لتشتد ثم تقطع لتظهر طبقات من الألوان. وبعد أن يلصق هذا المزيج الجصي على الجدار يصقل بالخفاف أو بورق الزجاج سبع مرات ويطلى بشمع النحل حتى يكتسب لمعان الرخام.

وبقية الحرف التي تعلم في سان سرفولو لا تقل تعقيداً. على بنائي الحجار أن يعرفوا أي نحت يعتمدون في كل نوع من الحجار. وعلى رسّامي الجص أن يعرفوا تماماً متى يكون الجص على مقدار كاف من الجفاف، وفي الوقت نفسه على مقدار كافٍ من الرطوبة، ليمتزج كيميائياً مع أصباغهم.

حرفي عالم مفكر. على اللوح الاسود في مشغل الحدادة رسم تصميم ذو ثلاث شعب ناتئة في شكل ثنيات تشبه الزهور. وكتبت الى جانب هذا التصميم كلمة "بيزنطي" بأحرف كبيرة. يمسح الاستاذ الالماني الغربي كارل ماير العرق عن جبينه وينحني مرة أخرى فوق السندان مع أحد التلاميذ. يرفعان قضيب الحديد الطويل من النار. طرفا القضيب المفلطحان على طريقة التصميم البيزنطي يتوهجان بلون برتقالي لامع. والهدف قولبة المعدن بدقة على السندان وهو لا يزال على درجة من الحرارة تجعله طيعاً.

يضرب الرجلان قضيب الحديد في ايقاع ثابت. ومع كل ضربة ينحني الحديد ويضيق ويمتد، وبعد دقيقة يجب أن يعاد الى النار. وعندما حان المساء كان قضيب الحديد تحول زهرة منمقة.

إن العمل التطبيقي، كالنحت بالازميل والرسم والتطريق، لا يشكل سوى نصف

(*) Marbled stucco

البرنامج التعليمي، اذ ان اهتماماً مماثلا يولى العمل النظري. يتابع الحرفيون مقرراً دراسياً مكثفاً لتاريخ الفن المعماري ويدرسون الكيمياء والرسم ومواد البناء وأساليبه والمفاهيم الصيانية وحتى اللغة الايطالية. وكل أسبوعين يذهبون في رحلات ميدانية الى أمكنة مثل فلورنسا وكارارا وفيسنزا لمشاهدة بعض أعظم الروائع الايطالية المعمارية. يقول سيمون واراك وهو بناء بريطاني: "علينا أن نكون مزيجاً من الحرفي والعالم والمفكر."

ويطلب من المشتركين أيضاً أن يقدموا ما يسمى "مشروعاً للبندقية"، وهو دراسة حول عنصر معماري اعتُمد تكراراً في البندقية. وقد أنجز المشتركون أكثر من أربعين مشروعاً صيانياً كجزء من عملهم التطبيقي. فساعد بناؤو المركز، مثلا، في صيانة الـ"بونتي ديلا باليا" وهو جسر ضخم يقع قرب قصر الدوج حيث تشاهَد الليدو عبر قناة سان ماركو. وبفضل تدربهم على أساليب النقش الحجري القديمة، أعاد الحرفيون بعض الزخارف التي كانت سقطت عن الجسر. وبطلب من اللجنة الفرنسية لحماية البندقية كان مجصّصو المركز في عداد الفريق الذي ساعد سنتين في صيانة الزخارف الجصية المعقدة في كازينو فانييه، وهو أحد أجمل الامثلة على نقش الركوكو الجصي في البندقية.

ومع ذلك فإن ألبرت لا يزال يشدد على "اننا لسنا هنا لانقاذ البندقية. فعلى الحرفيين الزائرين أن يعودوا الى ديارهم ليضمنوا مضاعفة النتيجة."

وإنهم يقومون بذلك على أتم وجه. إنسي دوراك امرأة تركية في الثالثة والاربعين من عمرها تعمل في صيانة القصور والمنازل الملكية الثمانية في اسطنبول، وهي تلقت دروساً في النقش الجصي والنقش الجصي – الرخامي، والآن تنقل المعرفة التي تلقتها الى الاعضاء الخمسة الباقين في فريق الصيانة الذي تعمل معه. كذلك هيلينا فان در غرينتن (٣١ عاماً) تابعت دراسة النجارة لمدة ثلاثة أشهر في سان سرفولو عام ١٩٨٢ وهي الآن تؤدي دوراً رئيسياً في صيانة متحف ريجكس في أمستردام بهولندا.

أما جان هنري لوبيز، وهو حداد في الحادية والاربعين من عمره من ستراسبور بفرنسا، فيرى أن التجربة في سان سرفولو تعني "انفتاح الروح وتوسيع حبي لعملي."

في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٦، احتشد مئتا تلميذ سابق من مدرسة سان سرفولو في آنسي بفرنسا، ملبين دعوة الى المؤتمر الثاني لخريجي المركز. ويظهر التضامن واضحاً بين الخريجين الذين يتبادلون المعلومات ارادياً بهدف انجاز المهمات المطلوبة على أكمل وجه. وهم يشعرون بأن مسؤولية ضخمة ألقيت على عاتقهم، ويكدّون ليكونوا أهلا لها. وان التراث المعماري في أيديهم، وسيكون مستقبله نيّراً.

بريسيلا باكلي ■

التحفظ هو فن اخفاء ما لا سبيل الى اصلاحه. — مثل اسباني



تقرير خاص

الكلسيُوم يقـوّي العظـَـام

في مستهل هذا العقد كانت قلة من الناس تولي مادة الكلسيوم أي اهتمام، باستثناء الحوامل و"مهووسي الصحة". أما اليوم فيعلن وجود الكلسيوم في كل شيء، حتى في المرطبات والعلكة (اللبان). وفي وسع المتسوقين في المخازن الكبرى أن يملأوا عربة كاملة بأصناف الاطعمة المتفاخرة باحتوائها على الكلسيوم، وإن يكن آتيا فقط من الحليب المضاف الى تلك الاصناف.

وعلى رغم الضجة الاعلامية الحاصلة فان الجمهور يبقى جاهلا على نحو خطر

Illustration: Teresa Fasolino

حقيقة هذا المعدن الحيوي والدور الاساسي الذي يؤديه في جسم الانسان.

شعور مفاجيء. عام ١٩٨٤ أعلن الدكتور روبرت هيني، وهو باحث شهير في أمراض العظم في جامعة كريتون في أوماها، نتائج دراسته التي استغرقت ١٥ سنة وشملت ٤٠٠ امرأة في منتصف العمر. قال في مؤتمر صحافي للجمعية الامريكية لابحاث العظم والمعادن: "النساء اللواتي اتبعن نظاما غذائيا قليل الكلسيوم كن يفرزن من الكلسيوم كمية أكبر مما يتناولن يوميا. لذلك استنتجت أنهن يعانين فقراً في كثافة العظم وأنهن في خطر الاصابة بمرض نخر العظام (١) في فترة متقدمة من حياتهن. أما أولئك اللواتي كن يتناولن كميات كبيرة من الكلسيوم فحافظن على عظام سليمة."

وتابع هيني شارحاً أن نخر العظام مرض غير قابل للشفاء ولكن تمكن معالجته، وهو مرض العظام الهشة الذي يصيب ملايين النساء الاميركيات اللواتي تجاوزن الخامسة والاربعين. وبين ليلة وضحاها أصبح هذا المرض حديث كل بيت. فروّج منتجو الاطعمة اعلانات تصور النساء المتقدمات في السن يعانين التقلص والاحديداب، وغالباً ما كانت الرسالة تفيد أن تناول الكلسيوم يجب أن يكون من الاهتمامات الاولية للنساء المتقدمات في السن، وأن في امكانهن تفادي مرض نخر العظام بمجرد زيادة استهلاك الكلسيوم.

والحقيقة أن الكلسيوم لا يمكنه شفاء مرض نخر العظام، بل ليس من شيء يمكنه ذلك. والحل الوحيد هو اتقاء حدوث المرض، وهذا يتضمن تناول كمية كافية من الكلسيوم طوال الحياة. لكن غالبية الناس لا يحمون أنفسهم لانهم لا يملكون الحقائق الكافية.

"بنك العظام". ان كمية الكلسيوم في الجسم تفوق كمية أي معدن آخر. والشابة البالغة تحوي في جسدها نحو ١٠٠٠ غرام من الكلسيوم، أما الشاب البالغ فيحوي جسده قرابة ١٥٠٠ غرام. وان ٩٩ في المئة من هذه الكمية موجودة في العظام والاسنان، أما البقية فهي ضرورية لمساعدة كل خلية في الجسم على تأدية وظيفتها.

يرى الدكتور روس أدي، عالم البيولوجيا العصبية ورئيس قسم الابحاث في مركز لوما ليندا الطبي في كاليفورنيا، أن "الكلسيوم ضروري لكل العمليات الحياتية". فدقات القلب والجهاز الهورموني وانقباض العضلات ووظائف الدماغ والعيون والآذان جميعها تعتمد على الكلسيوم. وله أيضاً دور فاعل في عملية تخثر الدم وانقسام الخلايا.

يكسب الكلسيوم هذه التأثيرات الواسعة بفعل عملية معقدة. هناك دائماً نسبة عالية من الكلسيوم في السائل الموجود بين الخلايا والمحيط بها. ولكن داخل كل خلية نسبة ضئيلة جداً من الكلسيوم تساوي جزءاً من عشرة آلاف من النسبة المتوافرة خارج الخلية. لذلك عندما تدخل الخلية كمية ضئيلة جداً من

(١) Ostéoporosis أي تخلخل العظام أو ترققها.

الكلسيوم فانها تتحكم بالنشاطات الحيوية كالايض والنمو والتقلص. ومن دون شحنة الكلسيوم هذه يتوقف الجسم عن العمل.

لا يستطيع الجسم انتاج الكلسيوم. ولكن بما أن وجود مقدار ضئيل منه هو مسألة حياة أو موت، فان الجسم والدماغ لا يتكلان فقط على عادات الشخص الغذائية لتعويض الكلسيوم الضائع من جراء الافرازات والاستهلاكات الطبيعية.

ان "ميزان الكلسيوم" هو في الغدد الجنبدرقية (٢) التي تفرز هورمونات تنظم مستوى المعدن الذي يدور مع الدم وفي السوائل بين الخلايا. وان لم تكن هناك كمية كافية منه فان "الميزان" يعمل على سحب كميات كافية من "بنك العظام."

ان الفترة الممتدة بين الطفولة ومستهل الشباب هي الوقت الملائم لايداع الكلسيوم في "بنك العظام". وقد اظهرت دراسة أجراها الدكتور فيليمير ماتكوفيتش عام ١٩٨٥ في كلية الطب بجامعة واشنطن، أن للعظام اليافعة قدرة على اكتساب قوة وكثافة. وهو اكتشف أن الفتيات المراهقات اللواتي يستهلكن كمية أكبر من الكلسيوم يختزنَّ كمية أكبر، وهذا أمر يستحيل حدوثه في سن متقدمة. وفي نحو الخامسة والثلاثين من عمرنا نبدأ جميعنا خسارة كمية من المادة العظمية أكبر مما تستطيع أجسادنا انتاجه، وإذا لم نكن حصلنا على كمية قصوى من العظام الى ذلك الوقت فان انحدارنا سيكون أسرع عندما نبدأ استهلاك الكلسيوم بفاعلية أقل.

ويحدد خبراء "معاهد الصحة الامريكية" كمية الكلسيوم اليومية التي ينصح بها ضمن النظام الغذائي بـ٨٠٠ مليغرام للذين تراوح أعمارهم بين سنة وعشر سنين و١٢٠٠ مليغرام للذين تراوح أعمارهم بين ١١ و١٨ عاماً و١٠٠٠ مليغرام للبالغين و١٥٠٠ مليغرام للنساء اللواتي قطعن سن اليأس ولا يعالجن بالاستروجين وللمتقدمين في السن. والحقيقة المرعبة هي أن كمية الكلسيوم التي تتناولها غالبية الامريكيين هي أقل كثيراً من الكمية التي يجب تناولها. ويقول الخبراء ان بين كل ست فتيات مراهقات هنالك أقل من واحدة تتناول نصف كمية الكلسيوم المطلوبة.

لماذا هذا النقص؟ في جيل مضى كان الاولاد يتقبلون كلام أمهاتهم: "اشربوا الحليب، انه مفيد لعظامكم."

ان منتجات الحليب الغنية بالمواد الغذائية تؤمن المصدر الافضل للكلسيوم. ويحتوي كوب من الحليب الكامل الدسم على نحو ٢٩٠ مليغراماً من الكلسيوم. أما الحليب القليل الدسم والحليب المقشود فيحتوي الكوب منهما على كمية أكثر من ذلك قليلا. ويحتوي الحليب أيضاً على عدة مواد مغذية ضرورية لامتصاص الكلسيوم، وعلى الفيتامين "د" وكميات عالية من البروتيين. وبناء عليه فان ثلاثة أكواب من الحليب يومياً، اضافة الى وجبات خفيفة من اللبن والجبن، تسد حاجة الولد الى الكلسيوم وتؤمن له عناصر أساسية أخرى.

---

(٢) Parathyroid glands وهي أربع غدد صم صغيرة مجاورة للغدة الدرقية في العنق.

أمـا المشكلـة فهي أن الحليب ومشتقاته أصبحت أغذية غير مستحبة لدى المراهقين هذه الايام. وجزء من السبب يعود الى أن عدداً كبيراً من الفتيات دائمات القلق على الزيادة التي تطرأ على وزنهن. والى ذلك فإن ترويج المرطبات أوصلها حتى الى مائـدة الفطور، وبات الاعتقاد السائـد أن "الحليب للأطفال والمرطبات للكبـار العصريين."

عظام مكسورة. تظهر دراسة أجراها طبيب الاطفال غاري تشان من المركز الطبي في جامعة يوتاه، الاثر المحزن الذي يتركه نقص استهلاك الكلسيوم في العظام الفتية. لقد أدرك تشان أن للكلسيوم علاقة بالحـوادث المتكررة لكسور العظام. وأجرى فحوصاً على ١٧ ولداً راوحت أعمارهم بين الثالثة والثانية عشرة كانوا مصابين بكسور شديدة. دوّن تشان سجلات أنظمتهم الغذائية وقاس كثافة عظامهم وقارن بينهم وبين أولاد أصحاء من العمر والجنس ذاتهما. فتبين له أن الاولاد الذين يعانون الكسور العظمية كانوا يستهلكون كميات من الكلسيوم تنقص عن تلك التي يستهلكها أترابهم الاصحاء.

والدراسة الاولى التي أجريت على مجموعة كبيرة من الناس لاثبات أن الكلسيوم المتوافر في الطعام يقلل من مخاطر كسور الورك، نشرت في المجلة الطبية البريطانية "لانسيت" في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٨. عمل الباحثون في قسم الطب العائلي والبيئي بجامعة كاليفورنيا في سان دييغو على مراقبة ٩٥٧ رجلا وامرأة راوحت أعمارهم بين ٥٩ و٧٩ عاماً على مدى ١٤ سنة. وتبين بعد ذلك أن الفريق الذي تناول أفراده أعلى نسبة من الكلسيوم انخفضت نسبة تكسر العظام لديه ٦٠ في المئة بالمقارنة مع فريقين آخرين تناول أفرادهما كميات أقل من الكلسيوم.

وكسور الورك هي أخطر نتائج مرض نخر العظام. وفي كل عام يتعرض نحو ٢٥٠ ألف أمريكي فوق السن الخامسة والاربعين لكسور في الورك تؤدي الى وفاة ٣٠ في المئة منهم قبل مضي عام على اصابتهم.

إن مرض نخر العظام أقل تفشياً بين الرجال نظراً الى كثافة عظامهم. والى ذلك يستهلك الرجال من الكلسيوم نصف الكمية التي تستهلكها النساء. لكن احتياط امرأة ما من الكلسيوم يجف أكثر بسبب الحمل والولادة والنظام الغذائي الصارم المترتب عنهما. والنساء بعد السن الخامسة والاربعين يتعرضن لكسور في الورك بنسبة ضعفي ما يتعرض له رجال في مثل سنهن. لكن الرجال أيضاً يمكن أن يصابوا بمرض نخر العظام، واذا حدث ذلك فإن مشاكلهم غالباً ما تكون مدمرة. فالرجال المتقدمون في السن والذين يعانون كسوراً في الورك معرضون للموت أكثر بمرتين من النساء المصابات بالمرض نفسه. أما الموت فلا يأتي من الكسر ذاته بل من التعقيدات الطبية المرافقة له مثل الجلطات الدموية وذات الرئة. وهناك عوامل عدة مثل التدخين وتناول المشروبات الكحولية والوزن دون

الطبيعي واتباع نمط حياة يعتمد كثرة الجلوس وقلة الحركة، يمكنها أن تزيد من خطر الاصابة بمرض نخر العظام عند الرجال والنساء.

معالجات جديدة. النساء في مرحلة سن اليأس معرضات للخطر على نحو خاص. خلال هذه الفترة يتوقف المبيضان عن افراز هورمون الاستروجين فينتج من ذلك ضعف قوي وسريع في العظام. فالاستروجين لا يساعد فقط على امتصاص الجسم للكلسيوم، بل يخفف أيضاً من خسارته في البول.

ويبدو أن العلاج بالاستروجين هو ما تحتاج اليه المرأة في مرحلة سن اليأس. لكن الاستروجين بمفرده ينطوي على مخاطرعدة. وعلى النساء اللواتي يتحدرن من عائلات ذات ماضٍ بالنسبة الى سرطان الثدي تجنب المعالجة بالاستروجين لأنها تزيد خطر الاصابة بسرطان الثدي. وان تناول هورمون الاستروجين بمعزل عن هورمون البروجسترون يزيد من خطر الاصابة بسرطان بطانة الرحم أيضاً.

هناك دراسة جديدة استغرقت سنتين في المركز الطبي بجامعة كاليفورنيا في سان فرنسيسكو، قد تقدم حلا. فان مزيجاً من ١٥٠٠ مليغرام من الكلسيوم مع ٠،٣ مليغرام من هورمون الاستروجين أظهر فاعلية تعادل فاعلية ٠،٦٢٥ مليغرام من هورمون الاستروجين، وهي الجرعة التقليدية، من دون أي تأثيرات جانبية. يقول جون بلوك وهو أستاذ في علم الاشعة وأحد الباحثين: "إن هذا الاكتشاف مهم، إذ من المعروف جيداً أن المرأة اذا واظبت على تعاطي الاستروجين مدة تراوح بين خمس وسبع سنوات بعد سن اليأس، أمكنها التقليل من خطر الوقوع في مرض نخر العظام بنسبة ٥٠ في المئة."

ماذا عن حبوب الكلسيوم؟

هناك دراسات جديدة تشكك في نوعية عدة أصناف تجارية من حبوب كربونات الكلسيوم. عام ١٩٧٧ أعلن رالف شانغرو، رئيس دائرة العقاقير في كلية الصيدلة بجامعة ميريلاند، نتائج دراسته التي أجراها على ٨٠ صنفاً من مشتقات الكلسيوم. وقد تبين له ان حبوب نصف هذه الاصناف لا تنحل وأن الكلسيوم لا يصل الى العظام.

هل الاطعمة المضاف اليها الكلسيوم أفضل؟

إن الكلسيوم المضاف الى عدد متزايد من الاطعمة قد يكون مفيداً للذين لا يتبعون نظاماً غذائياً متزناً. ويبقى الحليب المصدر الافضل للكلسيوم. أما الذين لا يستطيعون شرب الحليب فقد تفيدهم المنتجات المضاف اليها الكلسيوم.

ويلمح بحث أجري حديثاً الى أن مادة البورون يمكن أن تكون مفتاح الحل في تقوية العظام. وفي دراسة عام ١٩٧٨ في مركز خدمات الابحاث الزراعية في غراند فوركس في داكوتا الشمالية، أجراها فوريست نيلسن الاختصاصي بالتغذية وكورتيس هانت الاختصاصي بعلم التشريح، أخضع فريق من النساء تراوحت أعمارهن بين ٤٨ و٨٢ سنة لنظام غذائي فقير بالبورون لمدة ١٧ أسبوعاً، فخسرت

النساء كمية كبيرة من الكلسيوم من طريق البول. وفي الاسابيع السبعة التالية أعطيت النساء يومياً عقاقير تحوي ٣ مليغرامات من البورون، وهي كمية تعادل ما يوفره نظام غذائي متوازن. فازدادت كمية الكلسيوم لديهن بمعدل ٥٨ مليغراماً يومياً.

وبما أن الاكثار من تناول البورون قد يؤدي الى التسمم، وبما أن كمية الجرعة الآمنة لم تعرف بعد، لا ينصح نيلسن باستعمال هذه العقاقير. وفي امكان الناس الحصول على البورون الوافر بتناولهم الكثير من الفاكهة، وخصوصاً التفاح والاجاص والعنب، والكثير من الجوز والخضر والبقول.

هناك هورمون جديد يدعى كلسيتونين ثبتت فاعليته في معالجة نخر العظام، باعتراف ادارة الغذاء والدواء الامريكية. ولكن يجب حقن المريض بهذا الهورمون عدة مرات في الاسبوع. أما العلاجات الاخرى بواسطة الفلورايد والديفوسفانات فلا تزال قيد الدرس. وجميع هذه العلاجات يجب أن تطبق بمعية تناول كميات كافية من الكلسيوم في الطعام. وأفضل سبيل الى ذلك مشتقات الحليب ونظام غذائي متوازن يعتمد الاطعمة الغنية بالكلسيوم.

هناك أسباب متشابكة لنخر العظام، المرض المؤلم المقعد الذي يجعل العظام عرضة للتكسر ويصيب الملايين. أما الخبر السعيد فهو أن أبسط وسيلة غذائية واقية وأنجعها هي تناول كمية كافية من الكلسيوم مدى الحياة.

بيغي مان ■



أستاذ بخيل

قبل الامتحانات الجامعية ببضعة أيام دعانا أحد الاساتذة الى جلسة مراجعة. ولعلمه أن قلة منا ستأتي قال: "كل من يحضر الجلسة يحصل على جواب عن واحد من الاسئلة."

في اليوم التالي كانت مجموعة صغيرة منا تنتظر بلهفة فيما المدرس يتحدث عن نوعية الاسئلة المئة التي علينا أن نجيب عنها بـ"صح" أو "خطأ."

وأخيراً انتهى الى المعلومة التي جئنا من أجلها. قال: "حسناً، كما وعدتكم، هذا واحد من الاجوبة: صح! أراكم غداً."

ش.ك.

دعوا الاطفال يحكمون!

نتعلّم الشيء الكثير من الاطفال. فالمفاوضات التي لا حد لها والتسليات والاقتراحات مع ابن أربع سنوات تجعل حكم القوي بأهتاً في تفاهته.

صحيفة "تايمس" اللندنية



صان سره المذلّ معظم حياته وأخيراً قرر الكف عن التظاهر

أبجديَّة الشَجاعَة

الفسق يقترب والرجل جالس في غرفة طعام السيدة باتريسيا لورد في مدينة سيسرو في ولاية ايلينوي، منحنياً فوق لائحة كلمات.

قالت السيدة لورد: "الآن حاول أن تقرأ هذه العبارة."

نظر الرجل الى أعلى كلمة في اللائحة، وقال: "خروف."

فقالت السيدة لورد: "نعم."

الكلمة التالية كانت "أبيض." تفرّس الرجل فيها لحظة قبل أن يلفظها وتؤكد له السيدة لورد أنه حسناً فعل.

يلي ذلك كلمة "نام." يتردد الرجل. تمر ثوان. هذه الكلمة مصدر ازعاج له. أخيراً قرأها متسائلا: "لعب؟"

فجاءه الجواب: "لا."

فحدّق الرجل وقال: "لست أدري ماذا تكون."

قالت السيدة لورد بنعومة: "لا بأس، عُد اليها لاحقاً."

Condensed from «Cheeseburgers: The Best of Bob Greene,» copyright © 1985 by John Deadline Enterprises, Inc., published by Atheneum, New York. Illustration: George Angelini

هذا الرجل العريض المنكبين، الاصلع، هو في منتصف عقده السادس. انه في ثياب العمل الزرقاء، ويداه لا تزالان متسختين، فقد أتى الى هنا رأساً من ورشة البناء حيث يعمل سمكرياً.

الكلمة التالية في اللائحة كانت "تحت." قالها الرجل بصوت كلّه ثقة. فقالت السيدة لورد: "صح، جيد جداً."

سر دفين. عندما كان الرجل طفلا لم يتعلم القراءة. كانت أمه عليلة وأبوه متهتكاً، لذا لم يستفد شيئاً من المدرسة، وفي ربيعه الثاني عشر غادرها وبدأ العمل. وكانت أمه تحاول أحياناً أن تعلمه، فينهرها أبوه: تباً لك! لماذا تتعبين نفسك بتعليمه؟ انه لا يفهم شيئاً."

عانى الرجل معظم حياته عبء إخفاء سره. تعلم صنعة السمكرة، ثمّ تزوج وأنشأ عائلة وهو يخفي أميّته حتى عن زوجته وأولاده. وكانت زوجته تدفع كل الفواتير وتقرأ البريد وتتولى الرد على الرسائل.

ثم فقد الرجل عمله لانه أمّي. فلقد فرضت الشركة على كل موظفيها أن يجروا امتحاناً خطياً حول اجراءات الأمان. وكان الرجل يعرف القواعد كلها لكنه لم يستطع قراءة الاسئلة.

تولاه الذعر وهو عاطل عن العمل. فتسجل في صف ليلي لتعلم اللغة، لكنه سرعان ما تيقّن أن البرنامج مُعدٌّ لاناس لديهم معرفة اولية على الاقل.

ابتاع كتاباً اسمه "القراءة الظريفة"، مخصّصاً لاطفال صفوف الروضة، ونظر الى صور سيارات الاسعاف والاجرة والشحن، وتحت كل منها الكلمة الدالة عليها، محاولا أن يعلّم نفسه بنفسه. فلم يفلح.

أخيراً جلس مع زوجته وقال: "أتذكرين عندما فقدت عملي؟" ثم أخبرها أنه لم يستطع قراءة الاسئلة. كان دائماً يتساءل عما سيكون رد فعلها عندما يطلعها على سره. فجاءه ردّها: "سأساعدك بكل ما أوتيت."

وبعد عدة أشهر سمع على التلفزيون عن دروس خصوصية يقدمها متطوعو محو الامية في شيكاغو. فاتصل بهم.

"اقرأ لي يا جدي." تتذكر باتريسيا لورد (٥٩ عاماً) المرة الاولى التي حضر فيها الرجل الى باب منزلها: "كان لطيفاً الى حد ما. ولكن لم يطل الامر حتى تبين لي أنه يجهل الابجدية."

أكبّا على الدرس مرتين في الاسبوع. وتقول السيدة لورد: "إنه كان شديد الامتنان." علّمته حروف الهجاء ودرّبته على كتابتها. لقنته كيف يقرأ ويكتب أولى الكلمات التي تعلمها في حياته.

بعد ذلك وجد الرجل عملا. وكان يحتفظ بكرّاسات القراءة في شاحنته ويدرس فيها خلال أوقات الراحة. ولم يعرف مستخدموه أنه لا يستطيع القراءة، فاعتراه ذعر من أن يُكتشف سره فيُطرد من عمله مجدّداً.

بَيْدَ أن فقدانه عمله للمرة الثانية هو ما أقنعه بوجوب تعلّم القراءة. ليس لهذا فحسب، بل كما يقول: "لانه وُلدت لنا حفيدة، ولا أريدها ابداً أن تأتي اليّ وتقول "اقرأ لي هذا يا جدي" فلا أستطيع ذلك.

لقد امضيت حياتي حتى الآن عاجزاً عن القراءة لأطفالي، وأريد ان أكون قادراً على القراءة لحفيدتي."

انه فخور بما أنجزه في حياته، ويقول: "أستطيع أن آخذ تصميم أيّ عمارة وأفهم منه كيف تسير الامور فيها. ولقد بنيت بيتي الخاص وأعتقد أن هذا انجاز حسن بالنسبة الى رجل أمّي.

"لكني كثيراً ما كنت أضطر الى التظاهر بالقراءة. ففي المطاعم كنت أتفرس في لائحة الاطعمة فلا أفهم منها شيئاً. فأسأل النادلة عما يتفرّد فيه المطعم من مآكل وأطلب أحدها. كنت ابذل جهدي لصون السر.

"ما كتبت رسالة بخط يدي قط. وفي الاعياد كنت أجد صعوبة كبيرة في اختيار بطاقة معايدة لزوجتي. وعبثاً كنت أتفرس في عبارات المعايدة المطبوعة من دون أن أفقه شيئاً. لذا كنت أستعيض عنها بالزهور."

والآن يحلم الرجل بأنه لن يمر وقت طويل حتى يستطيع أن يقرأ فعلا.

ويقول: "يجب ألاّ يستغرق ذلك وقتاً طويلا. فالسيدة لورد قالت لي ان الصعوبة في البداية فقط، وكلما تقدّمتُ في القراءة هانت الامور."

ويضيف: "أكره نفسي عندما أقضي يوماً سيئاً أغفل فيه عن قراءة كثير من الكلمات. لكني أشعر بالسعادة عندما يمر يوم استفيد فيه، فأتوق الى العودة الى المنزل لاخبار زوجتي أنني "تعلّمتِ هذه الكلمة" أو أنَّ "المعلمة تقول ان خطي جميل." وحينئذ أكبّ معها على قراءة بطاقات التهجئة."

بدأ الظلام يعم في الخارج، وما زال الرجل صاحياً منذ استيقظ قبيل بزوغ الفجر. كان جالساً الى مائدة الطعام والسيدة لورد تساعده على كتابة جملة فتقول: "لنحاول كتابة: خروف أبيض. الكلمة الاولى: خروف."

يتفحّص الرجل لائحة الكلمات ثم يكتب: "خروف."

فتقول السيدة لورد: "حسناً. الكلمة التالية هي: "أبيض."

يفكّر لحظة ثم يكتب "أبيض." وتقول السيدة لورد: "صح! انتهت الجملة!" يرفع الرجل بصره، فيبدو في عينيه ما يشبه الفخر.

يقول: "يصعب علي الانتظار حتى أتمكن من كتابة رسالة. وأول رسالة سأوجهها الى زوجتي، وأعبر لها فيها عن مقدار حبي لها."

بوب غرين ■



اقتصاد عجيب

قرر جدي أن يبتاع كمية من القرميد ليزيّن باحة المنزل. وعندما سأل البائع عن السعر أجابه: "كلما ارتفع العدد انخفض السعر."

فقال جدي: "حسناً، ضع في شاحنتي الكمية التي تُخفِض السعر الى الصفر."

ب.ر.

الضحك خير دواء

كل مجان طيب

النادل: "ماذا تطلب كحلوى بعد الطعام؟"
الزبون: "لا أريد شيئاً، فأنا متخمٌ ولا يتسع بطني للقمة واحدة."
النادل: "لكن الحلوى متضمّنة في ثمن الوجبة."
الزبون: "بوظة (جيلاتي)، حلاوة الجبن، كعك بالشوكولاتة."

ب.م.

الأرنب والبغل

انتقل صديقان من سكان المدينة الى الريف وقررا اقتناء بغل لمزرعتهما الجديدة. فذهبا الى المدينة ليتبضّعا ويسألا عن بغل، فوقعا على بعض النصابين الذين أكدوا لهما أنهم يعرضون للبيع بعض بيوض البغال الممتازة. فاشتراها المغفّلان وعادا بها في شاحنتهما الصغيرة. ولسوء الحظ كانت الطريق وعرة فوقعت احدى البيضات في حفرة. وعندما ركض الصديقان لينظرا ما حصل، وثب أرنب ضخم من الحفرة.
صرخ احدهما: "ها بغلنا يهرب!" وتعقب الحيوان مسافة كيلومترين. ثم عاد وقد أنهكه التعب ليخبر شريكه: "لم أستطع اللحاق به. ولكن لا بأس، فأنا لن استطيع الحراثة بهذه السرعة في أي حال."

ر.و.

وافق شنّ طبقة!

عندما سألت الشقراء الفارعة الطول البائعة في محل الاحذية ان تساعدها على انتقاء بعض الاحذية المنخفضة الكعب، سألتها هذه "مع اي شيء يجب ان تتلاءم"، فاجابت: "مع رجل قصير وغني جداً."

أ.س.

حساب سفسطائي

طُلب الى أمين الصندوق الجديد في المصرف ان يحصي رزمة أوراق مالية تحوي مئة دولار من فئة الدولار الواحد. فعدّ حتى ٥٨ ثم رمى الرزمة على المنضدة.
سأله المدير: "لماذا توقفتَ عن العدّ؟" فشرح السبب: "اذا كان العدد صحيحاً الى هنا، فالأرجح أن بقيته صحيحة أيضاً."

ك.م.

قبل أن تشتري سيّارة مستعملة...

كل سنة تتلقى مراكز حماية المستهلكين ألوف الشكاوى من مشتري السيارات المستعملة. وأكثرهم أخذوا بعذوبة كلام البائعين واغراءاتهم ولم يكلفوا أنفسهم عناء التدقيق في أوضح الامور الرئيسية قبل الشراء.

مثل هؤلاء المشترين لا يملكون سوى فرصة ضئيلة لاستعادة الثمن الذي دفعوه اذ يصعب عليهم اثبات عدم صلاح السيارة وقت شرائها.

قبل شراء سيارة مستعملة أجر التدقيقات الآتية، ويفضل ذلك في نهار وطقس جيدين يسمحان لك باجراء فحص كامل. واذا حاول البائع استعجالك، تروَّ وأعد النظر. ان في امكان شخص عادي غير ذي خبرة اجراء كل التدقيقات الضرورية.

١. دقق في درجة الصدأ. مرر مغنطيسا على بدن السيارة، فحيث لا يلتصق المغنطيس في بقع واسعة يكون المعدن متأكلا (أو متلفاً بسبب حادث اصطدام) وقد حشي بمعجونة. واحذر كثرة بقع الصدأ، فاذا كان انتشارها واسعاً فقد تكون بنية السيارة كلها ضعيفة.

ارفع السيارة بالرافعة اذا أمكن وتفحص تحتيتها بدقة، فاذا كان هناك اهتراء واسع حيث يلتقي جسم السيارة هيكلها التحتي فمعنى ذلك أن عمرها شارف الانتهاء.

٢. فيما السيارة على الرافعة فتش عن أماكن تسرب الزيت. البقع الكثيرة تدل على الحاجة الى تغيير الحشية (الجوانات). وتحقق من مواقع اللحام، لأن اللحام المتشقق الذي يلتقط الرطوبة أسوأ من انعدام اللحام.

٣. بعد انزال السيارة الى الارض تفحص الاطارات بما فيها اطار الاحتياط، وتأكد من كونها من نوع واحد (شعاعي أو متقاطع الليات) ومن أن سماكة المطاط على مدار الاطار متساوية والاطار في حال مقبولة.

Condensed from «Cars: A Consumer's Guide,» by Jacqui King. © 1987 by Longman Group UK Ltd., published by Longman Group UK ltd., London

٤. ادفع بقوة نزولا كل زاوية من السيارة، من الطبيعي أن تعود فتستقر في وضعها السابق، أما اذا ظلت تترجح فهذا يعني أن جهاز التعلق المحتوي (سسبنسيون) على النوابض وممتصات الصدمات يحتاج الى اصلاح.

٥. تفحص النوافذ والابواب وغطاء المحرك وغطاء الصندوق وتأكد من أنها تفتح وتغلق جيداً وأن المفاتيح مطابقة وصالحة للفتح والاقفال.

٦. تفحص التمزق في المقاعد، وارفع السجادات. فاذا كان هناك بعض الصدأ على الارضية فهذا يعني أن الماء ينزّ أو أنه سيتسرب قريباً.

٧. دقق في الكهرباء. المصابيح والاشارات والبوق والمسّاحات ورشاشات الماء. وليؤكد لك البائع أن الثمن يتضمن جهاز الراديو وكل الزوائد الاخرى.

٨. انظر الى الكيلومتراج. هل عدد الكيلومترات المسجلة متطابق مع مظهر السيارة؟ ان السائق العادي قد يقطع ١٢ ألف كيلومتر في السنة، لكن سيارة في خدمة شركة قد تسير ٤٠ ألف كيلومتر سنوياً. والبائع الذي يتلاعب بالكيلومتراج هو بائع غير شريف.

٩. تفحص المحرك لتتبين أي علامة اصلاح تمّ على اثر حادث، كالدهان الجديد واللحام. وقد تكون النظافة غير العادية تحت غطاء المحرك دليلاً على تركيب محرك مرمم.

١٠. دقق في أماكن تسرب الماء من المحرك. ان ابدال خرطوم مياه المشعاع (الرادياتور) أمر بسيط، انما تسرب الماء من المشعاع قد يستوجب ابداله بآخر جديد بكلفة باهظة.

أدر المحرك. دعه يدور على مهل، فقد عرف عن الوكلاء المحتالين أنهم يضعون زيتاً كثيفاً في المحرك وعلبة التروس لتمويه تلف المحرك. وتريث الى أن يحمى المحرك وتنصت لسماع أي أصوات شاذة.

١١. تفحص قضيب فحص الزيت. فاذا وجدت عليه رغوة مائلة الى اللون الرمادي أو نقط ماء فذلك قد يكون دليلا على تشقق في كتلة الاسطوانات.

١٢. انزع غطاء الفتحة حيث يملأ الزيت، فوجود أبخرة أو دخان دليل على تلف واسع قد يستلزم ابدال المحرك.

١٣. بعد أن تترك المحرك دائراً لمدة خمس دقائق سرّعه، فاذا خرج دخان أسود من العادم (اشبمان) فذلك يدل على عطل في المكربن (كاربوراتور) أما اذا كان الدخان أزرق فذلك مؤشر خطر يقضي بوجوب اصلاح المحرك التالف بتكاليف مرتفعة.

١٤. أوقف المحرك، وبعد أن يبرد

قليلاً لفّ يدك بقطعة قماش وانزع غطاء المشعاع بلطف. فاذا وجدت أثراً للزيت أو فقاقيع في الماء، فقد يكون هناك تلف في أحد الجوانات، أو، في أسوأ الاحوال، تشقق في كتلة الاسطوانات أو في قسمها الاعلى. أما في السيارات حيث لا غطاء للمشعاع، فتفحص خزان الماء الفائض للغاية ذاتها.

١٥. إفحص البطارية باشعال الاضواء لبضع دقائق لترى اذا كان المحرك يدور بعدها بسهولة. ثم اختبر قيادة السيارة في طريق تتضمن طلعة شديدة الانحدار، ومسافة وعرة لتلاحظ أي صرير أو قعقعة، وامتداداً سهلاً يجيز لك السير بسرعة تفوق ٨٠ كيلومتراً في الساعة.

١٦. تأكد من عدم وجود تلف كبير في أحزمة المقاعد ومن أنها تعمل جيداً.

١٧. اختبر الكابح. فاذا كان عليك أن تضغط بعمق، أو اذا شردت السيارة جانبا حين تدوس الكابح، أو اذا أحدث الكابح صريراً عالياً، فانه يستدعي الاهتمام الفوري.

١٨. أصغ الى أصوات شاذة أخرى. فاذا صدر عن الاطارين الاماميين صرير قوي حين تلف منعطفاً فذلك قد يكون ناتجاً من مشاكل في جهازي التعلق والتوجيه.

١٩. اذا سمعت صوت احتكاك مكتوما حين تغيير التروس، وكان ذراع التروس (فيتاس) يقفز من مكانه حين ترفع قدمك عن دواسة الوقود، فذلك يدل على عطل في علبة التروس.

٢٠. سرِّع المحرك في كل مراتب السرعة. فاذا سمعت طرقاً منتظماً من المحرك أثناء الاسراع فذلك يعني الحاجة الى ابدال رأس الذراع الذي يصل المكابس (البستونات) بالمرفق وما يتطلبه ذلك من كلفة عالية.

٢١. سرِّع المحرك الى ٦٥ كيلومتراً في الساعة وأنت واضع الترس الاسرع. فاذا انبعث أنين من محور العجلتين الخلفيتين أو من ناقل الحركة (ترانسمسيون) الامامي في السيارات ذات الاندفاع الامامي، فذلك يدل على تلف شديد في ناقل الحركة أو في السرعة الاخيرة.

٢٢. أنتقل الى الدوران في الفراغ (النقطة الميتة أو بوان ـ مور) وأنت تسير بسرعة ٥٠ كيلومتراً في الساعة، وأصغِ. فاذا تناهت اليك دمدمة خفيضة فذلك يدل على تلف في محامل العجلات.

٢٣. أرخِ قبضتك عن عجلة القيادة وأنت تسير بسرعة ٥٠ كيلومتراً في الساعة في طريق مستقيمة لا نتوءات فيها. فاذا ترجحت السيارة أو اهتزت أو مالت عن الخط المستقيم فذلك يدل

على أن العجلات تحتاج الى ميزان أو أن جهاز المقود يحتاج الى اصلاحات.

٢٤. أوقف السيارة في طلعة وشدّ الكابح اليدوي مبقياً المحرك دائراً والتروس معشقة. فاذا أرخيت دواسة القابض (دبرياج) على مهل فيجب أن يتوقف المحرك حالاً. أما اذا توقف تدريجاً فذلك يدل على تلف القابض.

قبل أن تعقد العزم نهائياً على شراء سيارة مستعملة، من المفيد تكليف خبير اجراء فحص دقيق كامل لها كزيادة في الحيطة.

واذا ساورك أدنى شك في ما خصّ سيارة معينة، فالافضل أن تنساها. وفتش عن سيارة أفضل فتوفر على نفسك العذاب والكلفة لاحقاً.

جاكي كينغ ■



لكل جديد رونق!

بعدما اشترى جيراننا منزلا جديداً كان عليهم أن يبتاعوا سيارة جديدة. وكانت العطلة الصيفية تقترب، فسألت جارتنا زوجها أين سيقضون أيام العطلة، فأجاب: "سنمضيها هذه السنة على نحوٍ مختلف: نجلس في بيتنا الجديد ونشاهد سيارتنا الجديدة، وعندما نتعب من الفُرجة نجلس في سيارتنا الجديدة وننظر الى بيتنا الجديد."

ج.و.

ملح الرجال

انتقل زوجي للعمل في مؤسسة كبيرة. وانتابني الفضول لمعرفة تصرفاته في المكتب. فسألته: "يا عزيزي، ماذا تفعل اذا تحرشت بك موظفة فاتنة؟"

فأجاب: "لقد حدث ذلك فعلا."

أحسست بقلبي يتهاوى فصرخت: "وماذا فعلت؟"

قال: "تزوجتها."

ر.ح.

معادلة أب

قال رجل لصاحبه: "أتصوَّر أن ابني سيكون من اللامعين اذا كان مقدار المعرفة التي ينهلها من الجامعة مساوياً لمقدار المال الذي تأخذه الجامعة مني."

هـ.ت.

يقول المثل: "إعرف عدوك"
لكن عدوي كان من نوع فريد

ظربان في القبو

التقيته عند أسفل السلّم فلم يتوقف إلّا برهة. وألقى عليّ نظرة ازدراء متعجرفة ثم انصرف متهادياً. كانت السلم تتألّف من إحدى عشرة درجة، لكنني لم أطأ الا ثلاثاً منها أو أربعاً وأنا أرتقيها مسعوراً.

وصرخت: "في القبو ظربان!"

فقالت زوجتي ببرود: "ولِمَ الصراخ؟" من الواضح أنها لم تقدر خطورة الموقف.

وللحال اتصلت بمكتب جمعية الرفق بالحيوان. فردت علي امرأة شابة: "فعلا، إن الظرابين تختبىء في الأقبية خلال فصل الشتاء متوخية الدفء. لا، لا نستطيع أن نساعدكم. حاول ان تضع لوحاً خشبياً تحت النافذة ليتمكّن الظربان من التسلّق ثم الخروج."

بعدما أقفلت السمّاعة ارتديت اعتق ملابس لديّ وتلوت دعاء ثم حملت لوحاً خشبياً طويلا ونزلت السلم. بلغت القبو وفتحت أبعد نافذة عن الظربان فوضعت اللوح كما قيل لي، ثم وقفت في أعلى السلم كي أراقب ما يجري.

وإذا بالظربان يدنو من اللوح الخشبي ويتسلّق حوالى مترين. وما إن عصفت ريح الخريف عبر النافذة حتى تراجع ومشى متخايلا يهزّ رأسه (أقول "رأسه" مع أنني

Illustrations: Ray Cruz

لم أعرف جنس الظربان ولم يكن في نيّتي أبداً اكتشاف هذا الأمر.)

اعتقدت أن الظربان قد يعيد النظر في هذه الفرصة المتاحة. فتركت اللوح في مكانه والنافذة مفتوحة. لكنني ما لبثت أن أدركت بعد ساعات أنني انما أتيح فرصة لقطيع من الظرابين كي تدخل منزلي. فهرعت أغلق النافذة... من الجهة الخارجية.

بعد ذلك قصدت المكتبة العامة منقاداً بمبدأ "إعرف عدوك". قرأت هناك أن الظرابين تعيش في أنحاء البلاد من أقصاها الى أقصاها، وأن النوع الذي يُرجّح العثور عليه في قبو هو الظربان المخطّط "مفيتس مفيتس" (★). وبما أن "مفيتس" كلمة لاتينية تعني "زفيراً بغيضاً" فان اسمه حتماً يعني نتناً مضاعفاً.

اعرف عدوك. يكمن جهاز الدفاع لدى الظربان في غدتين تحت ذيله كفيلتين بإطلاق رائحته الكريهة فتفوح لشدتها على بعد حوالى ثلاثة أمتار. (المدى الدقيق لرائحة الظربان لم يحدد بعد إذ لم يتطوّع أحد لقياسه.)

وفي حين تحمي معظم الحيوانات أنفسها بأضراسها أو مخالبها، فالظربان لا يحتاج الى دفاع من هذا النوع. كما أنه لا يحتاج الى تمويه. فهو، خلافاً لبقية الحيوانات الليلية التي يدكن لون صوف ظهرها أكثر من صوف بطنها، له غُرّة بيضاء على أنفه وخط أبيض على امتداد ظهره يُبرزان جلياً أنه حيوان لا يُعبث معه.

ولرائحة الظربان الكريهة مفعول واضح في "شخصيته". وإذ تعتمد معظم الحيوانات على قدرة الانسلال فتهرب من المخاطر، الا أن الظربان يتابع سيره باعتزاز غير آبه للحيوانات المفترسة ولا للصيّادين.

ويؤكد بعض الخبراء أن الظربان لا يطلق سلاحه البغيض إذا لقي معاملة لطيفة. وقد روت فتاة تدعى آرا زيستل تحب الحيوانات أنها أنقذت ظرباناً مرة وعالجته الى أن استعاد عافيته. فكان يسمح لها بادخال حبات الدواء في حلقه. وما لبث أن تكيّف بسرور مع قطط الفتاة وبات يتمتع بالنوم في سرير مَنْ أحسنت إليه، فكان يدندن لها بعض النغمات كي تنام. وكان يرعب الجيران وهو يلحق بهم علّ أحدهم يحمله ويدلله.

لكن ظربان زيستل المحب والأليف كان قليل الشبه بزائري. فكنت كلّما نزلت سلم القبو خائفاً أراه متكوّماً في زاوية. فألقي عليه نظرة لطيفة، لكنه يحدقّ الي بعينين مدوّرتين يملأهما الغيظ ثم لا يلبث أن يتابع قيلولته.

زائر مميز. كنت على يقين أن سياسة هذا الظربان هي الضرب أولا ثم التشاور. وكنت قد خطّطت والعائلة لتأجير المنزل والسفر في اجازة لمدة شهرين. فكيف نؤجر المنزل وفي القبو ظربان؟ اننا لا نستطيع طرده بالقوة. والخيار الوحيد أمامنا هو الاحتيال عليه، وهذا أمر اعتبرته زوجتي صراعاً غير متكافىء في "الشطارة."

(★) Mephitis mephitis

جاء في الكتب أن الظربان عندما يشعر بالخطر المحدق يطلق هسيساً حاداً، وفي بعض الأحيان يلبط الأرض بقوائمة أو يرفع ذيله مهدّداً. فإن لم يتراجع الدخيل يضرب الظربان الأرض بذيله ويلتف على ذاته حتى يصير كالسهم المستعدّ للانطلاق. هذا هو التهديد الأخير، وإلّا طيَّر الظربان سائلا زيتياً صفراوياً لا يلبث أن يتحوّل غمامة غامرة كريهة الرائحة. ويحاول الظربان أن يعمي خصمه مغلفاً إياه برائحة فاسدة تحرق العيون. مع أن الطلقة الاولى هي الأفتك ففي وسع الظربان إطلاق السائل ست مرات بلا توقف مع الاحتفاظ بمزيد من الذخيرة في غدّتيه.

ولقد حذّرتني الكتب من بعض الأمور، إلّا أنها لم تسدِ الي أي نصيحة حول طرق التخلّص من هذا الخصم المقيم في قبو منزلي.

مع انقضاء الخريف وحلول الشتاء بدأت أوسع ميدان بحثي. فاستعلمت من بعض أصدقائي وهم هواة في علم الحيوان. أخبرني أحدهم أن ظرباناً اختبأ مرة في مرأبه، وبعدما عرف أن الظرابين تكره رائحة النفتالين رمى في المرأب بعض كرات منه. فما كان من الظربان إلا أن رماها إليه. وأشارت علي جارة بأول فكرة حسنة. قالت "سمعت مرة أن الظرابين مولعة بسمك التن المعلّب."

ها هي فرصة كي أبرهن عن تفوق ذكاء الأنسان. ولما كان الظربان ازدراني سابقاً فامتنع عن ارتقاء اللوح الخشبي، صففت بحذر شديد كمية من علب التنّ على كل درجة من سلّم القبو ثم فتحت الباب الخلفي موزعاً علب التنّ في خط طويل حتى مدخل البيت. واقترحتْ عليّ زوجتي أن أرشّ قليلا من الطحين أمام الباب.

وهكذا لم يبقَ عليّ إلّا انتظار آثار قوائم الظربان على الطحين ثم إقفال الباب.

مضت ساعة ووجدت آثار قوائم صغيرة على الطحين. أقفلت الباب بعنف، ولم ألبث أن وجدت هرّ جاري في أسفل السلم يأكل محتوى آخر علبة من سمك التن.

لقد نام الظربان خلال العملية بكاملها.

أين هو؟ بعد مدة أخذ الظربان المبادرة... واختفى. وتشير الكتب الى أن الظربان المخطط هو في حجم هر المنزل، لكنه يستطيع بفضل فروه الكثيف أن يقحم جسمه في ثقب صغير. فاستنتجت لدى اختفائه أنه عثر على فتحة صغيرة فهرب منها.

والآن بدأ هم جديد يشغل بالي: ماذا لو عاد الظربان ودخل القبو كما خرج؟

قضيت الاسبوع التالي أتفحّص القبو كل مساء بعد عودتي من العمل، فلم أقع على أي أثر للظربان. ربما استنتج أنه لن ينام هنا بهناء لكثرة تدخلاتي، فذهب يبحث عن جحر أكثر سكوناً.

وجاء قرار الظربان في الوقت المناسب، إذ وجدنا زبوناً قد يستأجر منزلنا. وبعدما قام بجولة في المنزل قدته الى القبو. وضحكت وأنا أتذكر مغامرتي الأخيرة فقلت له: "في الشهر الماضي دخل ظربان... آه، لا، لقد عاد!"

وما كان من الزبون العتيد إلا أن قفز الى الجهة الأخرى من القبو فيما راح

الظربان يتهادى أمامنا فيتوقف للحظات ويرمقنا بنظرته المزدرية.

وباتت زيارات الظربان لغزاً. فلم يكن يظهر ثم يختفي فحسب، بل لاحظت أيضاً أن خطّه الأبيض المميّز تحوّل ندباً أزرق وأسود. وكنت خلال الأيام التالية أقف على أعلى درجة من السلم وأحاول أن أتبيّن ما يحصل في القبو.

وأخيراً وجدت مفتاح اللغز. ففيما كنت أهمّ بمغادرة المنزل ذات صباح سمعت صوت الجهاز الغازي لتسخين المياه ينطفىء فيتبعه عَدْو سريع. وفجأة برز الظربان من تحت صهريج الجهاز. لقد اكتشف زائرنا راحة في الجهاز وقرر التنعّم بدفء شعلته الملطف. كان المكان بمنأى عن تطفلاتي المزعجة باستمرار. وكان الشعّال أحرق صوفه الأبيض.

اذاً هناك كان صاحبي متوارياً طوال هذه المدة وأنا أفتّش عليه في زوايا القبو.

معركة حاسمة. برزت حاجة ماسة الى اتخاذ تدابير جديدة. استعنت بابني، وهو صبي في غاية التفاؤل، فطوّع صديقاً له نشيطاً، بل طائشاً، لمواجهة التحدّي. وتذمّرت زوجتي: "لا تدعهما يعملان في ثياب المدرسة."

فتح الصبيان نافذة القبو ووضعا اللوح الخشبي تحتها من جديـد. وتسلحا بالمقالي ومضارب الكرة ومرشّات مبيدات العثّ، إذ أفادت الكتب أن الظرابين تكره مرشات مبيدات العث. وهكذا اتجه الصبيان بخفة نحو الظربان محدثين ضجة قوية.

تفحصهما الظربان متعجباً وتطلّع الى اللوح الخشبي، فالنافذة المفتوحة، ثم من جديد الى الغريبين الصاخبين. وأخيراً تمشى على اللوح الخشبي. وللحال أقفل الصبيان النافذة وأطلقا هتاف النصر. ومن النافذة رأيت خصمي يبتعد هازاً رأسه بقرف.

بعد مرور أسبوع هبّت عاصفة ثلجية عنيفة. فرحت أتساءل: هل نجا ظرباننا من العاصفة؟ هل وقع ضحية معتدٍ.

عاد فصل الربيع، لكن ظرباننا لم يعد. وذات يوم قال صديق ابني: "احزروا من شاهدت أمس في الحديقة العامة."

لقد استرعت انتباهه جلبة صادرة من سلّة مهملات مقلوبة. واذا بحيوان يبرز من فضلات الطعام، وبان على ظهره ندب أزرق وأسود. وميَّز صديق ابني تعبير الازدراء المتعجرف عندما تهادى ظرباننا نحو سلة مهملات مجاورة مكملا وجبة عشائه.

أ.ب. ويبل ■

الطيرانُ الشراعيّ

رياضة تستوعب طاقات المرء كلها وتبعث فيه نشوة تبلغ حد الادمان

حلّقت طائرتي الشراعية عالياً وتوازن جناحاها النحيلان فوق الرياح القوية المتاخمة للجبال السود. كان الهواء لطيفاً جداً، فشعرنا كأننا نرفرف في الفضاء فوق منظر خلّاب لبلاد الويلز امتدّ أمامنا حتى الافق البعيد. وعلى علو ٤٣٠٠ متر لفحتني أشعة الشمس فيما كانت الاضواء تثقب الغسق المتجمّع فوق سطح الارض. فتحتُ على مضض الكوابح الهوائية وبدأت الانحدار الطويل في اتجاه المهبط الذي غادرناه قبل ساعتين.

اتجهت بسيارتي نحو المنزل والبهجة لا تزال تغمرني، أفكر في التحول السحري الذي يحدثه الطيران الشراعي من عالم الهموم اليومية الى حرية الفضاء. ولم يكن أحد أصدقائي يبالغ عندما وصفه بأنه "مغامرة تبعد خطوات فقط عن عتبة دارك."

أكثر من ١٠ آلاف طيار من مختلف المشارب يمارسون الطيران الشراعي في بريطانيا انطلاقاً من ٩٨ نادياً. فأينما كنت مقيماً تجد نادياً ليس بعيداً منك. واذا رغبت في المراقبة فقط استُقبلتَ على الرحب والسعة. أما اذا رغبت في محاولة الطيران بنفسك فان معظم النوادي يقدّم دروساً تجريبية في مقابل ٢٠ جنيهاً استرلينياً (٣٢ دولاراً) للدرس الواحد. وكثيرون يتلقون دروساً لخمسة أيام مع اقامة في النادي بمبلغ يقارب ٢٥٠ جنيهاً (٤٠٠ دولار).

وتتنوع النوادي، فمنها ما يتألف من مجموعة صغيرة من الطيارين الذين يمارسون هوايتهم في نهاية الاسبوع منطلقين بالطائرة الوحيدة التي يملكونها من حقل في مزرعة ما. وثمة نوادٍ أكبر، وصولا الى المنظمات الضخمة التي تعمل على مدار السنة انطلاقاً من

مهابط لا تتوقف فيها حركة الطيران. وغالباً ما تحتل هذه النوادي مناطق تتصف بجمال الطبيعة. مثل نادي "ميدلاند" الجاثم في أعلى سلسلة تلال لونغ ميند على حافة تمتد حوالى ستة كيلومترات في "شروبشاير"، ونادي "ساوثداون" في سفح ساسكس داونز، واتحاد الطيران الشراعي الاسكوتلندي على شاطىء بحيرة لوش ليفن.

قليل من هذه النوادي يستخدم موظفين دائمين. وفي غالب الاحيان يقوم الاعضاء أنفسهم بكل الاعمال، بدءاً بتثبيت الادوات الصحية في بناء النادي وانتهاءً بالتدريب. والطيران الشراعي رياضة وديّة: إنتمِ الى ناد فيصبح في وسعك أن تطير من معظم النوادي الاخرى في بريطانيا والخارج.

كنت أطوف عبر وادٍ سحيق في محاذاة منحدر جبلي، عندما رنوتُ الى نسر رائع ذي عينين وحشيتين كان يطير في تشكيل يكاد يبلغ حدّ الكمال وهو يتأملني. أحياناً تهاجم النسور الطائرات الشراعية، لذا تحولت عن مساري لكي أتخلص منه. لكنه تابع طيرانه فترة وجيزة على بعد نصف متر من طرف جناح طائرتي، قبل أن يحلق فوقي ويستدير عائداً ليرى هل في وسعي أن أضاهي سيطرته على الجو. ثم غاص عائداً الى واديه علّه يصادف خصماً اكثر جدارة.

يوم لا ينسى. على رغم غلاء كل أنواع الطيران، فإن تكاليف الطيران الشراعي عموماً تقلّ عن نصف تكاليف الطيران بطائرات ذات محرّك. وتراوح كلفة العضوية في النوادي بين ١٠٠ جنيه و١٥٠ جنيهاً (بين ١٦٠ و٢٤٠ دولاراً) في ذلك التدريب. اما وقت الطيران فكلفته نحو ١٥ جنيهاً (٢٤ دولاراً) في الساعة، يضاف اليه أجر الانطلاق الذي يتراوح بين ٣ و١٠ جنيهات (بين ٥ دولارات و١٦ دولاراً).

اذا كنت تستطيع ان تقود سيارة ففي امكانك قيادة طائرة شراعية. والواقع ان اجهزة القيادة في هذه أقل تعقيداً: تحرك عصا القيادة بيد واحدة، وتوجه دوّاستي الدفّة بقدميك. أما المكابح الهوائية التي تنزلق دخولا وخروجاً من الجناحين، فتضبطها رافعة مما يتيح لك أن تحط في البقعة المختارة. أنت تحتاج فقط الى أجهزة ثلاثة: مؤشّر سرعة الهواء، ومقياس الارتفاع عن سطح الارض، ومقارن متغيِّر (١) يخبرك أنك فوق طبقة هواء صاعدة أو هابطة، علماً أن الطيار الخبير يتدبر أمره من دون أي جهاز.

يجب أن تكون الطائرة التي يقودها المبتدىء قوية وذات مقعدين: يحتل المدرِّب الركن الخلفي والمبتدىء الركن الامامي حيث تتاح له رؤية شاملة واضحة من خلال الغطاء البلاستيكي الشفّاف. والطبقة التي تُطلق بها الطائرة هي رهن بموارد النادي. فبعض النوادي يستعمل ونشاً أو سيارة قوية لسحب الطائرة الشراعية بحبل فولاذي طويل حتى تطير وبعضها يسحبها بطائرة خفيفة. أما

(١) Variometer

النوادي الكبرى فتستخدم طائـرات شراعية مزودة محركاً تديره مع مدرِّبك ثم تطفئه بعد الاقلاع.

لا تدوم فترات الطيران الاولى أكثر من بضع دقائق. لكنك تستطيع أن تتوقع الطيران بمفردك - اذا كنت أكملت ربيعك السادس عشر - بعد أن يصبح مجموع ساعات طيرانك خمساً أو ستاً. وليس من طيار ينسى أبداً اليوم الذي ينسحب مدربه من ركنه ويقول بلامبالاة: "تولَّ قيادة الطائرة بمفردك". لكن تعلُّم الطيران ليس سوى البداية. فالهدف الرئيسي من الطيران الشـراعي هو التحليق عالياً واستثمار طاقة الجو المجانية، وهذا فن في ذاته.

في يد مارد. عندما كنت صبياً كنت أمضي ساعات أراقب طيور النورس تمتطي تيارات الريح الصاعدة (٢) المنحرفة عند تلال دورست. والآن صرت طياراً شراعياً قادراً على مضاهاتها. فاذا طرت من نادٍ قريب من التلال المواجهة للريح السائدة، فأنت تستطيع استغلالها لتبقى في الاجواء ساعات بلا انقطاع. والافضل من ذلك وضع يندر وجوده، ففي بعض الحالات الجوية تنساب الريح فوق أحد الجبال فترتد عند سفحه المحجوب في سلسلة من "الموجات" الجبارة. فاذا تعلمت قراءة أمارات السماء فان موجة كهذه قد تحملك الى ارتفاع شاهق. ويهاجر الطيارون الشراعيون كل ربيع وخريف الى اسكوتلندا بحثاً عن أمواج يولدها جبلا غرامبيان وكايرنغورم. وفي هذه المنطقة سجل الطيارون الشراعيون البريطانيون في العام ١٩٨٠ رقماً قياسياً بالارتفاع الى ١٢ ألف متر.

الريح أداة مفيدة لو لم تكن غالباً متقلبة. وأفضل حليف لنا هو الشمس التي إذ تدفِّىء الارض تولِّد حراريّات (٣) وهي فقاقيع كبيرة من الهواء الساخن تندفع صاعدة وتنتشر حتى تبرد وتتكثف مكوِّنة النغَّاض (٤) اي السحاب المؤلف من أكداس مدوَّرة ذات قاعدة مسطحة. فاذا اخترت الموضع الصحيح تحت سحابة متنامية فانك تشعر باندفاع الطائرة الى أعلى. طِر دائرياً تبقَ في نطاق الارتفاع. أما اذ اخترت غيمة تكاد تتلاشى فانك تندفع نزولا بسرعة وقد تخسر مئات الامتار من الارتفاع الثمين قبل أن تستطيع الطيران بهدوء.

لا يخلـو الطيـران الشـراعي من الاضطراب كما يبدو من الارض، على رغم أن احصاءات الحوادث تدل بوضوح على أنه أسلم من الطيران بمحرك. فبعض التيارات الدافئة ضيِّق وهائج.

والطيران الاكثر إثارة تحدثه الفقاقيع الحرارية الشديدة القوة التي تتدفَّق من الدخان الصاعد من حرق بقايا الحصاد في الحقول. ادخلْ بحذر، فلسوف تثب كالكرة، لكن حزام الامان سيشدك الى مقعدك. وفي ارتفاعك الاستثنائي هذا تشعر كما لو ان يد مارد تدفعك نحو الاعالي.

إدمان الأجواء. كنت وحدي أحوِّم بكسل على ارتفع ٧٠٠ متر في تيار حراري

---

(٢) Upcurrents
(٣) Thermals
(٤) Cumulus

لطيف طالع من مقلع شوتْ الشمس صخوره. وإذا بي ألمح وميض جناحين أبيضين لطائرة شراعية أخرى تدور تحتي. فملت بالطائرة محاولا الارتفاع والتفوق على الطيار الآخر، لكن هذا وجد وضعاً أفضل رفعه الى مستواي. فرُحنا نرسم دوائر في رقصة باليه هوائية، وكل منا يناور في سبيل وضع أفضل.

فجأة انتشر ظل فوق ركني، وكنّا ارتفعنا الى ١٠٠٠ متر وبلغنا أسفلِ الغيوم. فنظرت الى خصمي وقد عدّلتُ طيراني لأتجنب الانغمار في السديم البارد، لكنه كان اختفى وغدت السماء لي وحدي.

ما إنْ يكسب الطيارون خبرة مبكرة حتى يبدو لهم تافهاً الاكتفاء بالتطواف داخل نطاق الامان المتاخم للنادي. وفي المرة الاولى حين تندفع خارج هذا النطاق نحو أرض مجهولة، لا بد من أن يعتريك خوف غريب. لكنك لا تلبث أن تدمن الطيران في الريف. وفي الطقس البديع، عندما تنشط الفقاقيع الحرارية خلال سبع ساعات أو ثمان، يستطيع الطيار الكفي أن يطير مئات الكيلومترات.

ليس في بريطانيا اجازة للطيران الشراعي، ومع ذلك ينبغي للطيارين أن يحصلوا على الشهادة "البرونزية" من الجمعية البريطانية للطيران الشراعي قبل أن يُسمح لهم بالطيران فوق الارياف خارج نطاقِ النوادي. والمطلوب للحصول على الشهادة انجاز ٥٠ ساعة من الطيران المنفرد، مع برهان عن القدرة على التحليق والحط في الحقول، اضافة الى امتحان خطي وآخر ميداني.

ويزداد الطلب على الطائرات ذات المقعد الواحد التي تملكها النوادي ويبلغ عددها ٤٤٩ طائرة، بحيث أن معظم الطيارين المجازين بالتحليق فوق الارياف ينضمون الى نقابة تخولهم ملكية حصة في واحدة من ١٣٠٠ طائرة شراعية بريطانية خاصة تباع غالباً في السوق المزدهرة للطائرات المستعملة. وبمبلغ ٣٠٠٠ جنيه (٤٨٠٠ دولار) يمكنك الحصول على طائرة شراعية قديمة ولكن متينة يبلغ باع جناحيها ١٧ متراً ومصنوعة في معظمها من الخشب، وهي ذات أداء متواضع إذ يبلغ الحد الاقصى لزاوية انحدارها ٢٧ – ١ (٥) أي انك اذا انطلقت بها من علو كيلومتر واحد في الهواء الساكن اجتزت ٢٧ كيلومتراً قبل أن تحط بك.

من جهة أخرى، تكلف الطائرة الشراعية الحديثة المصنوعة من الزجاج الليفي والمخصصة للسباق نحو ٢٠ ألف جنيه (٣٢ ألف دولار) ويبلغ باعها ٢٢ متراً وزاوية انحدارها ٥٠ – ١ بسرعة تفوق ٤٤ كيلومتراً في الساعة. وللطيران الشراعي سعوده ونحوسه على أكثر من صعيد: هناك الشعور بالنشاط والخفة عندما تكون في الاعالي، والكآبة عندما تجد نفسك تبحث بقلق عن حقل تحط فيه خالٍ من الحيوانات وقنوات الري وأسلاك الهاتف وأغمار الحنطة. ويفيدك ان تحتفظ في ركنك بكتاب جيد تقضي برفقته الساعات الطويلة بين اتصالك الهاتفي بالنادي ووصول الطاقم المسؤول عن استرجاع الطائرة.

(٥) Maximum glide angle of 27-1

يفكك الطاقم الطائرة الشراعية ويوضب قطعها في عربة مقطورة طويلة ناحلة طالما أثارت فضول المتفرجين.

لكلٍّ حظه. ساد طقس بديع مناسب للانطلاق في مسابقة جائزة "الالماسات الثلاث" الدولية التي يحملها في الوقت الحاضر ٢٤٧ طياراً بريطانياً فقط. فهي تتطلب تحليقاً الى ارتفاع ٥٠٠٠ متر، ومسافة طيران تبلغ ٥٠٠ كيلومتر، وطيراناً ٣٠٠ كيلومتر الى وجهة محددة. وقد عزمت على المحاولة ثانية.

انتشرت الغيوم المنتفخة كنقط في عمق السماء الزرقاء. وعلى غير عادة بدت كل غيمة كأنها تتوّج تياراً ضخماً من الفقاقيع الحرارية وانطلقت طائرتي الشراعية لعدة ساعات منتقلة من غيمة الى اخرى بسرعة ٥٠ كيلومتراً في الساعة. في أحوال كهذه لا حاجة الى الدوران ضمن التيّار، اذ يكفي جذب عصا القيادة الى الخلف للانطلاق كالصاروخ صعداً في الهواء، ومن ثم الاسراع الى التيار التالي. ولكن فجأة بدت السماء أمامي خالية من الغيوم. ذلك بأن كتلة من هواء البحر كانت آخذة في الانتشار من الشاطىء، كاسحة في طريقها التيارات الدافئة.

بعد عشر دقائق كانت الطائرة تحط في مرج على بعد ٣٠ كيلومتراً من القاعدة. وظهر أول صبي صغير جاء يسألني مستوضحاً: "هل عطبت طائرتك يا سيدي؟ هل خانتك الريح؟"

بعض الطيارين يتمتّع بموهبة الهبوط في المكان الصحيح. اختار احدهم مرة الجادة المؤدّية الى منزل فخم، فرحب به رئيس الخدم ودعاه الى شرب الشاي مع العائلة. وآخر نزل في دير، فاستقبله الاخوة بترحاب وأطعموه لحماً وسقوه عصير التفاح. أما البقية فأقل حظاً. فهناك زميل لي في عضوية النادي هبط في مستشفى للامراض العقلية ووجد صعوبة بالغة في اقناع الممرضين بأنه وصل فعلا في طائرة شراعية.

لكن جائزة الحظ التعيس يجب أن تعود الى الطيار الذي، في يوم مغرٍ بالتحليق، لفّق عذراً للتغيب عن المكتب وأقلع تحدوه آمال كبار. وسرعان ما سقط على أراضي المنزل الريفي لرئيسة الوزراء البريطانية حيث انقض عليه رجال الامن. وقد كلّفه نشرُ الخبر فقدان عمله.

يجذب الطيران الشراعي الناس الشغوفين بالتنافس. وغالباً ما يتطلب قدرة خارقة على الاحتمال. في العام ١٩٨٧ انتصر في بطولة العالم للطيران الشراعي في أوستراليا بريتون بريان سبركلي (٣٨ عاماً) قاهراً طيارين من ٢٤ بلداً بعدما طار ٧٠ ساعة خلال أيام المباراة الاثني عشر واجتاز اكثر من ٥٠٠٠ كيلومتر.

وفي العام ١٩٨٦ أقلع رجل الاعمال اللندني جوستن ويلز (٣٩ عاماً) من يورك في صبيحة يوم من مايو (أيار) وتوجّه جنوباً عبر بحر المانش. وبعد ثماني ساعات في الجو قطع خلالها ٨٥٠ كيلومترا وصل الى قرب مدينة ديجون في وسط فرنسا، مسجلا رقما قياسيا بريطانيا جديدا في طول المسافة. ويبقى الرقم القياسي العالمي، ذهاباً واياباً، هو

الذي سُجل في العام ١٩٨٣ في الولايات المتحدة ويتجاوز ١٦٠٠ كيلومتر.

بيد أن معظمنا يكتفي من الطيران بسحر التحويم في الجوّ. واحياناً، في عصر يوم صيفي هادىء، قد تسمع ما يشبه صوت ناي ضعيف فوق رأسك، وتلمح ومضة جناحين في أثناء طيران لولبي داخل تيار دافىء، صعوداً نحو الشمس.

هناك، في علُ، طيار يجد متعة بالغة في التحدي الشخصي الذي هو قوام رياضة تستوعب طاقات المرء كلها. وقد وصفها أحد المتحمسين بقوله: "يمكنك أن تتعلم منها شيئاً مفيداً، وأن تشعر بلذة المستكشفين، وأن ترضي غرورك، وأن تنتشي الى أبعد الحدود."

بيتر براون ■



"رفيقة" عمر

انه يوم عطلة، ومباراة كرة القدم تكاد تبدأ، والتلفاز معطل! وخابت كل محاولاتي المسعورة في تشغيله.

قالت لي زوجتي بلطف: "لا حيلة لنا اليوم يا عزيزي. سأعد طعاماً ثم ننطلق بالسيارة في نزهة الى الجبال."

كان نهاراً رومنطيقياً جميلا، وهنّأتُ نفسي على اختياري رفيقة عمر توليني هذا الاهتمام الشديد. ولما عدنا الى البيت سألتني زوجتي: "قل لي: ألم تكن نزهتنا أمتع من أي مباراة كرة قدم؟"

واتجهت الى المطبخ وأدارت مفتاح التيار الكهربائي!

د.ك.

أخطاء الكومبيوتر

كانت سيدة تزور ابنتها في مدينة لوس أنجلس، فعرَّجت على فرع لشركة التأمين التي تتعامل معها لتدفع قسطاً من بوليصتها. وبعد عودتها الى نيويورك فوجئت بان حسابها تحول الى عنوان ابنتها في لوس أنجلس. فذهبت الى مكتب ادارة الشركة وشرحت المسألة وسألت المدير: "ما هي أيسر طريقة لتصحيح هذا الخطأ في الكومبيوتر؟"

فرد المدير: "انتقلي الى لوس أنجلس!"

ج.ف.

كتب في لافتة متجر: "أفضل كثيرا للمرء أن يحب ويخيب من أن يشتري أحذية لثمانية أولادا"

و.و.

رقعة سوداء وبيضاء فيها حروف متداخلة. ما هي؟

ق ص ة ا ل ك ل م ا ت

ا ل م ت ق ا ط ع ة

كل يوم يهرب ملايين الناس الى عالم عجيب من المربعات السوداء والبيضاء حيث لكل مشكلة حل. انه عالم الكلمات المتقاطعة.

جاء في "دليل أكسفورد للألعاب العالمية" أن الكلمات المتقاطعة هي اللعبة الأكثر شعبية وشيوعا في العالم، وهي معروفة في جميع اللغات تقريباً. وفي مايو (أيار) ١٩٨٨ كشف روجيه بوكير، وهو حارس سجن في بلجيكا، إحدى كبرى شبكات الكلمات المتقاطعة في العالم، وقد بلغ طول رقعتها ٣٠ مترا وعدد كلماتها ٥٠ الفا. وقال بوكير انه أمضى في تركيبها خمس ساعات يوميا خلال أربع سنين.

كانت أولى شبكات الكلمات المتقاطعة هدية لعيد الميلاد. فقد كان آرثر واين المحرر في مجلة "وورلد" النيويوركية يبحث عن بدعة تضفي رونقا خاصا على عدد الميلاد. فرسم شبكة في شكل ألماسة، ثم صمم أحجية من ٣٢ كلمة متشابكة ظهرت للمرة الأولى في ٢١ ديسمبر (كانون الأول) ١٩١٣.

أصبحت الكلمات المتقاطعة ظاهرة تطلع بها المجلة كل يوم أحد. لكن انطلاق اللعبة لم يتم فعلاً إلا عام ١٩٢٤ حين أصدرت دار "سيمون وشوستر" للنشر أول كتاب لشبكات الكلمات المتقاطعة، فلقي إقبالا عارما. وغرق مكتب الشركة الصغير بسيل من الطلبات البريدية. ولم تأت نهاية السنة حتى كانت الدار نشرت ثلاثة كتب للأحجيات فاقت مبيعاتها ٤٠٠ ألف نسخة.

وعمّ هوس الكلمات المتقاطعة. وأصبح توافر كتب الأحاجي والقواميس والمراجع قاعدة في البواخر عابرات الاطلسي. وطبعت شركة بنسلفانيا للسكك الحديد كلمات متقاطعة على قفا لائحة الطعام في حافلاتها. وارتدت النساء ملابس مصممة بمربعات بيضاء وسوداء متقاطعة. وبيعت أساور ذهبية متقاطعة. وشاع إقتناء قواميس صغيرة تلبس كالساعة في المعصم. وقدمت مسرحية

© 1988 by William Ecenbarger. Condensed from Philadelphia Inquirer Magazine (December 18, '88), Philadelphia, Pa.

في برودواي (*) بعنوان "احاجي ١٩٢٥" تضمنت مشهدا في مصح للذين فقدوا عقولهم هوسا بالكلمات المتقاطعة.

وتجاوزت حمى اللعبة المحيط الاطلسي. ولم يلبث المسؤولون المنهكون في حديقة الحيوان بلندن ان اعلنوا توقفهم التام عن الاجابة عن الاسئلة المنهمرة عليهم لمعرفة أسماء حيوانات غريبة، من ثلاثة أحرف أو أربعة.

محررو الشبكات. في الأربعينات هبط مستوى اللعبة الى حد يسهل حلها دونما خيال واسع. ولحسن الحظ برزت مجموعة جديدة من واضعي الاحاجي، مثل جاك لوزاتو الذي صاغ للنحلة صفة "طالبة رحيق" بدلا من "حشرة لاسعة". واستعمل مجدد آخر عبارة "دار نقار الخشب" بدلا من "بيت العصفور" للدلالة على "العش".

ومن المفارقات أن صحيفة "نيويورك تايمس"، التي كانت من أقوى الصحف الرئيسية مقاومة للصرعة، هي التي قادت عملية إحياء اللعبة وتجديدها. ففي العام ١٩٤٢ بعدما لينت موقفها بدأت تنشر شبكة كلمات متقاطعة في عدد يوم الاحد. وساعدت محررة الشبكة مرغريت فرار في إرساء كثير من القواعد والقوانين المتبعة حاليا: جميع الكلمات متشابكة، لا كلمات ذات حرفين، وتقليل عدد الكلمات ما أمكن. وهي استخدمت في شبكاتها معاني مستترة ومواضيع غامضة وأسماء علم وتعابير اجنبية.

لم تبدأ صحيفة "نيويورك تايمس" نشر كلماتها المتقاطعة يوميا إلا في العام ١٩٥٠. وما لبثت شبكاتها أن أصبحت مقياس الامتياز الأمريكي.

وأصبحت وظيفة محرر الكلمات المتقاطعة في هذه الصحيفة هي الاعظم اعتبارا في عالم الأحاجي. وعلى مدى نصف قرن تعاقب على هذا المركز ثلاثة فقط هم مرغريت فرار التي خلفها ويل ونغ عام ١٩٦٩ ثم المحرر الحالي يوجين ماليسكا منذ ١٩٧٧. وقراء ماليسكا لا يرحمون، فحين كان يعالج في المستشفى قبل سنوات أيقظه أحد الأطباء المتمرنين في السادسة صباحا ليوقع له على أحجية.

ويتعاقد محررو الكلمات المتقاطعة عادة مع واضعي شبكات مستقلين يطلقون على أنفسهم لقب "صائغي الالفاظ". فصوغ الأحاجي هواية. وهناك، على سبيل المثال، معلم بيانو ومتعهد بناء وموسيقي يساهمون في صوغ شبكات الكلمات المتقاطعة لصحيفة "واشنطن بوست". وتستقي صحيفة "نيويورك تايمس" مواد شبكاتها من متعهد بناء وسجين وممثل وقاض.

وعمل المحرر عادة هو صوغ الكلمات ـ المفاتيح التي تؤدي إلى تعريف الكلمة المطلوبة.

والمحررون يضعون أيضا شبكات يصوغونها بأنفسهم. ويعتبر وليم لوتوينياك في صحيفة "واشنطن بوست صنداي ماغازين" أغزر محرري الكلمات المتقاطعة إنتاجا على الاطلاق. وهو وضع أكثر من ٧٦٠٠ شبكة. وكان لوتوينياك إختصاصيا بفك رموز الشيفرة في وكالة الأمن الوطني بالولايات المتحدة. وهو أدهش الجميع في "الدورة المفتوحة في

(*) برودواي هو شارع المسارح في نيويورك.

الكلمات المتقاطعة" عام ١٩٨٧ في بلتيمور بولاية مريلاند اذ صاغ كلمات شبكة من ١٥ مربعا أفقيا و١٥ مربعا عموديا في ١٣ دقيقة و٩ ثوان، واستغرق ٣ دقائق أخرى لصوغ مفاتيح الكلمات.

موجة جديدة. محررو الأحاجي لا يلتزمون مجموعة قواعد عملية فحسب، بل يتبعون ايضا مبادىء اخلاقية. فمن سوء الصياغة ان تكون هناك كلمتان متقاطعتان غامضتا المعنى. وعلى واضع الأحجية ان يتفادى ما أمكن الكلمات التي لا يعثر عليها الا في زوايا القواميس الخفية وان يكن شاع استخدامها في شبكات الكلمات المتقاطعة.

وتدور حاليا حرب "اهلية" عنيفة داخل مملكة الكلمات المتقاطعة. فهذا الفن الذي يمارسه ماليسكا وأتباعه يشهد موجة جديدة. وإحدى نقط الخلاف هي أي الكلمات مسموح استخدامها. ويدّعي المجددون أن جميع الكلمات المتقاطعة مقبولة بما فيها التعابير التي لا يتضمنها القاموس، والأسماء التجارية.

ففيما يستخدم التقليديون كلمة «Dial» بمعنى قرص الهاتف، فقد يستخدمها المجددون للدلالة على الماركة التجارية لصابون معروف.

ستانلي نيومن هو أحد قادة المجددين ورئيس "الإتحاد الأمريكي للكلمات المتقاطعة" ومحرر الشبكات في صحيفة "نيوزداي" في لونغ ايلاند، وكان نيومن سابقا محلل سندات في وول ستريت، شارع المال في مدينة نيويورك.

يقول نيومن: "يجب أن تتطور أحاجي الكلمات المتقاطعة باستمرار. ولكن هناك أناس لا تتعدى ثقافتهم الشعبية كليشيهات الحرب العالمية الثانية يسيطرون في هذا المجال".

وسواء رجحت كفة التقليديين أو كفة المجددين فان الملايين من هواة الكلمات المتقاطعة سيستمرون في محاولاتهم العنيدة لحل ألغاز الشبكات. وستأتي ألعاب أخرى كثيرة وتروح، لكن الكلمات المتقاطعة ستبقى معنا ما دامت هناك كلمات.

وليم اسنبرغر ■

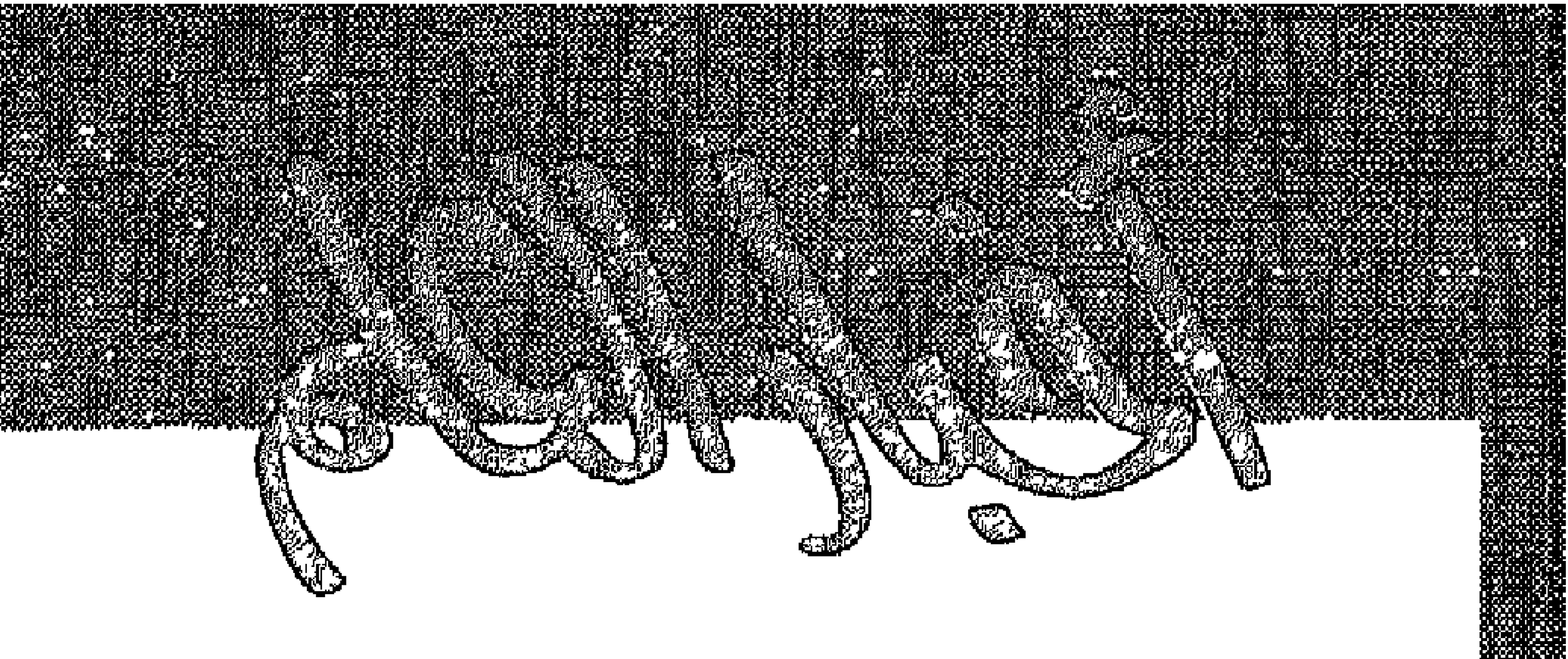


صغير على الساعة

لتسهيل العمل في ساعات الزحام وضع متجرنا الصغير قاعدة لاعادة زجاجات المرطبات الفارغة: لا تقبل الزجاجات بعد الخامسة عصرا. وذات يوم قدم أربعة صبيان صغار بزجاجاتهم قرابة السادسة والنصف. ولرغبتي في ايقاف هذه العادة سألت كلا منهم بلهجة صارمة ما اذا كان مطلعا على القاعدة. فهز ثلاثة منهم رؤوسهم أن لا، لكن أصغرهم قال انه مطلع. فسألته: "لماذا، اذاً، أتيت بهذه الزجاجات الآن؟"

فأجاب: "ما زلت أجهل قراءة الوقت يا سيدتي."

ج. ك.



ورود وشتول من مياه القاذورات

استنبط مهندسون في جامعة كورنيل في مدينة ايثاكا بولاية نيويورك نظاماً لمعالجة مياه البواليع يستطيع ان يولّد طاقة ويجعل المياه صالحة للاستعمال بأكلاف اقلّ من المألوف.

وباستخدام هذا النظام جراثيم لتصفية الاجسام الملوّثة الثقيلة، علاوة على إنماء نباتات في المياه المطهرة جزئياً، فانه يُنتج غازاً طبيعياً وشتولا زراعية قيمة فيما هو يطهر المياه.

واذا برهنت الدراسات ان هذه الطريقة عملية، على نطاق واسع، فقد تتمكن البلديات من الافادة من معالجة المياه المبتذلة. وفي ذلك يقول رئيس الباحثين وليم ج. جبويل: "بقطع النظر عن الارباح الناجمة عن نمو النباتات التزيينية او عن العلف الحيواني، يمكن مجاري منطقة تضم عشرة آلاف نسمة ان تولد سنوياً طاقة بقيمة اربعمئة الف دولار."

وعلى غرار الانظمة الاختبارية الاخرى، يُنبت نظام جامعة كورنيل نباتات في محلول من المياه المبتذلة الغنية بالمواد المغذية. لكنه لا يولّد رواسب طينية او فضلات مادية اخرى لان اقذار البواليع تنظّف قبلا بجراثيم قادرة على الحياة من غير حاجة الى اوكسيجين بدلا من الجراثيم الهوائية المستخدمة في الانظمة الاخرى. فالمياه الاكثر نظافة تتيح نمو نباتات اكثر نفعاً.

يقول جبويل: "كل انواع النباتات تقريباً تفضل نظامنا." ويمكن المحاصيل الغذائية ايضا ان تنمو بفضل هذه المياه شرط تعقيمها احترازاً من نشر جراثيم مضرّة."

كذلك يُنتج نظام كورنيل مقادير كبيرة من الغاز المستعمل تجارياً - الامر الذي لا تفعله الانظمة الاخرى - ومن الدُّبال الذي يمكن تحويله تُرباً او تسميد التربة الزراعية به. ويضيف جبويل ان هذا النظام لا يزال في حاجة الى اختبارات إضافية، وإن يكن المختبر "انتج" مياهاً قريبة الشبه، من حيث جودتها، بمياه الشفة.

ج.إ.ب.

جنين مدرّع

المدرّع (أرماديلّو) حيوان ثديي بارع في التخطيط العائلي: اذا عانت الانثى الحامل وطأة البيئة القاسية فانها تستطيع ايقاف نمو جنينها سنة أو أكثر ثم تدعه يعاود نموه عندما تتحسّن الظروف. هذه القدرة الخارقة المكتشفة حديثاً غير معروفة في أي من الحيوانات الثديية الاخرى.

صحيفة "واشنطن بوست"

حصان يطير!

منذ فجر العصر الفضائي ظلت الصواريخ الغالية الثمن والمجمّعات الارضية الضخمة مطلوبة لاطلاق الاقمار الاصطناعية. وحديثاً أعلنت شركتان أمريكيتان، هما شركة "العلوم المدارية" وشركة "هركوليس الفضائية"، مشروعا لاطلاق أقمار اصطناعية في مدارها من طائرة نفّاثة على علو شاهق. الامر الذي يجعل من كل مطار حسن الموقع مرفقاً فضائياً محتملا.

يقضي المخطط بأن تحمل طائرة "ب - ٥٢" أو طائرة مدنية معدّلة، الى ارتفاع ١٢ ألف متر، صاروخاً طوله ١٥ متراً مزوداً جناحين قصيرين وقد دعي "بيغاسوس" تيمّناً بالحصان الاسطوري الطائر. وخلال ١٢ دقيقة تتولى محركات الصاروخ العاملة بالوقود الصلب دفع حمولة الصاروخ البالغ وزنها ٣٨٥ كيلوغراماً الى مدار يرتفع حوالى ٤٠٠ كيلومتر عن الارض.

يستطيع "بيغاسوس" أن يعمل للفضاء ما عمله "آبل ٢" في حقل الادمغة الالكترونية: فتح المجال لعدد كبير من التطبيقات التجارية والعلمية التي لا يتصورها اليوم أحد. ويكلف "بيغاسوس" أقل من ١٠ ملايين دولار ثمناً له مع كلفة اطلاقه، وهذا المبلغ هو جزء بسيط من كلفة اطلاق صاروخ من منصة أرضية.

أول زبون لـ"بيغاسوس"، الذي يُتوقع أن يطير في منتصف العام ١٩٨٩، هو "وكالة مشاريع الابحاث المتطورة للدفاع" التابعة لوزارة الدفاع الامريكية. وتأمل الوكالة اثبات أن الصواريخ الرخيصة والسريعة الاطلاق يمكنها أن توجه الاقمار الاصطناعية التي ستنقل اشارات لاسلكية بين الطائرات المتباعدة أو الوحدات الارضية وتؤمن معلومات دفاعية مهمة.

تقرير "يو. إس. نيوز أند وورلد ريبورت"

من سمع فاغنر أولا؟

خلال استماعي الى اذاعة "متروبوليتان أوبرا" في نيويورك بعد ظهر يوم سبت، سمعت المذيع يسهب في عرض سؤال طرحه أحد المستمعين من شيكاغو. فقد أراد أن يعرف "مَن يسمع أولا الالحان الافتتاحية لمعزوفة "تانهاوزر" رائعة ريتشارد فاغنر (١٨٤٥): الناس الجالسون في شرفة الـ"متروبوليتان أوبرا" أم هو الجالس في بيته في شيكاغو؟"

أحيل السؤال على الخبراء فجاء جوابهم على الفور: نظراً الى أن سرعة الصوت هي ٣٤٤ متراً في الثانية، وهي تكاد لا تذكر بالنسبة الى سرعة موجات الراديو البالغة ٢٩٩٧٤٤ كيلومتراً في الثانية، فان النوطات الاولى للمعزوفة بلغت أذني الشاب الجالس في شيكاغو قبل أن يسمعها الجالسون على شرفة دار الاوبرا.

لكن ذلك كان صحيحاً قبل سنوات عندما كانت اذاعة الصوت تتم براً بواسطة الاسلاك. أما في هذه الايام، فنظراً الى رحلة الموجات الصوتية الى قمر اصطناعي ومنه الى الارض ثانية، والبالغة ٧٢ ألف كيلومتر، فان الجالسين على شرفة دار الاوبرا هم الرابحون.

و.ف.



علّموا أولادكُم أصُول التدبير المالي

كل سنة ينفق الاولاد في العالم مليارات الدولارات من مخصصاتهم. وينفق ذووهم مليارات اخرى بتأثير منهم. وكالراشدين تماماً، يعاني الاولاد مشاكل مالية تتصل بعمليات الإدخار والموازنة والصرف والهدر.

من المؤسف أن التدبير المالي قلما يعلَّم في المدارس. وقليلون هم الاهل الذين يبحثون مع أولادهم في الأمور المالية.

تقول لويس اوكونور وهي مستشارة مالية مرموقة: "عدد كبير من الناس يبلغون سن الرشد من دون أن يكون لديهم اي إلمام بتدبر أموالهم الشخصية. وهكذا يتعلمون التدبير المالي من طريق التجربة والخطأ، وخصوصا الخطأ."

والاولاد الذين يتعلمون الاصول المالية باكراً في الحياة يكسبون أفضلية على

Illustrations: Lisa Henderling

سواهم. ومن ناحية أخرى فإن إتقان التعامل بالمال يعزز الانضباط وعادات العمل الحسنة واحترام الذات.

هنا سبع طرق تساعد أولادكم على فهم أصول التعامل بالمال.

١. إبدأوا بتخصيص مبلغ معين كمصروف جيب للولد. فالمخصصات وسيلة حيوية لتعليم الاولاد وضع الموازنة والادخار واتخاذ القرارات. فعندما يخسر الأولاد مالهم أو ينفقونه بطريقة حمقاء، يتذكرون أخطاءهم ويتعلمون منها.

ربما سأل بعضكم ما هو المبلغ المناسب لهذه المخصصات. وجواب الخبراء أن ليس من مبلغ "ملائم" أو "صحيح."

لتخصيص مبلغ مناسب لولدكم، أقيموا له موازنة أسبوعية. الحظوا فيها مبلغاً للترفيه، مثل حضور السينما وتناول بعض الحلوى والشكولاته، وآخر للمصروف الضروري اليومي مثل طعام الغداء والتنقلات ولوازم المدرسة. وتقول جوزفين سوانسون الاختصاصية بشؤون المستهلك في جامعة كورنيل في ايتاكا بنيويورك: "إذا جعلتم الولد مسؤولا عن تسديد هذه "الفواتير"، فإن ذلك يعلمه موازنة مصاريفه الضرورية."

أخيراً، أضيفوا الى المخصص مبلغاً إضافياً كي يتمكن ولدكم من الادخار. واحرصوا، إذا أمكن، على أن تجعلوا مخصص ولدكم متكافئاً ومخصصات أصدقائه. فالولد الذي لا يستطيع أن يجاري اقرانه في الانفاق قد يشعر بأنه منبوذ أو مهمل. كما أن الولد الذي يتفوق على أقرانه في مقدرته على الشراء قد يدفعه غروره الى التباهي أو الى شراء الصداقات.

تجنبوا ما أمكن تقديم أي عون مالي لولدكم لاخراجه من مأزق وقع فيه لخطأ ارتكبه. قد يصعب عليكم ذلك، لكنه أمر حاسم. عندما كانت بروك ستيفنز في العاشرة من عمرها في جاكسونفيل بولاية فلوريدا، كانت أمها تعطيها خمسة دولارات أسبوعياً، وكان عليها أن تدفع منها ١،٧٥ دولار ثمن وجبات الغداء وأجرة الحافلة. وكانت أمها تقول لها: "إذا ضيعّتِ مالك فسوف تعودين الى البيت على قدميك."

ذات أسبوع أنفقت الفتاة كل مالها في دكان للحلوى ثم اتصلت بوالدتها كي تنقلها بالسيارة. وتتذكر بروك ستيفنز ذلك اليوم: "رفضت والدتي طلبي وجعلتني أعود الى البيت سيراً. في البدء تميزت غيظاً. لكنني أدركت في النهاية أنها تحاول أن تعلمني درساً مهماً."

ينصح الخبراء بعدم ربط المخصص مباشرة بالاعمال التي يؤديها الولد. فالاولاد يجب أن يساعدوا في أعمال البيت، ليس لانهم يتقاضون أجراً على ذلك بل لأنهم أفراد في أسرة واحدة وعليهم أن يشاطروا ذويهم المسؤولية. ولكن إذا أدى الولد أعمالاً إضافية فلا بأس من إعطائه مالاً مكافأة لعمله، فذلك يساعد في تنمية روح المبادرة لديه.

٢. دعوا الاولاد يعملون بعض الوقت. يقول البروفسور مارك شاغ أستاذ التربية في جامعة ميلووكي في

وسكونسن: "غالباً يعزز العمل ثقة الولد بنفسه. فعندما ينمو الولد وتتسع خيارات العمل أمامه يدرك أنه أصبح ذا قيمة أكبر في ما يساهم به تجاه المجتمع."

والأعمال التي يستطيع المراهقون تأديتها متوافرة في مطاعم الوجبات السريعة والمخازن الكبرى والمؤسسات الرياضية والترفيهية والمراكز التجارية ومحطات الوقود، حيث يستكشف ذوو الحس التجاري امكانات الربح وفرص العمل. ففي هيلزديل بولاية وسكونسن بدأت تانيا همفري وهي في الثالثة عشرة من عمرها تجارة صغيرة لشراء الخيول وبيعها. وبعد بضعة أشهر وظفت أختها تامي (١٦ عاماً) مالاً ادخرته من عملها في مشروع نفذته المنظمة الريفية للشباب برعاية وزارة الزراعة الاميركية، فافتتحت دكاناً للوازم الفروسية من سروج وألجمة وخوذ وسواها.

ولكن لا تدعوا الاولاد يبالغون في هذه الاعمال، إذ ربما عاق العمل لساعات طويلة التحصيل الدراسي او الواجبات العائلية أو النشاطات الاجتماعية. هناك قاعدة مبنية على التجربة العملية مفادها أن الحد الاقصى لساعات العمل ايام المدرسة هو بين ١٠ ساعات و١٥ ساعة في الاسبوع.

٣. **علموا أولادكم الادخار.** هذا الطبع أسهل قولا مما هو فعلاً. فأولاد اليوم معروفون بسعيهم الفوري الى المتعة. لذلك ينبغي أن نقدم اليهم أسباباً وجيهة للادخار.

يمكنكم البدء بالحد من التقدمات الخاصة التي تهبونها لأولادكم، مثل الدراجات الفخمة والثياب الفاخرة الباهظة الثمن. اشرحوا لهم أنهم إذا رغبوا في أشياء أغلى ثمناً وأعلى قيمة في المستقبل، فعليهم في الوقت الحاضر أن يضحوا بأشياء أقل أهمية.

ولكن يجب ألا يغيب عن بالكم أن الادخار للمستقبل، بالنسبة الى ولد في الثامنة أو التاسعة من عمره، قد يعني الادخار لشراء شيء ما في الشهر المقبل ولبس في السنة المقبلة.

والافضل اعتماد حساب توفير للادخار الطويل الامد من أجل شراء أشياء غالية مثل دراجة أو آلة تسجيل. وعادة الادخار تجعل الاولاد في النهاية يقدرون الاشياء التي جهدوا للحصول عليها.

٤. **علموهم كيف ينفقون بحكمة.** اصطحبت ليندا باربانيل، وهي طبيبة نفسانية في مدينة نيويورك، ابنها اريك (٦ سنوات) الى ثلاثة مخازن مختلفة تفتيشاً عن "كنز ضائع". وكان الهدف أن يجدا جهاز راديو معيناً لتقديمه هدية الى والد اريك، وبأفضل سعر. ومكافأة للطفل على الجهد الذي بذله كسب ١٠ دولارات هي الفرق بين أعلى سعر وجداه، وأدنى سعر. ذلك المبلغ كان الدليل الحسي للربح الذي يجنيه الفرد من التفتيش عن صفقة رابحة.

٥. **امنحوا أولادكم فكرة عن النفقات المتوجبة على الراشدين.** ان عدداً كبيراً من المراهقين يعيشون في عالم مالي غير واقعي. فهم يعيشون في

البيت مع ذويهم، لذلك تظل نفقاتهم المعيشية محدودة. وهذه "البحبوحة قبل الاوان"، كما يدعوها جيرالد باكمان أستاذ علم النفس الاجتماعي في جامعة ميشيغن في آن آربور، تعرضهم لصدمة لاحقة عندما يصبح متوجباً عليهم دفع بدل ايجار وثمن ما يستهلكون من ماء وغاز وكهرباء وطعام وملابس ورسوم نقل.

الاولاد الذين لا يطلعون على حقائق الموازنة المنزلية في سن مبكرة يضطرون في وقت لاحق الى التخلص من عادات إنفاق سيئة اكتسبوها. ولمساعدة أولادكم الشباب على مواجهة المستقبل اجعلوهم مسؤولين عن اتصالاتهم الهاتفية الخاصة وعن فواتير تصليح سياراتهم وثمن وقودها وعن جزء من نفقات المنزل. وافتحوا لهم دفاتركم ودعوهم يرون أين يذهب مالكم. وهكذا تساعدونهم على فهم الامور التي ينطوي عليها التدبير المنزلي.

٦. اشرحوا لاولادكم الطريقة الصحيحة لاستخدام تسهيلات التسليف. تأكدوا من أنهم يدركون جيداً أن الدَّين، مهما يكن نوعه، يكلف مالا وانه ليس طريقة لتعزيز الدخل او بديلا من التخطيط الصحيح، بل انه يستخدم فقط في الحالات الطارئة او للافادة من ظروف استثنائية كشراء شيء نافع وثمين يحتفظ بقيمته على المدى الطويل.

يمكنكم أن تمرنوا ولدكم على الاساليب المعتمدة في التسليف مستغلين رغبته في شراء شيء غال كدراجة أو دماغ الكتروني لاستعماله الشخصي، باعطائه قرضاً يسدد أقساطاً مع اعداد الاوراق اللازمة لذلك.

عندما أراد كريس ليف (١٦ عاما) شراء مركب شراعي ثمنه ٧٥٠ دولاراً، اعطاه والداه قرضاً بموجب عقد وقعه وحددا فيه نسبة الفائدة وتواريخ ايفاء الاقساط الشهرية وما يتوجب عليه في حال تأخره في تسديد المبلغ. وذات شهر تأخر كريس يوما واحداً، فاستوفت منه والدته الغرامة المحددة. وعندما احتج على ذلك قالت له: "لست والدتك الان، بل مصرفك."

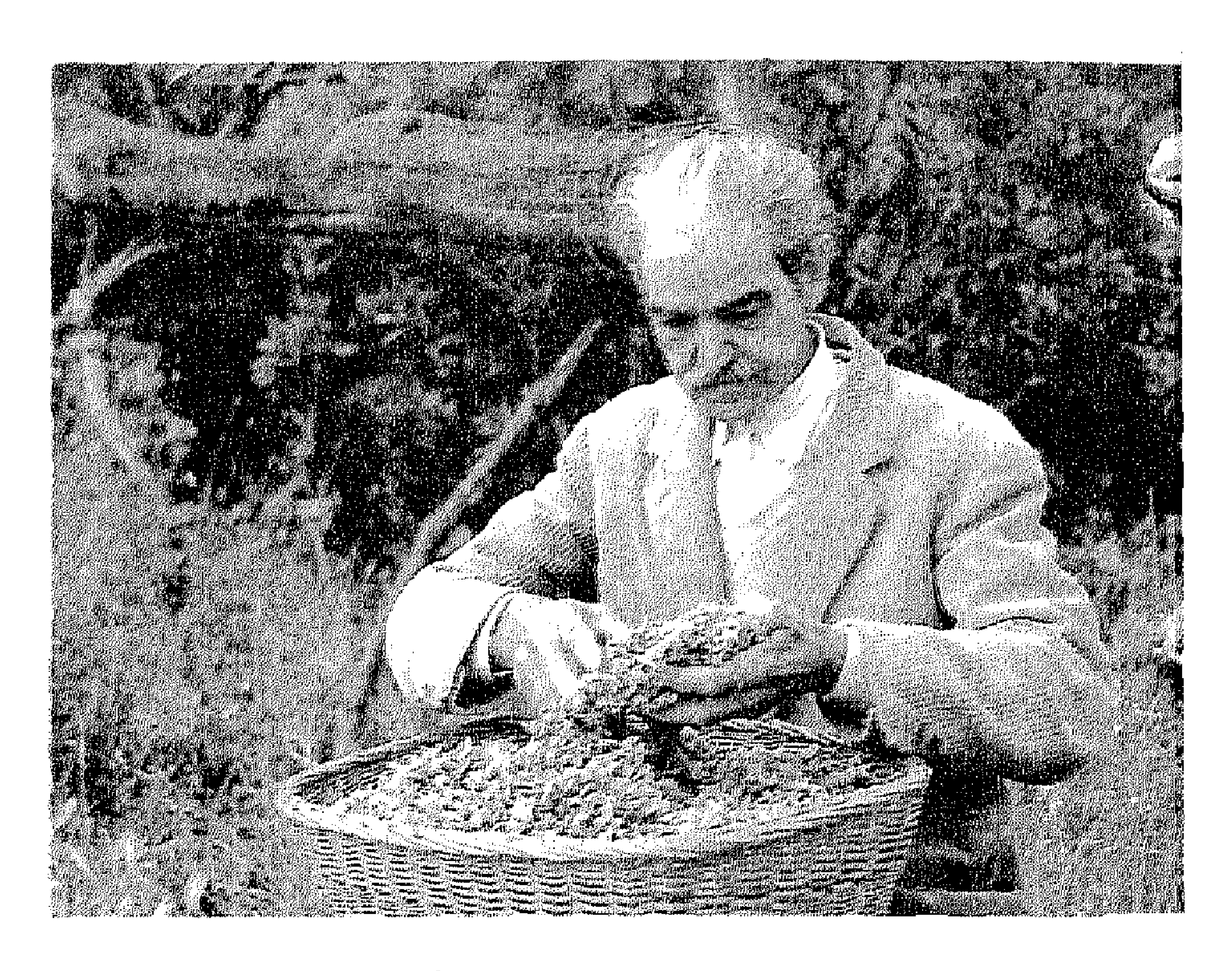
٧. أعطوا أولادكم المثل الصالح. الاولاد، حتى في سن الطفولة، يتعلمون بالمراقبة. فاذا كانت الفواتير موضوع نقاش عائلي مستديم، او إذا أهمل الادخار من أجل الظهور ببحبوحة أمام الجيران، فالاحتمال كبير أن يحذو الاولاد حذو الأهل. ومنكم ايضاً يتعلمون كيف ينظرون الى الاحسان، أتراه مهماً أم غير مهم.

تراجعوا قليلا وتأملوا مواقفكم حيال المال. هل تستخدمونه مثلاً كبديل من الحب؟ بعض الآباء يغدقون الهدايا على أولادهم لتعويض غيابهم عنهم. وهذا درس سيىء، فالهدايا بدل الحب تزرع بذور التعلق بالمادة، والانشغال بها عن الشؤون الروحية والفكرية.

ضمة، ابتسامة، قبلة، لقاء حميم، هذه أمور لا تشترى بالمال. وربما كان ذلك أهم درس مالي.

ماري هودج ■

الطبيعة الشافية



في تلال سردينيا النائية
وجد مريض القلب طمأنينة كانت له أفضل دواء

بدت الطريق مقفرة. وفي المدى عبر الضباب الرقيق انتصبت قمم سوبرامونتي المثلثة. كنت متوجهاً نحو بارباغيا، وهي منطقة قليلة السكان في سردينيا، فانعطفت نحو طريق تتعرج بين التلال السامقة، ثم انحدرت متمهلا عبر طريق ترابية ضيقة أوصلتني في النهاية الى ملتجأ على منحدر احدى التلال. تساءلت كيف يمكن شخصاً تعرض لسكتة قلبية أن يستعيد صحته بالمجيء الى هذا المكان ليعيش في عزلة تامة.

كان الرجل الذي استقبلني ناحلا حسن المظهر وقد لوحت الشمس وجهه. انه برونو بيريدا، عجوز في السادسة والسبعين يعيش في كوخ بسيط مؤلف من طبقتين، لكنه بدا كأنه لورد من النبلاء عندما اقتادني الى الحديقة والبستان اللذين زرعهما في مملكته الصغيرة. قال لي: "كانت هذه الارض بكراً عندما أتيت لاسكنها عام ١٩٧٤. ولم تكن ثمة طريق

Photos: Vincenzo Frigo, Cagliari

للوصول اليها. في البدء كنت أنام في ملتجأ بنيته في شجرة فلين. إلا ان هذا الجانب من التلة كان لي بمثابة مستشفى، وكان الهدوء المخيم هنا أفضل دواء لي."

توسط مائدة غدائنا طبق من السلطة المعدة من الاعشاب البرية والخس المقتلع من حديقته والعسل المجني من نحله. ثم جاءني بشراب فاخر صنعه من العسل.

لم يكن يبدو عليه شيء من علائم المرض القاتل.

لجوء الى الريف. ولد بيريدا في نورو بسردينيا، في ٢٩ سبتمبر (أيلول) ١٩١٣ في عائلة عاشت أجيالا طويلة ولا تزال تعيش ملتصقة بالارض. درس الطبيعة حوله بشغف طوال حياته. عندما كان صبياً قرأ كتباً عن الحشرات، وجمع أنواعها المختلفة من نحل ونمل وزنابير وفراشات حتى عج بها منزل والديه. تسلق قمم الجبال كالماعز. وفي سن المراهقة كان يمضي الليالي خارجاً ومعه مرقاب (تلسكوب) يرصد به النجوم.

خلال الحرب العالمية الثانية أسر في افريقيا وسجن في الولايات المتحدة لمدة سنتين. وبعد الحرب عاد الى نورو. وفي العام ١٩٤٧ تزوج مادلينا سابا التي انجبت له خمسة صبيان. وفي ١٩٥١ التحق بمكتب السياحة في نورو حيث عمل حتى ربيع ١٩٧٤.

في أوقات فراغه كان ينجذب دائماً الى مغاور سردينيا محاولا اكتشافها "وادخال النور حيث لم يسبق للنور أن دخل يوماً." أصبح محترفاً في دراسة الكهوف والمغاور على هذه الجزيرة الكبيرة ذات الترسبات الكلسية الصخرية القديمة. أسس عام ١٩٥٦ "غروبو غروتي نوريسي" وهي منظمة متطوعين معروفة عالمياً ببعثاتها الاستكشافية الخطرة تحت الارض، وهو لا يزال يرئسها. وقد اكتشف فريقه مصادر للمياه ومواد مهمة في حقول الجيولوجيا وعلم الاحاثة وعلم الاثار وسواها.

وذات عصر حار من شهر أغسطس (آب) ١٩٧٤ كان بيريدا (٦٠ عاماً آنذاك) يعمل على تجهيز آثار مستخرجة من كهف بغية عرضها في المتحف. فجأة انتابه ألم شديد في كتفه وصدره تبعه "احساس بالموت."

بقي بيريدا في قسم العناية الفائقة مدة أربعة أيام. وألحقت النوبة بقلبه ضرراً كبيراً. أمره الاطباء بالحد من نشاطاته وتجنب الارهاق، ونصحوه بالبقاء في قسم العناية الفائقة لمزيد من المعالجة والمراقبة. لكنه فضل أن يترك المستشفى حاملا معه كمية كبيرة من الادوية.

وهكذا بدأت حياته الجديدة. أخبرني بيريدا: "علمت أنني لن أعيش طويلا وعائلتي القلقة تحوم حولي وأصدقائي يؤاسونني. ولتأمين الحياة غير القلقة التي وصفها لي الاطباء وجب علي أن أكون وحدي، وهذا أمر أستطيعه على أفضل وجه في الريف."

"إعرف نفسك." عام ١٩٧٣ قبل أشهر قليلة من تقاعده في مكتب السياحة،

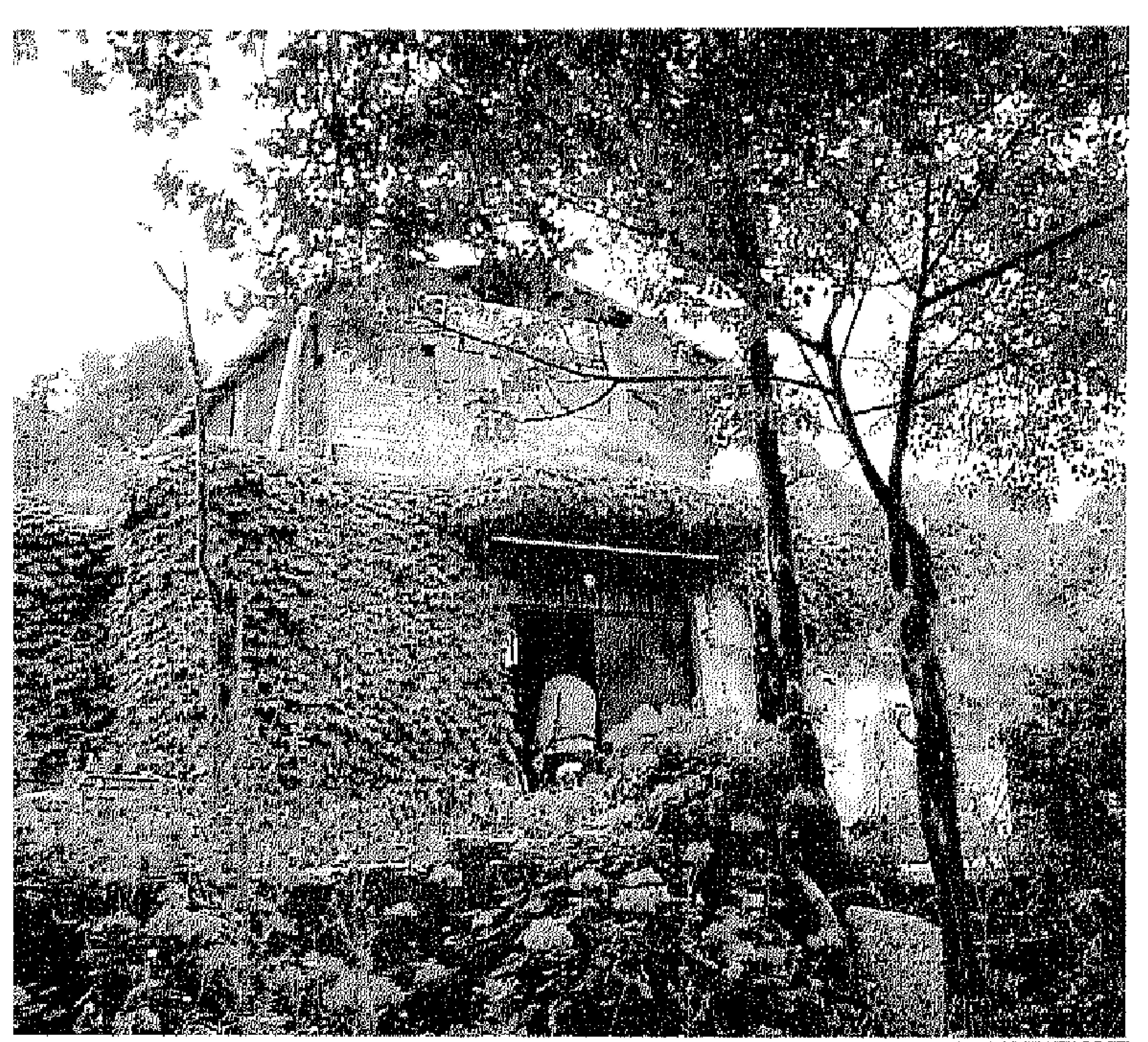


اشترى بيريدا قطعة أرض في مونتريكوس، في القفر الذي يقع على سفح جبل أورتوبيني على بعد حوالى ١٦ كيلومتراً من نورو. فالتجأ في محنته الى تلك القطعة من الارض.

العيش بعيداً عن زوجته وولديه الاصغرين والتخلي عن عالم الكهوف سببا له ألما شديداً. وهو شرح لي الامر جازماً: "لكن حياتي كانت على المحك." كانت عائلته مؤمَّنة بالحصول على معظم معاش تقاعده. وعلى رغم صعوبة الموقف بالنسبة الى أفرادها فقد تقبلوا هذا التدبير الغريب لاجل صحة بيريدا.

عندما بدأ بيريدا حياته على أرضه كان في حال صحية سيئة. كان كئيباً متوعكاً يتناول تسع حبات دواء في اليوم. وكان الوقت يمضي ببطء في البداية، فأخذ يقلق على ما ستكون حياته من دون سجائر ولا هاتف. كان معظم الوقت يركز على ضربات قلبه: "انه احساس بشع وكأن شوكة تغرز عميقاً في لحمك. مرت علي ليال كان قلبي أثناءها يخفق ببطء وبلا انتظام الى درجة جعلتني أتساءل ان كان الفجر سيطل علي من جديد." كان يشعر دائماً باللامبالاة والحيرة. وكانت الادوية تزعج عملية هضم الطعام وتجعل منه انساناً ناعساً بليد الحس.

ساعده العمل الجسدي.



(فوق) ملتجأ بيريدا الاول في شجرة الفلين. (تحت) مسكنه الحالي.

بنى ملتجأه في شجرة الفلين ليكون في مأمن ليلا من الذئاب والدببة والهرر البرية. وعلى رغم أنه استخدم رجلا مع جرافة لشق طريق الى أرضه، فقد بقي عليه القيام بعمل مضنٍ في تنظيف درب ترابي على جانب التلة الشديد الانحدار المليء بالصخور والمكسو بشجر الآس والزيتون البري. وعلى رغم ضعفه الجسدي فقد رحب بالمشهد الجديد. فها هو الرجل الذي أحب الطبيعة طوال حياته يصل الى أرض أحلامه.

قال لي: "يمكنك أن تدعوها الرياضة الارضية البطيئة. كانت أرضي في حاجة الى تنظيف، وكنت انا في حاجة الى الحركة من أجل دورتي الدموية. تصورت أنني اذا استطعت المحافظة على حيوية جسدي بالرياضة الخفيفة وتمكنت من العيش بهدوء، فسيكون قلبي أيضاً أكثر حيوية وهدوءاً. كانت مواجهة هذه الحياة المنقوصة تتطلب شجاعة مختلفة عن تلك التي يتطلبها استكشاف المغاور الخطرة. وقد كانت لليونانيين القدماء حكمة تقول: اعرف نفسك. هذا ما تعلمته في المدرسة، لكني هنا أدركت معناه."

ان اكتشاف الذات أتى بطرق جسدية أولا عندما أصبح بيريدا طبيب نفسه. اكتشف أن قلبه يعمل أفضل عندما يتناول وجبات خفيفة من الحشائش البرية والجبنة الخفيفة وثمار العليق وغيرها من الفواكه البرية وسمك الجدول في بعض الاحيان. كما أنه شعر بالتحسن بعد تخليه عن نصف كوب من النبيذ مع وجبات الطعام كان سمح به طبيبه في المدينة. وتعلم تجنب التيارات الهوائية ونور الشمس الساطع والنوم عندما يشعر بالدوار لتجنب الاغماء. قال بيريدا: "ثم بدأت أكتشف سراً عجيباً وهو أن أكون موجوداً ولا أفكر في وجودي. على المرء ألا يكون عبداً للصيغ الموضوعة. تعلمت تدريجاً أن أفعل ما أريد عندما أريد وأن أفكر في ما يمكنني أن أفعل وليس في ما لا استطيعه. وذات يوم أدركت أن قلبي عاد يدق بانتظام ومن غير أن أشعر به."

الفلاح العالم. تحسنت صحة بيريدا الى حد أنه قلل من تناول الادوية. وفي وقت وجيز استغنى عنها كلياً. قال: "ان الطبيعة في تغير دائم. وبمجرد مراقبة هذه التغيرات عن كثب يشارك المرء في تحولاتها الكبيرة."

كانت عمليات حراثة الارض وشق الاثلام والممرات والزراعة نشاطات مثمرة وشافية ووسيلة لبناء سلامة الجسم والعقل. قال بيريدا: "ان زراعة زهرة والامل في رؤيتها تبرعم أمر يتطلب البقاء ويعجل عملية شفاء المريض. والى ذلك فانني لم أكن وحيداً."

خلال الليل، في الصيف الاول، سمع بيريدا أصوات العنادل وراقب طيور البوم "التي كانت تحت أشعة البدر تطوف بين الاشجار وكأنها ترقص خفيفة كالمناديل." وعندما عقب الشتاء فصل الخريف الاول لاحظ عصافير الحناء الجائعة، فكان يحفر الارض لاستخراج الديدان واطعامها حتى صارت تثق به وتأتي لتقتات من يديه.

عام ١٩٧٦ سمح بيريدا لنفسه باستقبال أفراد عائلته وأصحابه

المقربين، ومع خمود عوارض مرضه خمد خوفه من الاصابة بأزمة قلبية ثانية. لقد توصل الى حال طبيعية مستقرة هادئة.

ورويداً كبر بستانه على منحدر التل فحوى الخضر والحشائش وكرم عنب صغيراً وبستان فاكهة. ويتذكر بيريدا: "في سنتي الثالثة هناك عندما تذوقت خوخة، وكانت أولى الثمار، قلت لنفسي مندهشاً: لقد عشت! وبصراحة، لم أكن اتوقع أن ابقى حياً طوال تلك المدة."

وكانت أوقات شعر فيها بيريدا بالملل. قال: "ليس هنالك شيء قاتل للصحة مثل الضجر." أما الحل بالنسبة اليه فكان اكتشاف النباتات البرية التي يعتبرها علماء النبات مفيدة في محاربة أمراض جمة وشفائها. كان يسهر الليالي مكباً على مراجع علمية، كما كان يطوف الارض جامعاً النباتات. وهو اكتشف عشرات الاعشاب المفيدة، بينها واحدة مفيدة له معروفة بالفراسيون تستعمل احياناً لتنظيم تقلصات القلب.

ميراث ومعرفة. جهز بيريدا مختبراً صغيراً داخل كوخه لتحضير أدوية نباتية. وهو يقدِّر أن النباتات التي تنمو حوله، البرية والمزروعة، يمكنها أن تحارب أكثر من مئة مرض عندما تتحد ميزاتها.

لقد كان شفاء برونو بيريدا مذهلاً. يقول الدكتور ماركو بيتاليس رئيس قسم الامراض القلبية في مستشفى سان فرنسيسكو في نورو: "كان اختياره العودة الى الطبيعة فاعلاً الى حد لا يمكن انكاره." وتضيف ماريزا كوالبو رئيسة وحدة التخدير والتنشيط: "ان نظامه الغذائي النباتي وحياته الهادئة في الطبيعة جاءا بالعجائب."

ويعتبره أبناء نورو اليوم مرجعاً في أعشاب سردينيا ونباتاتها الطبية. أما هو فقد علَّم هذا الموضوع في المدارس المحلية وفي حلقة دراسية أقامها لمرشدي السياح في الجزيرة. وهو يعمل أيضاً على تمرير معلوماته الى ابنه البكر ميشال وزوجة ابنه لوتشيانا. وقد أقيمت مزرعة للعائلة على جانب التلة حيث تباع الادوية. قال لي بيريدا: "جميل أن أعلم أنني سأترك ورائي ليس فقط ميراث هذه الارض بل أيضاً معرفة مفيدة لصحة الانسان."

ويقصد بيريدا زوار كثيرون في هذه الايام. وهو قال لي: "ما زلت أعتبر هذا المكان منسكاً، لكني أحب دائماً أن أرحب فيه بالاصدقاء."

زحف الظلام على مونتريكوس فقمت على مضض أستعد للرحيل. قال بيريدا: "شعرت بالموت يلاصقني عندما أتيت الى هنا عاجزاً. لكنني سرعان ما أدركت أنني سأعيش. وها أنا اليوم أكبر بأربع عشرة سنة وأشعر بأن الموت بعيد جداً عني."

وسكت لحظة ونحن نراقب التلال البعيدة ثم تابع: "اكتشفت أن الحياة الهادئة والمنتجة هي دواء قوي يشفي."

وفكرت: ان أكثر ما يلفت في انتصار بيريدا على الموت هو أنه حصل تدريجاً وتلقائياً، "بل طبيعياً" كما يقول.

جان بونر شلنوف ■

عاش الكاتب ١٧ سنة في ايطاليا وكتب عدة مقالات عن تلك البلاد.

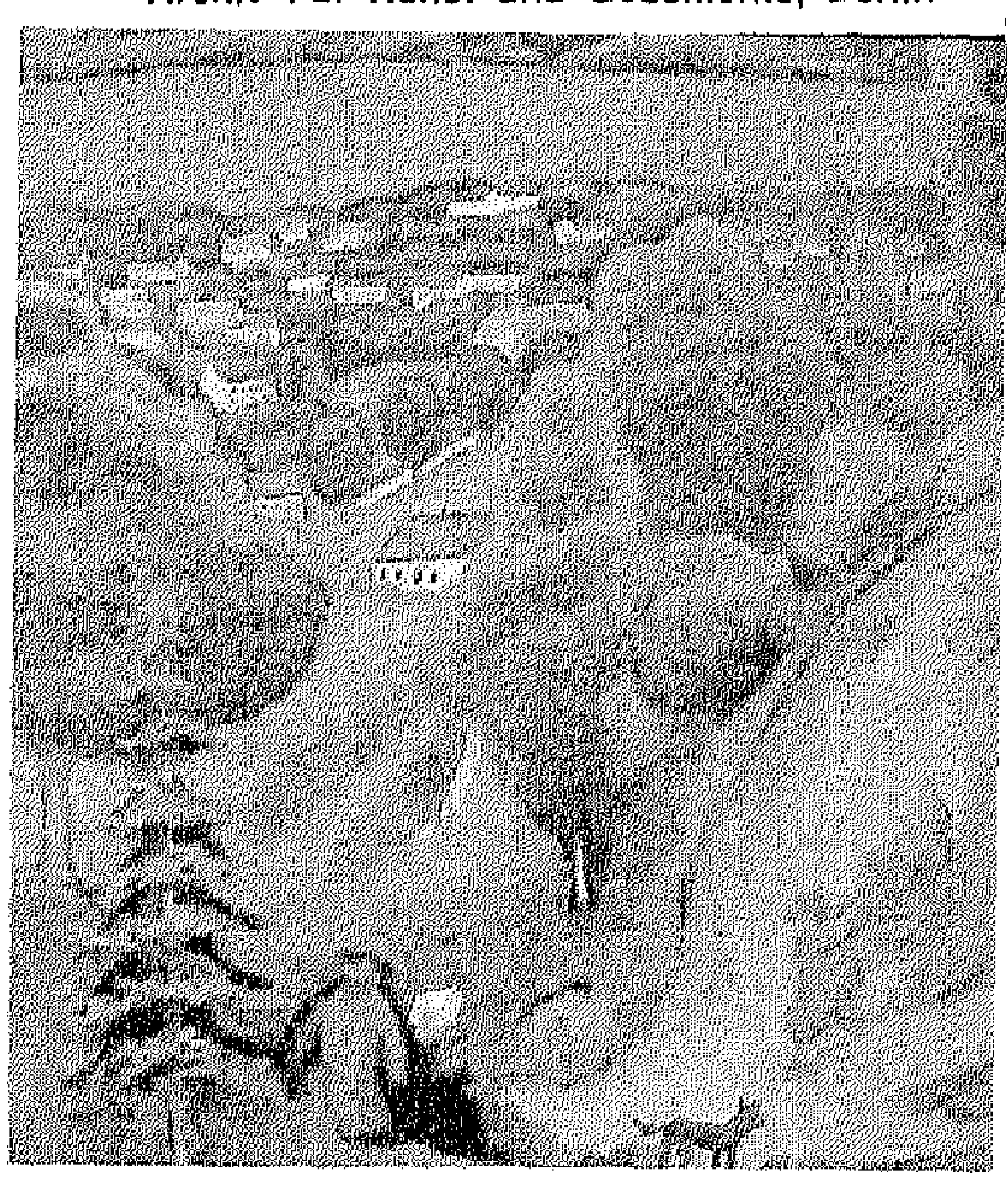


رحلة في سندس يغتسل بنور الشمس

Archiv Fur Kunst und Geschichte, Berlin



Archiv Fur Kunst und Geschichte, Berlin

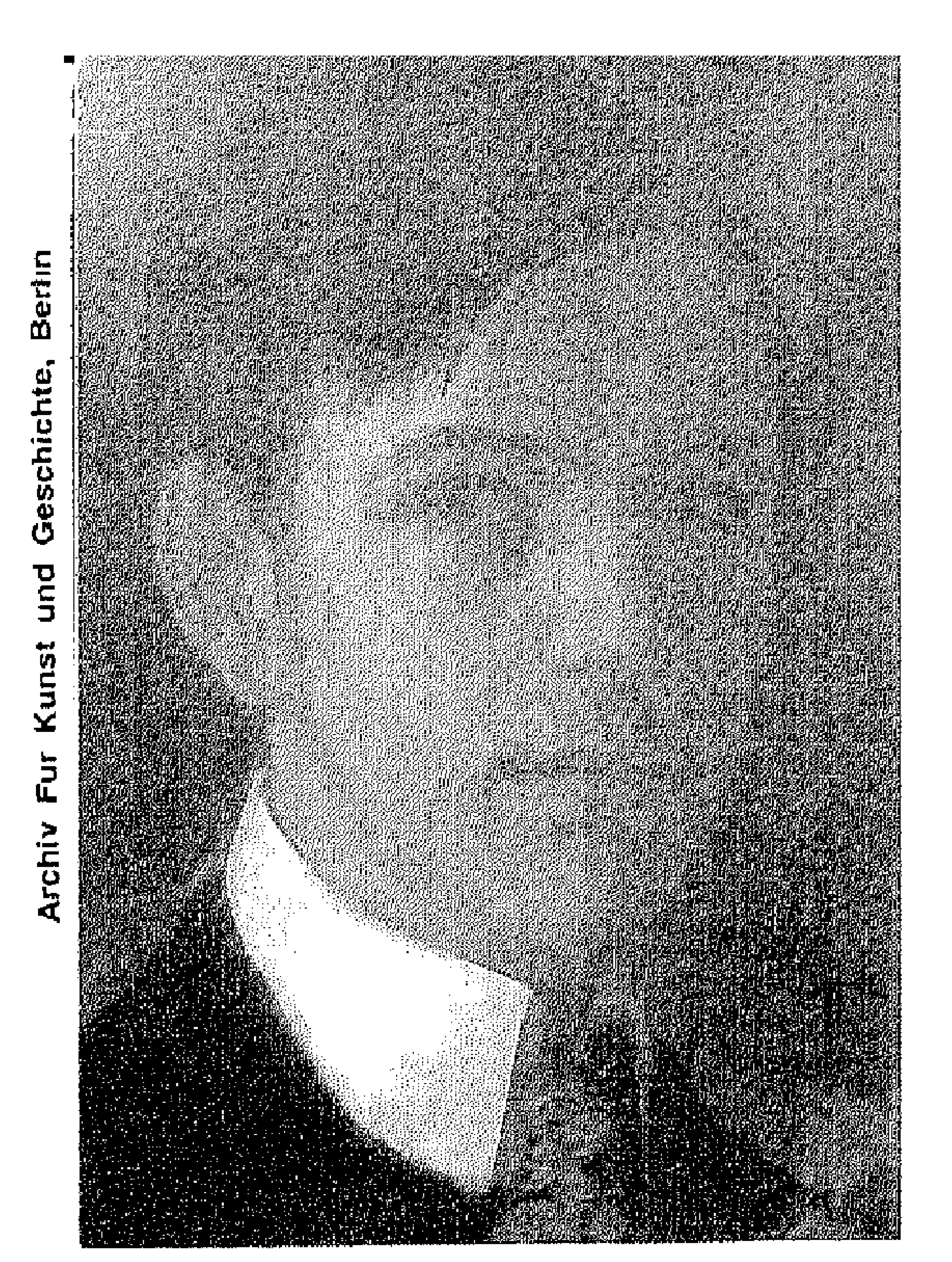


من اليمين:

"رجل وكلبه على ضفة بحيرة تغرنسي" احدى لوحات ماكي الصافية.

"الباليه الروسي"، ١٩١٢.

لوحة "متجر الازياء" معروضه في "متحف ولاية وستفاليا للفن والترات" في مونستر.



Archiv Fur Kunst und Geschichte, Berlin

كتب الرسام التعبيري فرانتز مارك في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩١٤ عن صديقه أوغست ماكي: "هو، أكثر من أي شخص آخر، أعطى اللون إشراقه ومظهره الانقى. كما أعطاه وضوحاً ولمعاناً عكساً ما كان يختلج في أعماقه. لم تعرف المانيا بعد كم هي مدينة لهذا الرسام الشاب."

واليوم، بعد مرور ٧٥ عاماً، تكتشف المانيا رسامها التعبيري ماكي الذي توفي عن ٢٧ عاماً. وأعماله معروضة على الدوام في متاحف عدة في وطنه وفي الخارج. وقد نظم له معرض خاص قبل فترة وجيزة اعتبر واحداً من أنجح

Bruckman Bildarchiv Munchen

المعارض الفردية التي شهدتها المانيا الغربية.

يقول كلاوس شرنك نائب مدير متحف الفن في العاصمة بون: "واجه الناس في السبعينات موجة قوية من الفن المتطلب فكراً وثقافة. والآن تجدهم في مرحلة استرخاء في دفء اللوحات الجميلة ببساطتها."

وفي هذه الأثناء حلّقت أسعار لوحات ماكي، وبينها نحو ٨٠٠ زيتية ومائية وأكثر من ٨٠٠٠ رسم أبدعها في أقل من عقد، ووصل ثمن بعضها الى مليوني مارك (نحو مليون دولار). وقد كتب ماكي مرة الى رفيق الدراسة الرسام هانس توار: "ان عملي، بالنسبة الي، هو مشاركة مبهجة للطبيعة ولوهج الشمس وللاشجار وللناس."

ولد أوغست ماكي في الثالث من يناير (كانون الثاني) ١٨٨٧ في بلدة ميشيد من أعمال وستفاليا. وبعيد مولده انتقلت عائلته الى مدينة كولونيا ومن ثم الى بون. وفي كلتا المدينتين كان الاخفاق نصيب أبيه، وهو مهندس ومتعهد بناء.

وفي المرحلة الثانوية من دراسته لم يبرع أوغست الا في الرسم. وكان شديد الاعجاب بالرسام السويسري أرنولد بوكلين الذي بدت لوحاته الكئيبة كأنها تعكس خيبة أوغست في تلك الحقبة من حياته.

في السن السادسة عشرة التقى أوغست اليزابيت غرهارت التي كانت دونه بصف دراسي واحد. وكانت عائلتها من الطبقة الوسطى الميسورة في الراين المتسمة بالانفتاح وتشجيع الثقافة. فما لبث أوغست أن وجد في هذه العائلة بيتاً ثانياً. وأصبحت اليزابيت نموذجه للرسم.

وكتب بفرح عارم الى توار: "أنا محظوظ الى حد يفوق الوصف."

عام ١٩٠٤ دخل ماكي الاكاديمية الملكية للفنون في دوسلدورف ليدرس الرسم. وبعد عام واحد التحق بمدرسة ليلية للفنون والحرف. والى ذلك صمم مشاهد وأزياء لمسرح دوسلدورف الوطني.

وفي العشرين من عمره ذهب في رحلته الاولى الى باريس بتمويل من أحد أعمام اليزابيت، الذي أصبح منذ ذلك الوقت راعياً سخياً للفنان الناشيء. واكتشف ماكي في لوحات ادوار مانيه وادغار دوغا النور المرسوم، كما اكتشف أحد المواضيع المحببة لديه في المستقبل: النزهات في الريف. لقد ولى عهد اللوحات المظلمة الكئيبة.

وقال أوغست متحدثاً عن تحوله: "أشعر كأنني خرجت من فوهة بركان الى نور الشمس." وفي العام ١٩٠٩ تزوج اليزابيت وانتقل معها الى منزل على ضفاف بحيرة تغرنسي في بافاريا. وتمكن في ١٢ شهراً فقط من رسم عشرات اللوحات المائية وما يزيد على ١٥٠ لوحة زيتية.

وفي أكتوبر (تشرين الاول) ١٩١١ دعاه فرانتز مارك الى مشاركته هو وفاسيلي كاندينسكي في اصدار تقويم(★) "سيصبح مركبة لنقل كل الافكار الجديدة والأصلية في أيامنا." وأطلق الثلاثة على مشروعهم الطموح اسم "الفارس الازرق" المستوحى من عنوان

(★) Almanac

Condensed from Art (July '87), © 1987 by Art, Hamburg

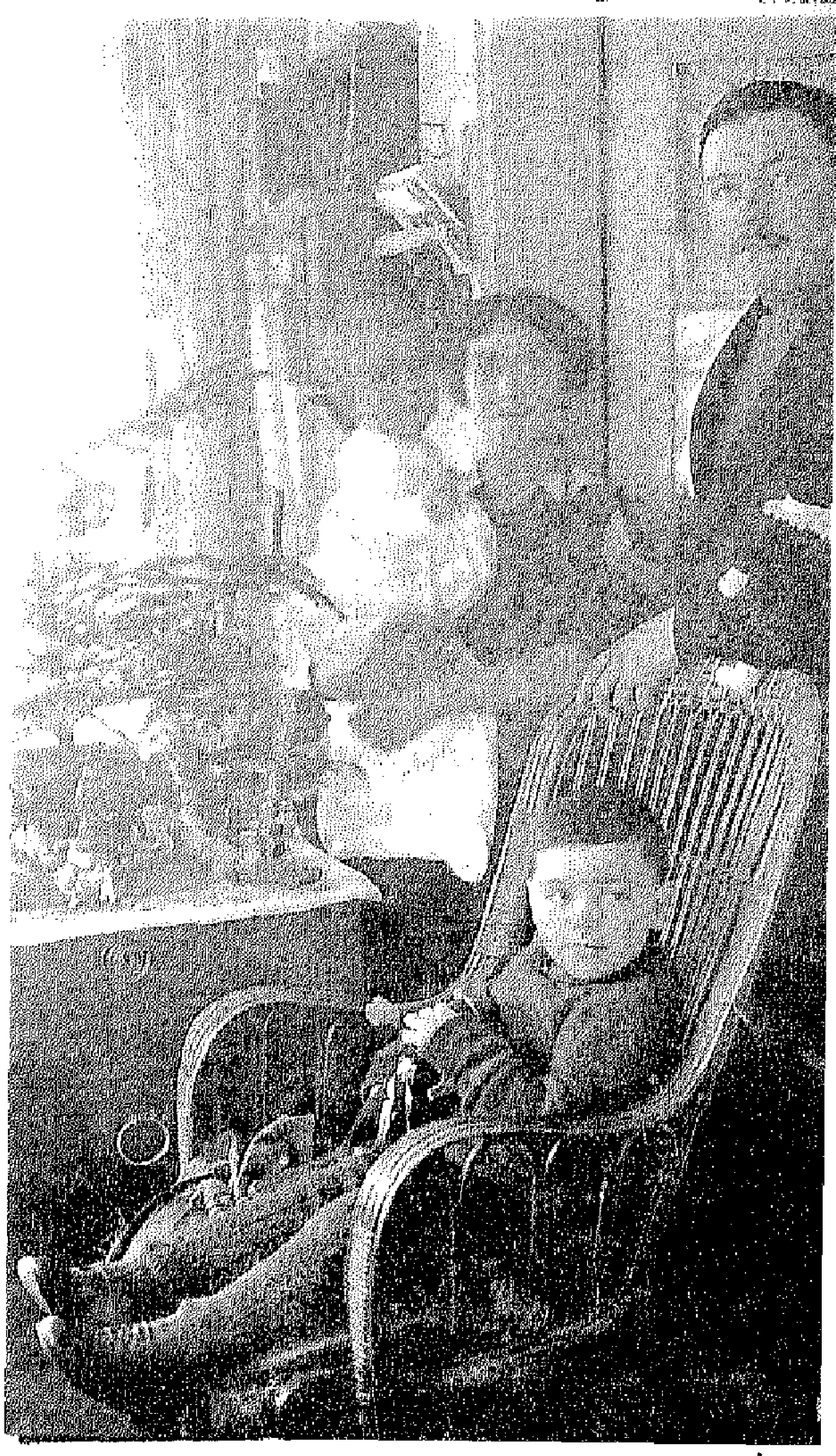
Museum Ludwig, Köln





الى اليمين: رحلة ماكي الى تونس أوحت اليه أعمالا كثيرة ومنها "مشهد في زقاق."
فوق: "الوداع"، لوحة حال الموت الباكر دون انجازها.
تحت: "مشهد في حديقة"، رسمت في بون.

Westdeutsche Landesbank Girozentrale Düsseldorf



أوغست واليزابيت ماكي وابناهما في ميلاد ١٩١٣.

احدى لوحات كاندينسكي. ولم ينقض شهران حتى أقاموا أول معرض من سلسلة معارض "الفارس الأزرق" في ميونيخ.

وتبعت ذلك عروض ناجحة في ربيع ١٩١٢ في موسكو وبيينا (ألمانيا الشرقية) وفي معرض سوندربوند في مدينة كولونيا، وهو يُعتبر من أهم الأحداث الثقافية في ألمانيا ما قبل الحرب العالمية الأولى. وكنت تجد الى جانب لوحات فنسنت فان غوغ وبول غوغان وبابلو بيكاسو وغيرهم لوحة ماكي الشهيرة "متسكعون على ضفاف البحيرة" التي سرعان ما جذبت من يشتريها.

وفي شهر سبتمبر (أيلول) ١٩١٣ انتقل ماكي مع زوجته وولديه الى قرية هلترفنغن السويسرية على بحيرة تون. وكان دائماً يأخذ أعماله أينما ذهب، الا أنه هذه المرة تركها كلها وراءه. فهو أراد أن يبدأ من الصفر.

وأصبح "بيت حديقة الورد" القريب من البحيرة منزل العائلة الجديد. وقد روت اليزابيت في كتابها "ذكريات عن أوغست ماكي": "سرعان ما غدا أوغست مشغولا بلوحاته. وعند الظهر كان يأخذ رسومه الى الحديقة المغمورة بنور شمس الخريف. كان يضعها هناك وسط تلك الروعة المتوهجة، ثم ينظر الي ويسألني: ماذا تعتقدين، أتساوي شيئاً حقاً؟"

وتلك كانت اللوحات التي أطلقت اسمه في عالم الرسم، وبينها "الطريق المشمسة" و"متجر الأزياء" و"ناس على ضفاف البحيرة الزرقاء."

ويعود نجاح ماكي هنا الى أنه لم يعد يتناول النور على حدة، بل ضمَّنه لوحاته كجزء لا يتجزأ من تفاعل الالوان.

وبعد ستة أشهر، سافر مع زميليه الرسامين بول كلي ولوي مواليه الى تونس. وكان للضوء في أفريقيا وللمشاهد الملونة أثر بالغ في خبرة الرسامين الثلاثة. فشعر ماكي كأنه في وطنه. وكتب الى زوجته: "اننا نمضي أيامنا كلها في

الشمس. كل ما عليك أن تفعليه هنا هو أن تتلفتي حولك فتجدي ألف مشهد يدفعك الى الرسم. لقد رسمت اليوم ما لا يقل عن ٥٠ مخططاً. ينتابني شعور بهيج غامض. أنا أسير سحر يشدني الى العمل وسط جو من الفرح لم أختبره من قبل."

وكان ماكي في ذلك الوقت يرسم بعضاً من أروع أعماله، وبينها عدد من المائيات الـ٣٨ التي أنجزها في تونس.

ولدى عودته الى هلترفنغن في نهاية شهر ابريل (نيسان) من العام ١٩١٤ كانت عناوين الصحف تنذر باندلاع الحرب العالمية الاولى. فعادت العائلة الى بون حيث أتم ماكي ٣٦ لوحة أخرى خلال بضعة أسابيع. وقالت اليزابيت في ما بعد: "كأنما حمى انتابته لانجاز أكثر ما يمكن انجازه."

وفي الثامن من أغسطس (آب) ١٩١٤ التحق ماكي بفوج الراين التاسع للمشاة للهجوم على فرنسا، موطن مانيه وماتيس ودولوناي. وفي أكتوبر (تشرين الاول) وصل نبأ وفاته الى اليزابيت: "لقد أصيب زوجك في ساقه، وبينما كان رفيقان يقدمان اليه الاسعافات الأولية أصيب برصاصة أخرى، في رأسه ربما."

على مسند الرسم في محترف ماكي كانت لوحة غير منجزة تصوّر جماعة من المتشردين بألوان داكنة. وقد سمّتها اليزابيت "الوداع."

فرانك نيكولاوس ■



قرية مضيافة

احتفلت قريتي بالعيد المئوي لتأسيسها، فعدت اليها بلهفة لاحضر الاحتفالات، وكلي يقين بأني سألتقي بعضاً من معارفي هناك.

ذات صباح تجمّع أبناء القرية أمام دكان الحلواني ورحنا نعانق بعضنا بعضاً ونستعيد ذكرياتنا. وإذ برجل يتجه الى الدكان. فتقدّمت منه وأحطته بذراعي وقلت: "لا أستطيع تذكّر اسمك، لكني أعرف أني أعرفك!"

فرد وهو يعانقني بدوره: "أشك في ذلك، فأنا مارّ من هنا في طريقي الى المدينة. لكن هذه القرية مضيافة بالتأكيد."

س.و.

زوجة المحامي

كان أحد المحامين زبوناً دائماً لمصنع مواد البناء حيث أعمل. وذات يوم دخلت زوجته قاعة العرض لتنظر الى بعض السلع. وبعدما سألت عن الاسعار قالت انها باهظة.

واتفق أن محاسباً سمع المحادثة فبادرها: "انني أدفع هذا المبلغ لأقول صباح الخير لزوجك."

أ.ج.

روشستر
مَدينَة
ديْكنز

هنا عاش الروائي الاكثر شعبية في بريطانيا وربما في العالم. وهنا استوحى كثيراً من أحداث رواياته

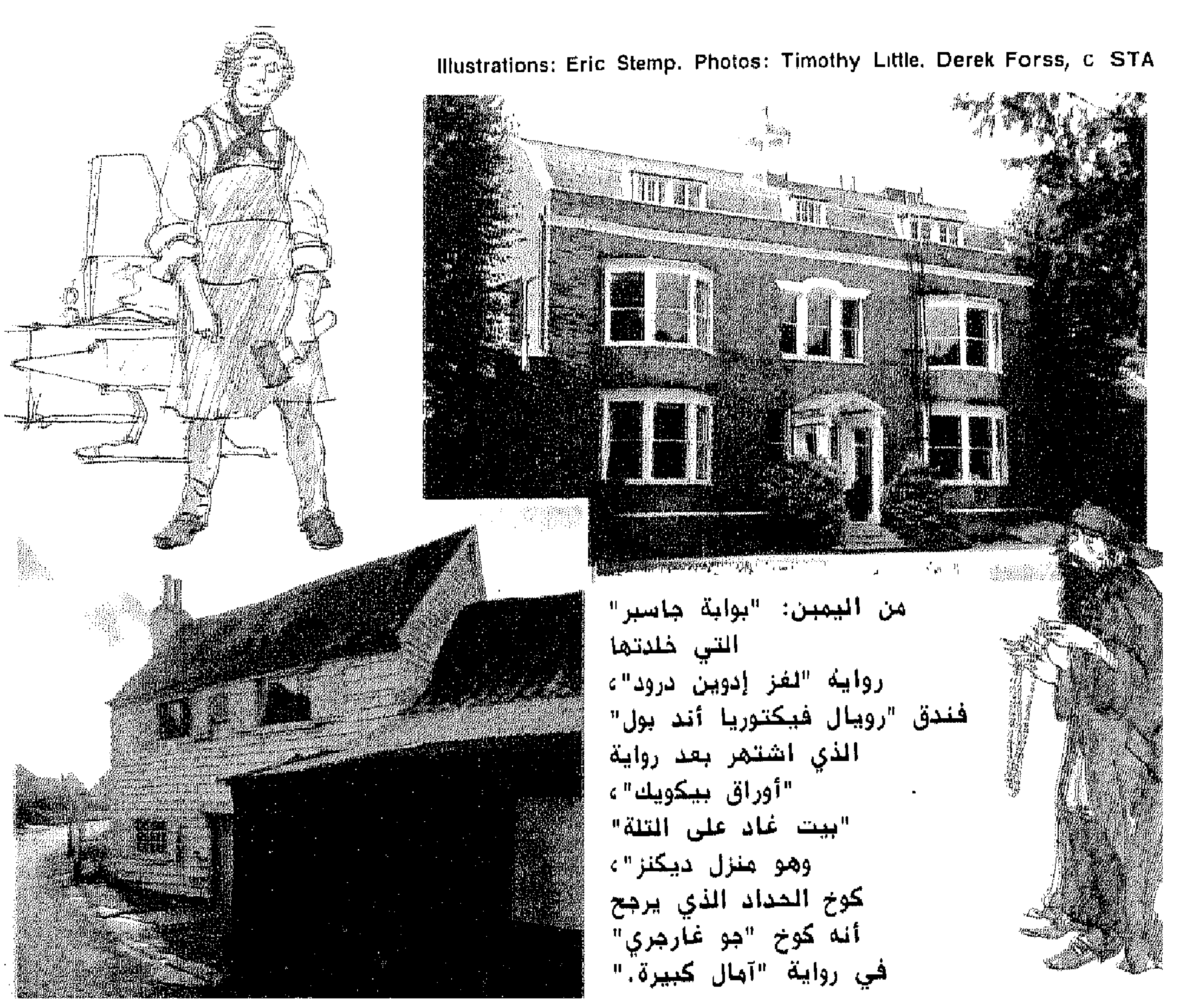


طوال أربعة أيام متتالية في شهر يونيو (حزيران) ظل سيريل بولدوين (٥٧ سنة) يلف أحزمة مسمّنة "حول خصره ويرتدي سروالاً ضيقاً من جلد الغزال وسترة فضيّة الأزرار ويعتمر قبعة ذات حافة عريضة ويركّز فوق أنفه نظارتين بإطار مذهّب، ثم يخرج وقد تجسدّت فيه شخصية "صامويل بيكويك" الأكثر شعبية في روايات الكاتب البريطاني تشارلز ديكنز. والى جانبه، في ثوب عرس مبهرج قديم، تقف "الآنسة هافيشام" العجوز التي تخلّى عنها خطيبها (١) وفاغن الشرير (٢) ولا يلبث الثلاثة ان ينضمّوا الى نحو ألف رجل وامرأة وطفل يرتدون الزيّ الفيكتوري. ويسير الجميع في عرض ضخم: رجال يعتمرون قبعات حريرية عالية ونساء يرتدين تنانير القرينول المنتفخة وألعبانيّون يقذفون الكرات في الهواء وراقصون وعازفون. ويجتازون شوارع روشستر في مقاطعة كنت. إنها النقطة الأوج في "مهرجان ديكنز" السنوي الذي تحييه المدينة من ١ الى ٤ يونيو (حزيران) احتفالاً بمرور ١٧٧ سنة على ولادة الاديب البريطاني العبقري.

واجتذب المهرجان أكثر من ٢٠٠ ألف

(١) في رواية "آمال كبيرة."
(٢) في رواية "أوليفر تويست."

Illustrations: Eric Stemp. Photos: Timothy Little. Derek Forss, c STA



من اليمين: "بوابة جاسبر" التي خلدتها رواية "لغز إدوين درود"؛ فندق "رويال فيكتوريا أند بول" الذي اشتهر بعد رواية "أوراق بيكويك"؛ "بيت غاد على التلة" وهو منزل ديكنز"؛ كوخ الحداد الذي يرجح أنه كوخ "جو غارجري" في رواية "آمال كبيرة."

شخص. وتخللته ألعاب نارية ورقص موريسي (٣) وقراءات وتمثيليات من أعمال ديكنز.

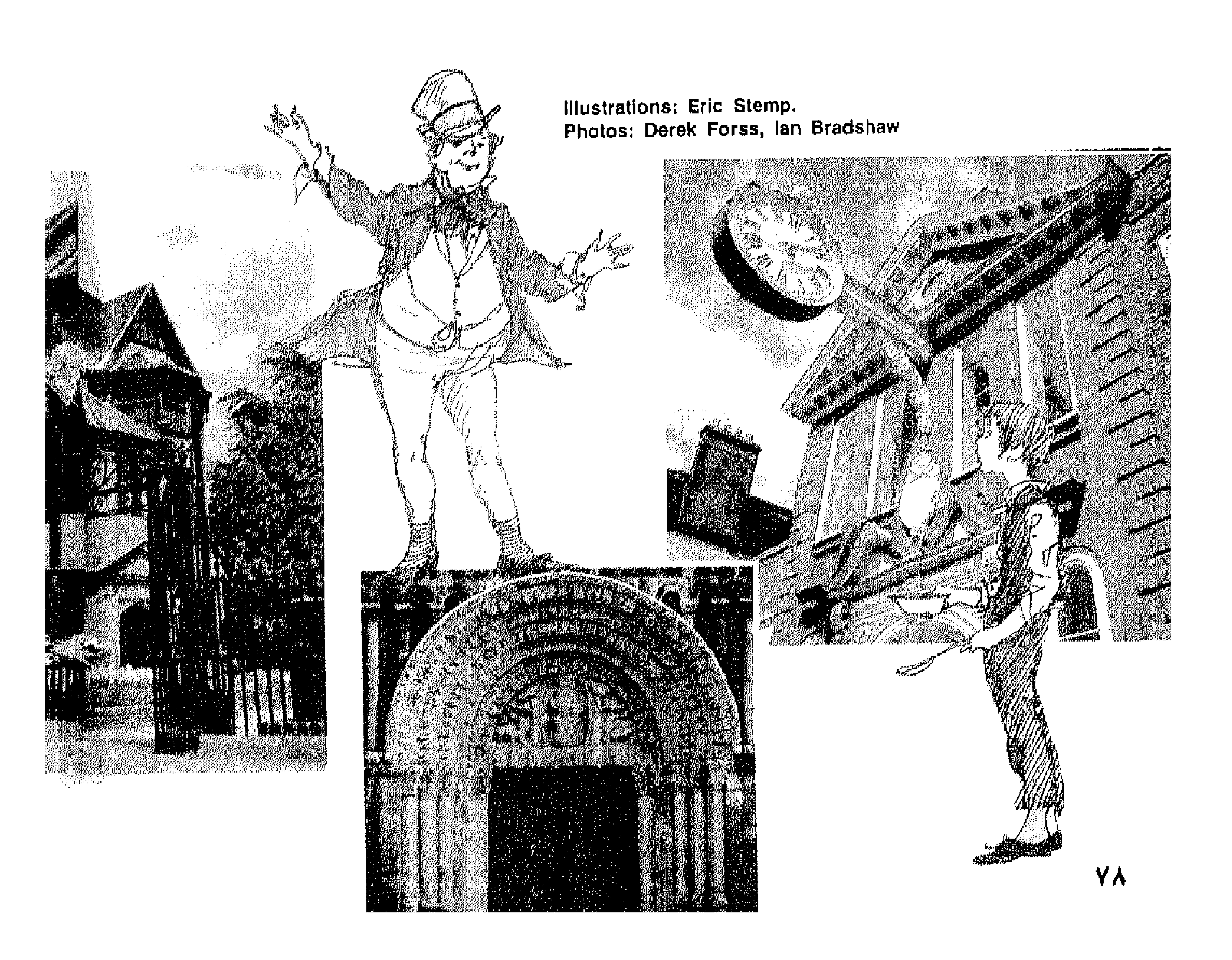
قبل العرض تناول سيريل بولدوين فطوراً "بيكويكياً" يتألف من ألوان شهيّة مثل اللحم المفروم المتبل والفطائر وشراب الـ"تودي" المحلّى الحار.

في العام ١٨٣٦ أنزل ديكنز شخصياته في فندق "رويال فيكتوريا أند بول" القائم في الشارع الرئيسي منذ ٤٠٠ سنة. وهناك سجّل مغامراتها المرحة في رواية "أوراق بيكويك" التي وضعته في الطريق ليصبح الروائي الاكثر شعبيّة في العالم.

مواقع وأحداث. مرّة تلو أخرى أتى ديكنز على ذكر روشستر في رواياته (وله ١٥ رواية كبرى) واصفاً أياها كـ"مدينة من زمن آخر ولى." وهو أمضى منذ سنّه الخامسة ست سنوات في كاثام القريبة التي دمجت اليوم مع روشستر وسترود في مدينة "روشستر على نهر ميدواي." احب الفتى المدينة واحب تراثها الروماني الصريح وكاتدرائيتها التي تعود الى العام ٦٠٤ وقصرها النورماندي الرائع بالقرب من نهر ميدواي.

كانت الحياة في كاثام مثيرة للصبي.

(٣) morris dancing وهو رقص يؤديه رجال يرتدون ملابس طريفة ويحملون أجراساً.



Illustrations: Eric Stemp.
Photos: Derek Forss, Ian Bradshaw

وكان أحياناً يرافق والده الذي كان معتمداً لدفع الرواتب في الاسطول الملكي، في رحلات على متن يخت أميرالي في النهر ذاته حيث تعلم القبطان دريك فنّ الملاحة وحيث ركب القائد نلسون سفينة حربية للمرة الاولى.

وفي المسرح الملكي (المعروف الآن باسم "نادي روشستر المحافظ") اكتشف سحر التمثيل المسرحي. أما في البيت فكانت مجموعة الكتب التي احتفظ بها والده في خزنته مصدر متعة كبيرة.

لكن ذلك كله انتهى عندما انتقلت العائلة الى لندن حيث عرفت شظف العيش. لكن ديكنز تمكّن بعزمه الصلب وارادته من شق طريقه في مهنة الصحافة. وفي السن الرابعة والعشرين اطلق "أوراق بيكويك" وتزوج كيت هوغارت وهي ابنة زميل صحافي، وعادا الى كنت لقضاء شهر العسل في بلدة تشوك التي تبعد بضعة كيلومترات عن روشستر.

وكان في أحد الازقة دكّان حداد وكوخه، والاثنان يمكن التعرّف اليهما في بيت "جو غارجري" و"بيب" في رواية "آمال كبيرة." أما الشاهدات الخمس على قبور أشقاء "بيب" في الرواية فمصدرها مقبرة كولينغ عند المستنقع القريب حيث يرقد في الحقيقة رفات ١٣ طفلا لعائلتين ابتلاهما المرض.

وفي روشستر نفسها قاعة المحكمة التي مثل فيها "بيب" أمام القاضي لتوقيع عقد للتدرب على مهنة الحدادة لدى "جو"، وهي الآن قاعة المجلس البلدي التي تفخر بمجموعة صور



من اليمين: ساعة مخزن الحبوب الواردة في رواية "المسافرين السبعة الفقراء"، البوابة الغربية و"دارة ايستفيت" وكلتاهما استوحيتا في رواية "لغز إدوين درود"، "بيت الترميم" هو "دارة ساتيس" التي تسكنها "الآنسة هافيشام" في "آمال كبيرة."

لمواطنين بارزين بسقف جصّي رائع الزخرفة. أما ما تبقى من مبنى البلدية الانيق الذي يعود الى القرن السابع عشر فأصبح اليوم متحف المدينة.

و"بَيْت ساتيس" حيث زار "بيب" "الآنسة هافيشام" الغريبة الاطوار هو في الواقع الدار الملكية في زقاق كراو حيث أقام الملك تشارلز الثاني عام ١٦٦٠ في طريقه لاسترداد عرشه. وغريب أن ديكنز استعار الإسم من "بيت ساتيس" الحقيقي الذي يقع قرب القلعة وهو الآن جزء من مدرسة الملك.

أما منزل "العم بامبلشوك" فما زال قائماً في الشارع الرئيسي حيث مخزن الحبوب بواجهته المزخرفة التي تحمل "تلك الساعة الغريبة القديمة الناتئة فوق الرصيف... وكأن الزمن فتح متجراً له هناك وعلّق لافتته كما وصفها ديكنز في قصة "المسافرين السبعة الفقراء" من مجموعة قصص الميلاد التي كتبها ومُثّلت في مهرجان ١٩٨٧.

تمثيل حتى الاغماء. في العام ١٨٥٦ حقق ديكنز حلماً راوده منذ الطفولة. فهو اعتاد في صباه أن يجوب روشستر مستكشفاً برفقة والده. ولطالما مرّ الاثنان في طريقهما بـ"بيت غاد على التلة" العالي في هيغام الذي اعتبره تشارلز "أروع منزل يمكن أن تقع عليه عين." وذات مرّة قال له والده المبذّر الذي أوحى اليه شخصية "السيد ميكوبر" المتفائل دائماً: "إن أنت اجتهدت كثيراً فقد تسكن فيه ذات يوم."

وعلى طريقة المصادفات السعيدة التي تزخر بها كتبه، علم ديكنز أن "بيت غاد على التلة" معروض للبيع، فاشتراه بـ١٧٩٠ جنيهاً استرلينياً.

وكعربون صداقة وامتنان للتشجيع الذي لقيه الممثل الفرنسي شارل فشتر من ديكنز في عمله في المسرح البريطاني، أرسل فشتر الى ديكنز شاليهاً سويسرياً من طبقتين موضباً في ٥٨ صندوقاً. فجمع ديكنز الاجزاء في حديقة مشجّرة قبالة منزله. وكان يقصد الشاليه عبر نفق تحت الطريق كلما أراد أن يختلي بنفسه ليكتب.

أما اليوم فلقد نقل الشاليه من "بيت غاد" (الذي تحوّل مدرسة للبنات) وأقيم في الأرض المحيطة بدارة إيستغيت في روشستر حيث "مركز تشارلز ديكنز" الذي حاز جوائز كثيرة. وهنا مجموعة "الرؤوس الناطقة" التي تبلغ قيمتها نحو ٧٠ ألف جنيه استرليني (١١٠ آلاف دولار) وهي رؤوس منحوتة لممثلين مثبتة على أجساد ترتدي ملابس تاريخية، مقرونة ببراعة في التسجيل السينمائي والصوتي حتى ليخال الناظر أنها شخصيات حية. وهي تصور ديكنز والعصر الذي عاش فيه.

أحد "الرؤوس الناطقة" يمثّل ديكنز وهو يتلو قراءات من "بيكويك" ومن "ديفيد كوبرفيلد" الذي اعتبره طفله المفضّل، وربما كانت "ديفيد كوبرفيلد" أروع رواياته وهي الى حد بعيد سيرة الكاتب الذاتية. ولقد لاقت هذه القراءات نجاحاً هائلا. وديكنز، الذي كان هو نفسه ممثلا لامعاً، أبدع شخصيات مسرحية استحوذت على اعجاب المتفرجين وخلفتهم مسحورين مبهوري الانفاس.

ولقد كان أداؤه لذلك المقطع من رواية "أوليفر تويست" حيث يصف مقتل "نانسي" على يد "بيل سايكس" مشحوناً بالاثارة الى حد أن موجة من الاغماء سرت بين المتفرجين.

رواية بلا خاتمة. كان ديكنز في ذلك الحين ضعيفاً سريع الانجراح والتأثر. فهو انفصل عن كيت، أم اولاده العشرة. وفتن بممثلة شابة تدعى ايلين تيرمان. وفي طريق عودته واياها ذات مرة الى لندن من باريس عام ١٨٦٥، تعرّض القطار الذي كانا يركبانه لحادث اصطدام في كنت. ومع أن أياً منهما لم يُصب بأذى إلا أن ديكنز الذي أمضى ساعات طويلة وهو يساعد المجروحين والمحتضرين وينتشل الضحايا لم يشف قط من آثار هذا الحادث.

وفي ٩ يونيو (حزيران) ١٨٧٠ بعد انقضاء خمس سنوات ويوم واحد على الحادث توفي ديكنز عن ثمانية وخمسين عاماً. وهو انهار بعد يوم أمضاه في الشاليه يكتب روايته "لغز إدوين درود" التي بقيت بلا خاتمة.

وعلى رغم المحاولات الكثيرة لايجاد حل مقنع فما زال لغز الرواية مغلقاً. وما يضاعف التحدي هو أن كلويسترهام، المكان الذي اختاره ديكنز لأحداث الرواية، هو روشستر. وفي استطاعة المرء أن يتتبع تماماً أين يجري كل حدث.

في الكتاب تتحوّل دارة إيستغيت "معهد الآنسة توينكلتون" للشابات وإحداهن "روزبد" اللذيذة المخطوبة لادوين درود والتي ترتاب بعمه جون غاسبر قائد جوقة المنشدين والمدمن سرّاً الافيون.

أما "دارة البوابة" (غيت هاوس) حيث عاش جون غاسبر حياته الغريبة، فتقع في الشارع الرئيسي فوق قنطرة من حجر. وما زالت البوابة وسط القنطرة تعرف باسم "بوابة غاسبر" وهي تؤدي الى كولدج وتفضي الى البوابة الغربية للكاتدرائية. وهذه بوابة رائعة نورماندية الطراز، أوحى منظرها مشرّعة الى ديكنز أن يجعل الوصي على روزبد يقول متأملا: "يشعر الناظر الى هذه البوابة كمن ينظر في حنجرة الزمن العتيق."

صعوداً الى اليسار في "مينور كانون رو" يقطن الأب سبتيموس كريسباركل الذي "على رغم إقامته في هذا المكان الهادىء" تورط في قضية اختفاء درود.

الممثلة "مدام سيبيل ثورندايك" عاشت طفولتها في "ماينور كانون رو". وهي تقول: "ما زلت أذكر والدي عندما كان يصطحبنا أنا وشقيقي للتفرّج على "بيت غاد" وكيف حاول أن يطبع في ذهنينا أننا سعداء الحظ لأننا نعيش في المكان ذاته حيث عاش أحد عظماء العالم."

ويشمل حسن الحظ ذاك أهل روشستر الذين يحيون مهرجان ديكنز. وتقول السيدة ثلما غروب رئيسة "مؤسسة ديكنز" في روشستر: "يتوافد على المهرجان أناس من أنحاء الدنيا. ولو كان ديكنز حياً لأعجبه ذلك كثيراً، فهو لم يكن يحب شيئاً أكثر من رؤية الناس يمتعون أنفسهم."

جورج بولوك ■

أُرسل الفتى الياباني - الامريكي
الى معسكر اعتقال ابان الحرب العالمية الثانية
أتراه يصفح عن بلده يوماً؟



الغرانيق تهزم القنابل المنطاديّة

انها صبيحة متوهجة من مايو (أيار) تشرق على جماعة الحطابين في بلدة بلاي جنوب ولاية أوريغون الامريكية. هو العام ١٩٤٥، والحرب في أوروبا يخبو أوارها. لكن الربيع سكن أفكار آرشي ميتشل وزوجته الحامل إلسي والاولاد الخمسة الذين رافقوهما من البلدة.

انطلقوا ذلك السبت في سيارة متجهة صوب جبل غيرهارت، بالقرب من الجدول حيث اصطاد ديك بازك (١٤ عاما) أحد الفتية الخمسة سمكة سلمون رائعة في اليوم السابق.

على مسافة ستة كيلو مترات من بلاي انعطف آرشي الى طريق في الغابة زلقة وندية بفعل الثلج الذائب. واذ أوقف السيارة تمشت إلسي في الطريق مع الأولاد.

وبلغه صوتها: "أنظر ما وجدت يا عزيزي." ورأى فريقا من عمال الطرق يراقبون الأولاد المتجمعين حول شيء

Photos: Courtesy of Yuzuru J. Takeshita

مطمور جزئيا في الثلج. فصاح آرشي: "سآتي بعد لحظة."

بغتة دوى انفجار مزلزل هز الجبل. وسرعان ما عمد الشريف(*) الى قطع الطرق المؤدية الى المنطقة. وحوّمت طائرة عسكرية في السماء. وأوصلت عاملة الهاتف في البلدة مكالمات ملغزة. أمر ما وقع في الغابة، فما عساه يكون؟

تلك الليلة زار عدد من ضباط الشرطة والعسكر بيوت العائلات التي مسّها الانفجار وأبلغوها الخبر الفظيع: كل من ذهب في رحلة الصيد تلك، باستثناء آرشي ميتشل، قُتل في انفجار قنبلة منطادية يابانية. والقتلى هم الامريكيون الوحيدون الذين قضوا في عمليات للعدو على بر الولايات المتحدة أثناء الحرب العالمية الثانية.

وحذّر الضباط ذوي الضحايا: "لا تفضوا بهذا الخبر الى أحد في أي حال من الاحوال. فاذا ما عرف اليابانيون أن المناطيد بلغت غايتها فسيتشجعون ويطلقون المزيد."

وورد في رواية احدى الجرائد بعد يومين أن أفراد مجموعة الصيد من بلدة بلاي قضوا "بانفجار لم تعلن أسبابه."

معسكر الاعتقال

خلال سنوات احتجاز الفتى يوزورو تاكيشيتا في "مركز اعادة التوطين" في منطقة تول ليك بولاية كاليفورنيا، اعتاد أن يقف خارج الثكنة المسقوفة بورق القطران، باحثا في السماء عن مناطيد القنابل اليابانية التي تلغط بها الاشاعات. لكنه لم ير أياً منها.

كان يوزورو وأخوه الاكبر من الـ"كيبيس" أي الاميركيين المولودين لآباء يابانين مهاجرين لكنهم تلقوا تعليمهم في اليابان. وقد بنى يوزورو أثناء سكناه في اليابان مع جده نماذج لطائرات "زيرو" المقاتلة بمعونة أقرب أصدقائه تسوغيو اينوي، وكان يعلل نفسه بأن يغدو ضابطاً في البحرية اليابانية على غرار خاله يويشي.

ولذّ له دور القائد الذي لبسه في مدرسته التي تشدد على الطاعة العمياء. وكان يفكر: أنّى لنظام ديموقراطي كالمتبع في أمريكا بأصواته المتنافسة أن ينجز أي شيء. كان يرتبك حين يدعوه بعض زملاء صفه "الامريكي". وبعد أوبته الى كاليفورنيا شرع يتساءل عما اذا كان يحط من قيمة الولايات المتحدة.

وتبدلت الامور في ديسمبر (كانون الأول) ١٩٤١، اذ أعلنت الولايات المتحدة دخولها الحرب ووقّع رئيسها فرنكلين روزفلت أمراً تنفيذياً قضى بنقل اليابانيين الامريكيين من الساحل الغربي الى عشرة معسكرات اعتقال معزولة.

غمر يوزورو شعور متفاقم بالهوان وهو يوضب ملابسه في حقيبة واحدة. وارتدى جميع الثياب التي لم تسَعْها الحقيبة، واعتلى مع أسرته شاحنة غير مغطاة للجيش انطلقت بهم الى حياة جديدة.

ألفى آل تاكيشيتا أنفسهم يعيشون في حوض بحيرة جافة في تول ليك التي تبعد ٨٠ كيلو متراً عن جنوب بلاي. وقد أحاطت بالمعسكر سياجات بسلاسل

(*) الشريف (sheriff) هو المسؤول عن الأمن في البلدات الامريكية.



(الى اليمين) يوشيكو ميساغا وتلميذاتها السابقات يصنعن الفرانيق الورقية لضحايا انفجار جبل غيرهارت.

(تحت) النصب التذكاري في جبل غيرهارت للضحايا الست التي قضت في مايو (أيار) ١٩٤٥.

وأسلاك شائكة مكهربة وأبراج فيها حراس، اضافة الى المدافع الرشاشة المصوبة من كل جانب، وذلك بغية ابعاد خطر المهاجمين الناقمين كما قيل للمحتجزين. غير أن رؤوس الاسلاك المجدولة كانت ناتئة داخل المعسكر لا خارجه كما رأى يوزورو، كذلك المدافع. فاستحال الخزي الذي شعر به نقمة.

في مدرسة المعسكر التقى يوزورو تاكيشيتا الشخص الذي بدل مسار حياته. ففي أول أيام الدراسة في الصف الثانوي قبل النهائي ظهرت أمام الطلاب امرأة فارعة كستنائية الشعر ذات صوت هويد وابتسامة محببة وسلوك قوي.

قالت بسرعة: "صباح الخير. أنا مارغريت غاندرسن معلمة الانكليزية والتاريخ. وأريد أن تعلموا أمراً: اني لا أرى كيف تطيقون البقاء محتجزين طوال الوقت. ذلك ما لا أحتمله أنا نفسي." كان صوتها يغلي.

وثب قلب يوزورو الفتي. كيف للسيدة غاندرسن الشجاعة أن تتكلم جهاراً من دون تحفظ؟

أدرك شيئاً فشيئاً أنها مجروحة النفس مثله. أخبرت السيدة غاندرسن صفها: "الامريكيون ليسوا مطلقي الكمال. يشهد على ذلك وجودنا انا وأباكم في تول ليك. أليس كذلك؟ ولكن لا ينبغي لنا أن ننسى أن الديموقراطية رحلة عسيرة، وليست هدفاً بلغناه."

في فترة لاحقة من ذلك العام فهم يوزورو الحكمة التي انطوت عليها كلمات معلمته حين وفد إلى المدرسة زائر طارىء. خاطبت السيدة غاندرسن الطلبة: "أقدم اليكم السيد ديلون ماير مدير هيئة

اعادة التوطين. وسيشاركنا في الصف اليوم."

شعر يوزورو بتوتر في معدته. كان عليه أن يتلو تقريراً وضعه عن الرئيس الامريكي الاسبق توماس جيفرسون، ولم يكن موقناً أن المدير سيعجب بما سيقول. وماذا سيحدث إن أربك تقريره السيدة غاندرسن؟

قرر يوزورو أخيراً أن السيدة غاندرسن تريده أن يبقى مخلصاً لقناعاته. كان مدركاً بكل جوارحه أن مهندس "بيان الاستقلال" الامريكي كان على حق. وعندما نادته المعلمة للتحدث عن جيفرسون ردد كلام الرجل الرئيس: القانون أداة في يد الشعب، وليس سيداً عليه. والرجال لا يعدون أحراراً حقاً إلا اذا ملكوا حقوقاً ضد الاستبداد السياسي والقهر الشخصي.

ولدى فراغ يوزورو من القاء كلمته أقبل عليه المدير والدموع تترقرق في عينيه. قال له: "يا فتى، أود أن أخبرك كم أشجاني سماع تعبيرك عن الايمان بالنظام الامريكي، أنت الذي تخولك ظروفك أن تشعر بخلاف ذلك."

تلاشى يأس يوزورو وعادت إليه الثقة بالنفس تدريجاً. وقد سطرت السيدة غاندرسن في دفتر تواقيعه: "لو كنت ابني لزهوت فخاراً بك ولاستطارني الفرح."

عقب احتفال الصف بعيد الميلاد تلك السنة توانى يوزورو لسؤال السيدة غاندرسن عن أمر حيّره. انه العام ١٩٤٥ وقد وضعت الحرب أوزارها. قال لها: "سنغادر هذا المكان عما قريب. واني أود أن أحمل اسماً أمريكياً. أتمنحينني اسماً؟"

ومضت عيناها وأجابته: "أعطني بعض الوقت لأفكر."

بعد أسبوع أتته باسمه الجديد. قالت له: "اسمك جون، وهو اسم أبي."

تورد يوزورو مغتبطاً وقال بصوت مرتجف: "لكم يشرفني ذلك!"

جرح عميق

عام ١٩٨٥ كان الدكتور يوزورو جون تاكيشيتا، الاستاذ في جامعة ميشيغن والمستشار في التخطيط السكاني في بلدان الشرق الاقصى، يعرِّج على قرية جده في اليابان. ذكريات الحرب في كل مكان. وقد بلغ جون أن رفيق صباه تسوغيو اينوي قضى عام ١٩٤٥ طياراً انتحارياً من الـ"كاميكاز". ولم يقوَ على مغالبته فكرة راودته: كان يمكن أن يكون ذلك مصيري.

وذكرت زوجة أحد أصدقائه أنها ساعدت في تركيب قنابل منطادية أثناء الحرب، فصاح جون متعجباً: "كانت حقيقة اذاً؟" واضافت السيدة أن ثمة نموذجاً عن تلك القنابل في متحف مؤسسة "سميثسونيان" للملاحة الجوية والفضاء في واشنطن.

في الصيف التالي زار جون المتحف. وهناك تمثلت أمامه محاولة اليابان مهاجمة البر الامريكي بما يزيد على ٦٠٠٠ منطاد محملة بالقذائف، بقيت محلقة في الاعالي بواسطة ميازين متقنة للضغط الجوي، عابرة سماء الاطلسي مع تيار الرياح. وكان اليابانيون يرتقبون

سماع أنباء نجاح تلك الهجمات، لكن الامريكيين أبقوا الأمر طي الكتمان. ويوم الانفجار في جبل غيرهارت كانت اليابان اعتبرت برنامجها الهجومي ذاك مخفقاً.

وفي المتحف نُمي إلى جون أن ثمة نصباً لجماعة صيد السمك السيئة الحظ، وعلم أن الضحايا قضت على بعد أقل من ٨٠ كيلومتراً من تول ليك. وصعق لذلك. وصدم ثانية لدى قراءة أسماء القتلى، اذ اكتشف أن الاولاد لم يكونوا أكبر سناً من ابنته جانكو. فدوَّن أسماءهم.

بعد عام من عودة جون الى اليابان برفقة زوجته صن المولودة في كوريا وابنته، أشعل جهاز التلفاز يوماً فطالعه وجه عجوز يابانية واهنة على الشاشة. انها معلمة اسمها يوشيكو هيساغا، تروي كيف صنعت تلميذاتها في المدرسة الثانوية مناطيد تحمل قنابل لالقائها على الولايات المتحدة أثناء الحرب.

كانت تلميذاتها اللواتي عاركن الحرب يقاسين البرد والارهاق والجوع. قالت المعلمة: "لو أظفرتنا تلك المناطيد بالنصر لتعيَّن على تلميذاتي أن يواصلن صنعها على رغم بؤسهن. وقد سرِّي عنا اذ علمنا بعد الحرب أنها تسببت في مقتل ستة أمريكيين فقط."

شعر جون برغبة في الصراخ: "لكن خمسة بينهم أولاد صغار." ثم أخذت فكرة بتلابيبه ووقعت منه موقعاً مؤثراً: هل أنا مختلف عنهم؟ لو أني مكثت في اليابان كما كنت أرغب لحذوت حذوهم.

بعد بضعة أشهر قابل جون السيدة يوشيكو هيساغا في اجتماع عام. عرفها بنفسه شارحاً اهتمامه بما روت. وبعد زمن يسير كاتبها: "هاكِ أسماء الضحايا الست. ان أتيت في المستقبل على ذكر قنابل المناطيد، هلّا تفضلت بالدعاء لأولئك الأبرياء؟"

وفيما كان جون على أهبة الرجوع الى الولايات المتحدة كالمته يوشيكو هيساغا هاتفياً. لقد تأثرت وكوكبة من تلميذاتها السابقات بموت الاولاد. فعمدن إلى صنع ألف طائر غرنوق من الورق الملون لا يتجاوز حجم كل منها راحة الكف، وهذا الطائر رمز ياباني للشفاء والتكفير عن الذنب والصفح والسلام. وخطّت النسوة اللواتي بلغن الستين رسائل ندم الى أقارب الضحايا في بلاي. أيوصلها جون إليهم؟ انه ليفعل أكثر من ذلك.

لدى وصول طائرة جون إلى لوس انجلس نظر في لائحة الاسماء التي دوَّنها في المتحف ثم سأل عاملة الهاتف في أوريغون عن آل بازك في بلاي. اتصلت العاملة بإدوارد بازك، فردت زوجته أوبل بالايجاب عن سؤال جون، وقالت إن ديك وجوان بازك كانا شقيقي ادوارد الاصغرين. ورحبت بزيارة جون وأسرته، وزودته ايضا رقم هاتف دوتي شقيقة ادوارد التي تسكن في كلاماث فالز.

بعد أيام زار آل تاكيشيتا السيدة دوتي، وهي امرأة صريحة عطوف في الستين من عمرها، وأوصلوها بالسيارة إلى بلاي. وفي طريقهم استرجعت دوتي ذكريات الحرب وقنابل المنطاد التي غيرت حياة أسرتها. قالت: "لطالما نقبنا عن معنى لهذه الميتات فلم نجده."

فهم جون مرادها. فموت رفيق صباه انتحاراً كان عبثياً هو أيضاً.

في منزل آل بازك بدا جون باديء الأمر معتذراً عما جرى. غير أن ادوارد وضع يده على ذراعه وأفضى إليه بصوت أجش: "اننا لا نلوم أحداً على ما حدث."

في تلك اللحظة أحس جون بثقل عظيم ينزاح عن منكبيه، ثقل نقمته هو في تول ليك، ذاك الجرح المطمور المتقرح منذ زمن طويل. اذا لم ينح آل بازل بالملامة على أحد، أفلا يصفح هو عن بلده لاحتجاز أسرته زمن الحرب؟ أما قالت السيدة غاندرسن: "الامريكيون ليسوا معصومين عن الخطأ؟"

انطلق آل بازك وتاكيشيتا في السيارة صعوداً الى جبل غيرهارت حيث وضعت ابنة جون الفرانيق الملونة عند أسفل النصب بين الأشجار الموسومة الى الأبد بآثار القنابل الانشطارية. ثم تلا أبوها ما ترجمه عن اليابانية. بعد ذلك خاطبت دوتي جون: "إني أبتهل إلى ربي لكي يأتي يوم تختفي فيه الحروب."

شعر جون تاكيشيتا بسكينة غير عادية. الفجوة بين الشعبين الامريكي والياباني، وكلاهما جزء من طبيعته وأعماقه، تم تجسيرها. الحرب المضطرمة داخله خبت أخيراً. لقد عاد الى أمريكا، موطنه وموطن السيدة غاندرسن، محمولا على أجنحة الفرانيق.

جاك فنشر ■



صانعو التقدم

ثمة من يضع الوطن قبل العائلة، وآخرون يبذلون الحاضر فداء للمستقبل، وغيرهم يقايضون الحاضر بالماضي. أولئك هم، على التوالي، الابطال والحكماء والعلماء. وهم صانعو التقدم، لان الحضارة تبنى بذرات المحبة المسروقة من الانانية الشخصية والعائلية.

س. ك.

املأ حياتك حباً

عندما يحل الفراغ في حياتك املأه بالحب. أحبب بأفضل ما استطعت، أحبب كل من استطعت، أحبب كل ما استطعت. ولكن أحبب دائماً. لا تتساءل لماذا تحب. فالحب غاية في ذاته. لا تعتبر نفسك ناقصاً لأن حنانك لا يقابل بمثله. فالحب هو أجر ذاته.

أ. ن.

قال الحلاق لزبونه معتذرا: "آسف لتأخري عليك. فقد جاء أقربائي لزيارتي في وقت غير مناسب، اذ كنت في البيت."

ر. و.

سر الإقدام

بضع كلمات تنطوي على قوة كافية لتغيير مجرى حياتك

كان عليَّ مرة أن أتخذ قراراً ينطوي على مخاطر جمّة، فتوجهتُ الى صديق يكبرني سناً ويفوقني حكمة وقلت له بحزن: "لو كنت متأكداً من قدرتي على هذا الامر لما توانيت. ولكن..."

فنظر إلي هنيهة ثم كتب بضع كلمات على ورقة صغيرة ودفعها إليَّ. وكانت تلك الجملة الصغيرة أفضل نصيحة تلقيتها في حياتي: "كنْ مقداماً، تؤازرك قوى عظيمة."

واكتشفت في ما بعد أن هذه الكلمات التي كتبها صديقي مستقاة من كتاب "قهر الخوف" للمؤلف الكندي باسيل كينغ (١٨٥٩ - ١٩٢٨). وهي مكنتني من أن أرى بوضوح أنني عندما كنت أعجز عن أمر ما في الماضي فنادراً ما كان السبب أنني حاولت وأخفقت. بل كان خوفي من الاخفاق في معظم الاحيان هو الذي منعني من المحاولة. فالخوف هو أقوى مشاعرنا قدرة على شل حركتنا. انه يشنج العضلات ويبهر العقل والارادة.

ومن جهة أخرى، عندما كنتُ أغطس في مياه عميقة مدفوعاً بومضة خاطفة من الاقدام، أو مجبراً بفعل ظرف خارج عن ارادتي، كنت دائماً قادراً على السباحة حتى أصل الى الشاطىء.

كن مقداماً. انها ليست دعوة الى الطيش أو التهور. فالاقدام هو أن تأخذ قراراً بملء ارادتك بحمل أكثر مما تظن في امكانك حمله. وليس هناك من سر يكتنف القوى الجبارة التي تكلمنا عنها آنفاً. فهي القوى الخفية التي يملكها كل واحد منا، كالطاقة والمهارة والقرار الحكيم والأفكار المبدعة وحتى القوة الجسدية وقدرة الاحتمال اللتين قد تفوقان كل توقعاتنا.

وبعبارة أخرى، يُحدث الإقدام حالة طارئة يستجيب لها جسمنا. وقد سمعت مرة من أحد متسلقي الجبال أن المتسلق يجد نفسه من وقت الى آخر في وضع يتعذر عليه النزول، فلا يبقى أمامه إلا الصعود. وأضاف إنه في بعض الأحيان يضع نفسه في موقف كهذا عمداً: "عندما لا يبقى أمامك الا الصعود، فأنت تصعد على نحو رائع."

ويمكن اعتماد هذا المبدأ في مواقف

أخرى، كقبول رئاسة لجنة أو السعي الى وظيفة تنطوي على مسؤولية أكبر. وفي الحالين تعلم أن عليك النجاح وإلا...

وستنجح قطعاً ما لم تكن غير مؤهل للعمل على الاطلاق. فمن شأن كبريائك وغريزة التنافس لديك والشعور بالواجب أن توصلك الى النجاح.

ولا أحد ينكر أن هذه القوى الجبارة الخاصة هي قوى روحية، إلا أنها تفوق القوى الجسدية أهمية.

ومن المثير للاهتمام كيف أن للقوى الروحية غالباً متمّمات في العالم المادي: كان لي صديق في الجامعة برع في لعبة كرة القدم، وكان معروفاً باعتراضه الخشن للاعبين الآخرين مع أنه يزن أقل كثيراً من الوزن المطلوب للاعبي منتخب الجامعة. وعبّر له أحدهم عن دهشته من أنه لا يُصاب بأذى، فأجابه صديقي: "هذا عائد الى ما اكتشفته عندما كنت لا ازال ولداً ألعب في ساحة البلدة. ففي إحدى المباريات وجدت نفسي وجهاً لوجه أمام الظهير الخصم، فكنت الوحيد الذي يحول بينه وبين خط المرمى. وكان يبدو عملاقاً. وكنت خائفاً الى درجة اني أغمضت عيني واندفعت في اتجاهه كرصاصة مذعورة. ونجحت في اعتراضه. فتعلمت أنه كلما قوي اعتراضك لخصم كبير قلّ احتمال اصابتك بسوء. والسبب معادلة فيزيائية بسيطة: القوة الدافعة = الوزن × السرعة.

فإذا كنتَ مقداماً كفاية، فحتى قوانين السرعة تساعدك.

وهذه الميزة، اي الارادة أن تبذل قصاراك، لا تُكتسَب بين ليلة وضحاها. ولكن يمكن تلقينها الأولاد وتنميتها لدى الأحداث. فالثقة هي نتيجة خبرة تتراكم مع الزمن.

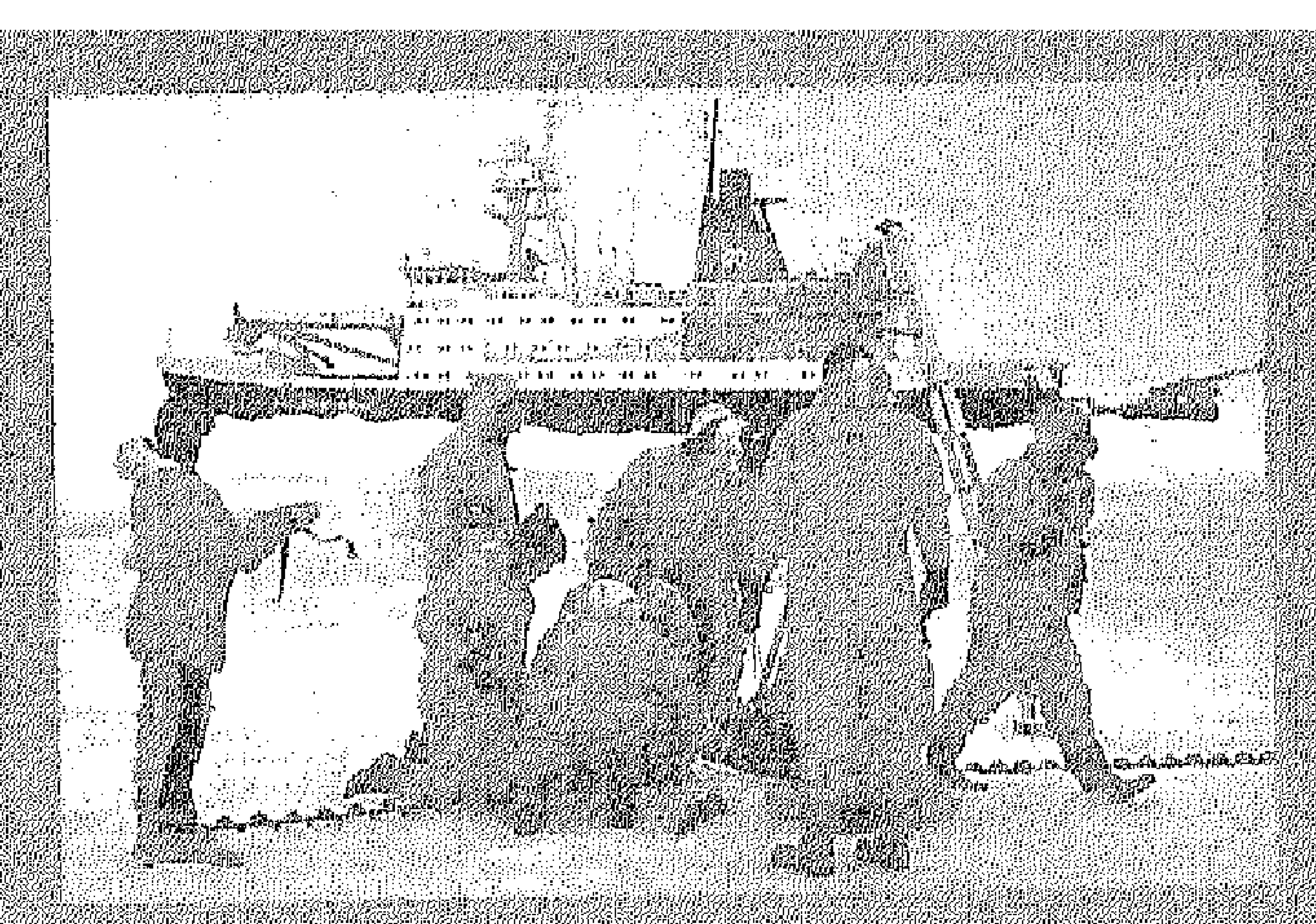
ولا بد من قيام عوائق وحدوث نكسات وخيبات في أي مشروع أو نمط عيش. فالإقدام في ذاته ليس ضماناً لاحراز النجاح. إلا أن من يحاول القيام بعمل ما ويخفق هو أفضل كثيراً من الذي لا يحاول شيئاً وينجح.

وغالباً ما تكون الثقة الكبيرة بالنفس والقدرة على أخذ القرارات سمة كبار رجال الأعمال. وأفضل مدير عملت لديه كان رجلا يأخذ قرارات شبه فورية. وكان يردد مازحاً: "انني أرتكب أخطائي بسرعة." ومرة سأله أحدهم هل يؤمن بالمثل القائل: "أنظر قبل أن تقفز." فأجاب بفرح: "لا، لا. فالمشكلة في هذا القول البديهي أنك اذا ما أطلت النظر فلن تقفز البتة."

ويدعي بعضهم أن خوفنا على أنفسنا يضعف ارادتنا في ركوب الأخطار. والمبادرة هي رد الفعل الغريزي على نقص الراحة المادية.

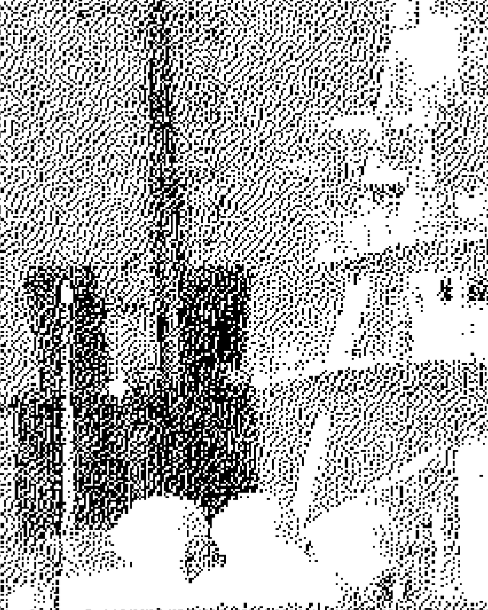
وإنني لا أشاطرهم الرأي. فأنا أعتقد أن الناس سيسعون دائماً الى عوالم جديدة تكتنفها التحديات لكي يقهروها. عندما كنت صغيراً زار صفنا رجل ودُعي الى القاء كلمة. لا أذكر من هو، إلا أنني لا أنسى ما قاله: "أحبوا الحياة. كونوا شاكرين لها دائماً. وأظهروا امتنانكم بعدم تهربكم من مواجهة تحدياتها. حاولوا دائماً أن تعيشوا أبعد قليلا من نطاق امكاناتكم، وستجدون أن امكاناتكم هي أكبر كثيراً مما تتوقعون."

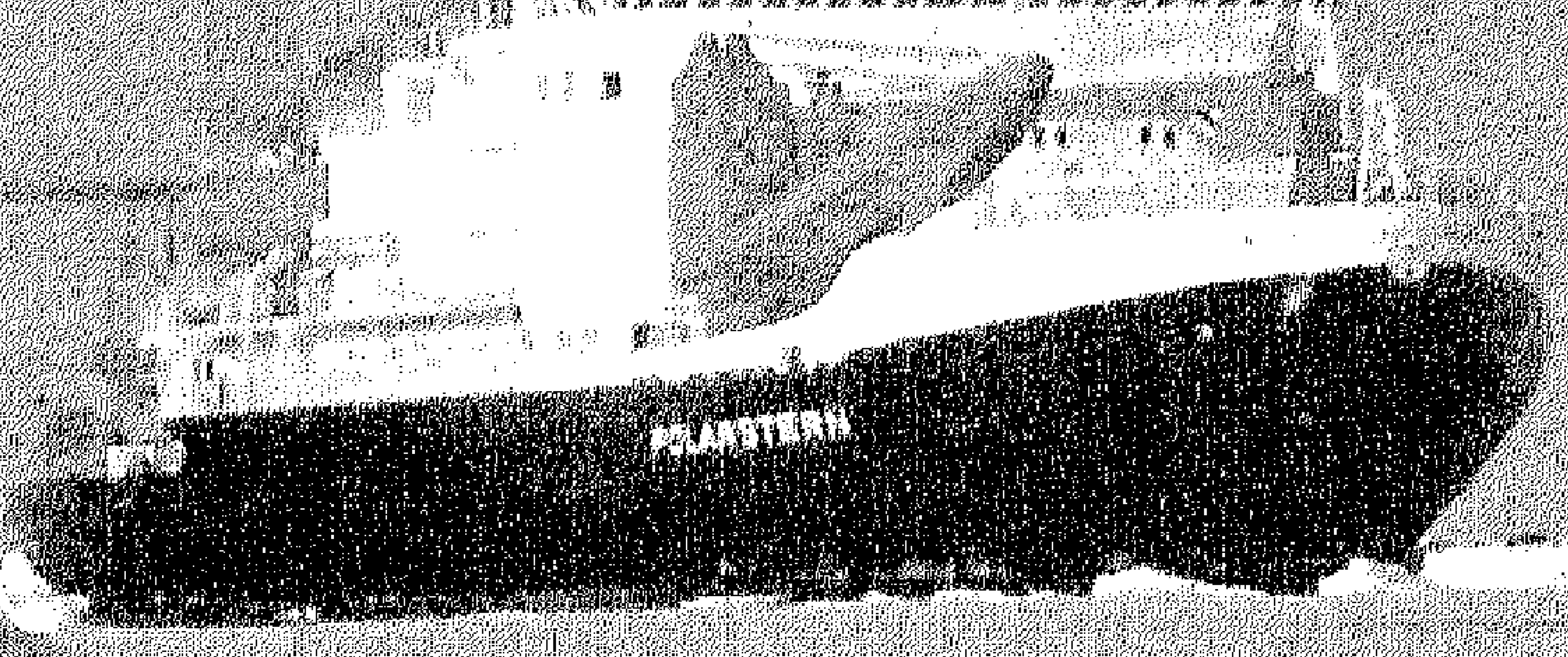
آرثر غوردون ■



تفاصيل رحلة بحرية
على متن سفينة أبحاث فريدة

(فوق) العلماء يستخدمون مثقاب جليد لأخذ عينات من الجليد الأزلي.
(تحت) سفينة الأبحاث وسط الجليد الطافي.





انه منتصف الصيف في سبتزبرغن، والحرارة خمس درجات مئوية. تحط الطائرة التي تقلنا في مطار لونغيربين الصغير. وتضم مجموعة الركاب سياحاً في طريقهم الى الشمال وعدداً من عمّال المناجم النروجيين و٢٩ عالماً وثلاثة صحافيين. نتوجه أنا وزميلاي الصحافيان والباحثون الى الميناء حيث ترسو الـ"بولارسترن" (أي النجم القطبي) وهي كسارة جليد بحري في ادارة معهد ألفرد ويغنر للأبحاث البحرية والقطبية في بريمرهافن. أما ثمنها فيقدّر بنحو ٢٠٠ مليون مارك (١٠٠ مليون دولار) وتبلغ سماكة الفولاذ الصلب الذي يصفح بدنها خمسة سنتيمترات. وهي مزودة محركات ديزل تبلغ طاقتها ٢٠ ألف حصان.

حقول جليد. نتابع صعودنا الى "عش الغراب" وهو محطة لمراقبة الجليد مثبتة على سارية ثلاثية القوائم ترتفع ٣٠ متراً عن الظهر العلوي للسفينة، وتحتوي على هوائيات اللاسلكي والرادار وعلى أجهزة قياس ومرقاب يتلقى رسائل من قمر اصطناعي وفي مركز الرصد الجوي في أسفل السفينة دماغ الكتروني يتولى تحويل جميع المعلومات والبيانات العائدة الى الطقس والتي تلتقطها محطة المراقبة، خرائط ورسوما بيانية حول منطقة القطب الشمالي. وهكذا يصبح في الامكان تنسيق مسار السفينة وأعمال المراقبة على متنها مع حالة الطقس. والى ذلك هناك طوافتان على السفينة تزودانها معلومات إستطلاعية

كبحار سابق، ألقي نظرة سريعة حولي ثم أتوجه رأسا الى منصة الربان التي تبدو، بأدمغتها الالكترونية وآلاتها، المتطورة، كجهاز القيادة والتحكم في منصة لاطلاق الصواريخ. والآلات والادوات التي أراني اياها فرانز فيز، الميكانيكي المسؤول عن تشغيل أجهزة الاستقبال والارسال، هي على الأرجح الاحدث في العالم في مجال الاتصالات اللاسلكية البحرية.

دقيقة وترشدانها بواسطة الرادار لتشق طريقها عبر الجليد المتماسك الصلب والجليد المتكسر الطافي.

أستغرق في التأمل وأتساءل بخيبة طفيفة: أين روح المغامرة وسط كل هذه التكنولوجيا وأجهزة الامان؟

نغادر الميناء فأقصد بركة السفينة وأسبح في مياهها الدافئة. المياه حولي تتعكر فجأة وتتكسر أمواجاً وأسمع اصوات قعقعة متقطعة.

Copyright © 1987 by Peer Schmidt - Walther.

أصل الى ظهر السفينة، فأرى البحر حولنا مكسواً بكسر من الجليد الطافي. ومع أن "بولارسترن" خففت من سرعتها، الا أنها تهتزّ وتترجح بفعل لطمات متكررة. وتتجمّع كسر الجليد الطافي تدريجاً وتتماسك محوّلة البحر حولنا حقولا جليدية لا تلبث أن تتكتّل جليداً صلباً متماسكاً. ببطء وحذر يخترق مقدّم السفينة العريض الكتلة الصلبة محدثاً قناة في الجليد الذي تبلغ سماكته نحو مترين، فيروح يتكسر تحت ثقل ما يزيد على ١٦ ألف طن من الفولاذ الصلب. السفينة تهتزّ وتترجح وكأنها في عرض بحرٍ هائج.

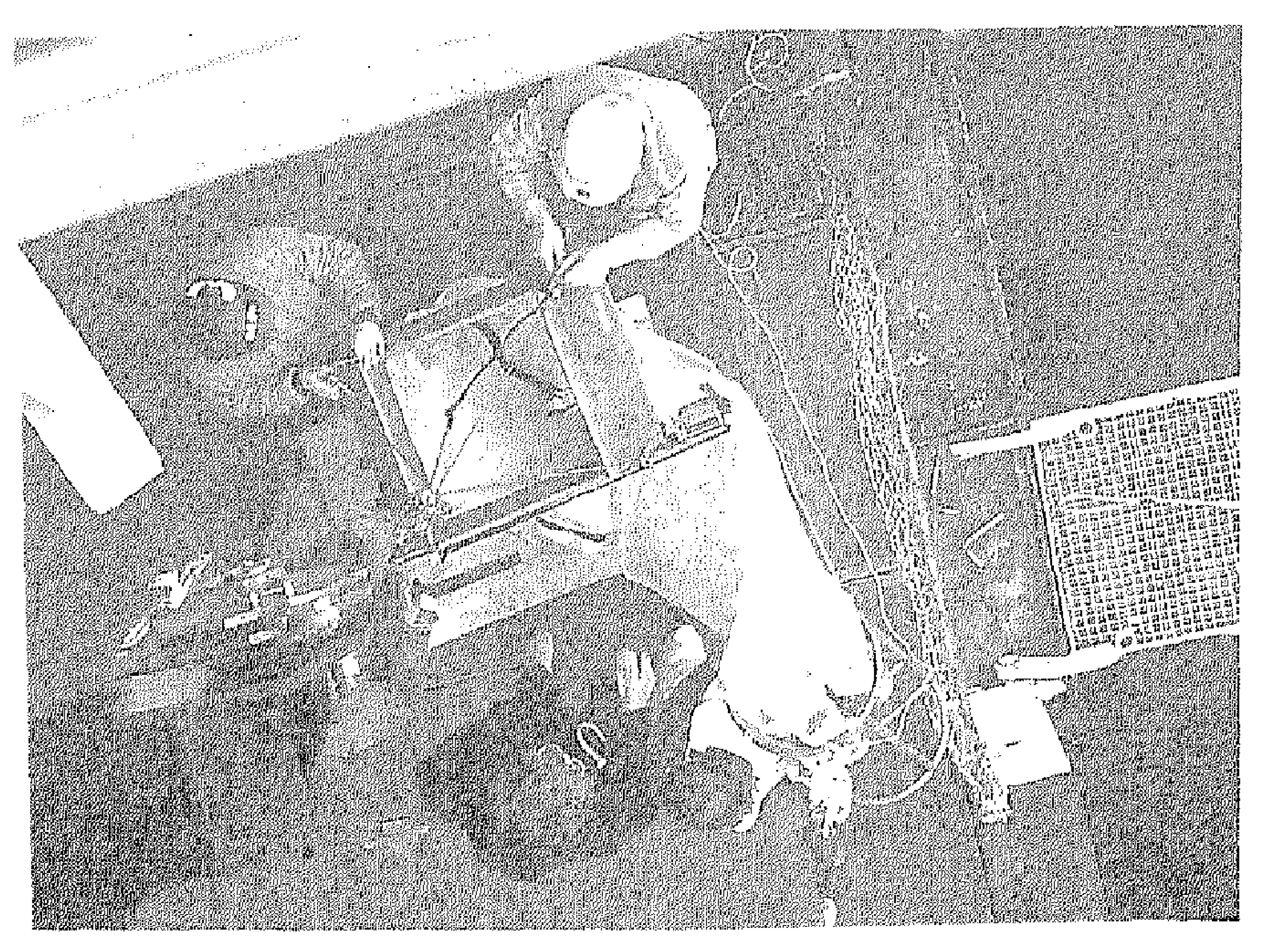
تسمع أصوات كشط وصرير كأنما كسر الجليد سكاكين تطعن بدن السفينة. وحين تتحطم الحواجز تنبثق من البحر نوافير من المياه والجليد ترتفع عالياً في الجو. ويصبح النوم شبه مستحيل. ومع تراكم الجليد يصبح الضجيج حولنا كهزيم الرعد. يغوص مقدم السفينة في الماء ثم يعلو. إنها تميل، ترتّج، تقعقع كأنها تحرث أرضاً صلبة لا تتزحزح.

مرمى نفايات ذرية؟ صباح اليوم التالي، تبقى الموسيقى ذاتها مصاحبة المناقشة الطويلة أثناء الاجتماع الذي دعا اليه العلماء في قاعة المحاضرات. فريق الباحثين معنا خليط دولي من جميع الامم ومن كل فروع المعرفة. وهو يضّم علماء احياء المانآ وعلماء ذرة اسوجيين (سويديين) وعلماء جليد نروجيين وعلماء محيطات أمريكيين وألماناً وعلماء حيوان أيسلنديين وعلماء بيئة دنماركيين. أما مشروعا البحث الرئيسيان في الرحلة فهما "الكيمياء والهيدروغرافيا في القطب الشمالي"(*) و"البيولوجيا في القطب الشمالي". يرئس البعثة البروفسور غوتيلف همبل من معهد ألفرد ويغنر. ومقصدنا المنطقة القطبية الشمالية في محاذاة الطرف الشمالي الشرقي لغرينلاند.

في هذه الرحلة سيحاول علماء الأرصاد الجوية تحديد دور المنطقة القطبية الشمالية في صنع الطقس. فهنا تنشأ حقول صقيع لا تلبث أن تنجرف نزولا الى خطوط العرض الاوروبية مسببة مواسم صيف باردة. ويأمل علماء الاحياء أن يجمعوا معلومات حول ظروف الحياة في ذلك الجليد الأزلي وفي المنطقة المتوسطة حيث تمتزج مياه البحر المالحة بالمياه العذبة من الجليد الذائب. وسيفحصون كذلك مدى التلوّث الصناعي. ويعتزم علماء الجيولوجيا (علم طبقات الارض) أن يفصحوا الترسبات ويرسموا، مستعينين بدماغ الكتروني، صوراً لما تحت البحر. وسيحاولون أن يحلّوا لغز تحرّك قاع الاوقيانوس في القطب الشمالي.

أنظار علماء المحيط مصوّبة الى مضيق فرام بين شمال سبتزبرغن وشمال شرق غرينلاند. فهناك، فوق منبسط من الصخر البركاني، يتم تبادل المياه بين المحيط المتجمّد الشمالي وشمال المحيط الاطلسي. ولقد شرح لي البروفسور همبل الامر في وقت لاحق قائلا: "ساد اعتقاد

(١) الهيدروغرافيا علم وصف المياه كمياه البحار والمحيطات والبحيرات.



اختبار على متن السفينة: يستعد علماء الاحياء لنشر شبكة لالتقاط الكائنات الحيوانية والنباتية الدقيقة.

لفترة طويلة أن مياه المحيط المتجمد الشمالي معزولة عن عمليات التبادل البحرية المنتظمة. وكان يؤمل استخدام المنطقة الواقعة شمال مضيق فرام كمرمى للنفايات الذرّية. إلا أن النتائج التي توصلت اليها بعثتنا أظهرت أن تبادل المياه بين السطح والاعماق يتم على نحو أسرع كثيراً مما كان مفترضاً."

هل نصل؟" يوماً بعد يوم تشقّ "بولارسترن" الجليد الطافي وتصطدم بالجليد الصلب وعلى رغم قوة محركاتها فانها تعلق أحياناً في الجليد المتكدّس أمتاراً. اذّاك يغتنم علماء المحيطات الفرصة ليحفروا ثقوباً في الجليد، كما يبحث علماء الاحياء عن آثار حياة.

أرتدي بذلة النجاة البرتقالية ذات البطانة المزدوجة وأراقب العلماء في عملهم. ومن بعيد أنظر باعجاب الى حصننا العائم الذي يبلغ طوله ١١٨ متراً. ويحرسنا ميكانيكي الطوافة مزّوداً بندقية ليحمينا من الدببة القطبية الفضولية.

الضباب مشكلة. فهنا، حيث تلتقي مياه القطب الشمالي والمحيط الاطلسي وكتلهما الهوائية، تحوم في الجو ستائر من الغيوم المنخفضة. أما الرطوبة في الجو فتتجمد وتتحول جليداً، يلتصق بالجبال والاجزاء المرتفعة من السفينة وبالهوائيات وبالدعائم.

طوال عشرة أيام، سلكنا طريقاً متعرجة في اتجاه الشمال الغربي. نقترب الآن من القطب الشمالي ببطء وحذر. القبطان لوثر سورمير ما فتىء يتمتم: "هل نصل يا ترى أم لا؟ ذاك هو السؤال: تخطيّنا أقصى موقع شمالي سبق أن بلغته سفينة في منزلة سفينتنا. وما زالت "بولارسترن" تشق طريقها في عمق القطب المصفّح بالدروع الجليدية، بدن يتحمّل ضغطاً يصل الى ٩٣٢ طناً في المتر المربع. ينطلق صوت عبر المذياع: "سيداتي، سادتي، لقد بلغت "بولارسترن" اليوم موقعاً في أقصى

الشمال لم يسبق لأي سفينة أبحاث ألمانية أن بلغته: ٨٣ درجة شمالا و١٠ درجات و٣٧ دقيقة غرباً." لم يعد يفصلنا عن تلك النقطة السحرية التي تدور الارض حولها سوى ٧٤٠ كيلومترا (٢).

"ما زال." صباح اليوم التالي استُغِلّ النجاح الذي تحقق استغلالا محموماً كاد يؤدي الى خسارة فادحة. فعلماء المحيطات أنزلوا جهازاً لجمع العينات المائية يبلغ ثمنه ٣٠٠ ألف مارك (١٥٠ ألف دولار) الى عمق كيلومترين. فعلق في الجليد وكادت الحبال السلكية تنقطع. إلا أن الرجال تمكنوا في النهاية من استرجاع الآلة بعد محاولات مضنية ومناورات معقّدة.

في غضون ذلك راح الدماغ الالكتروني يسجّل معلومات لا تحصى أدت بعد سنوات من الدراسة الى رسم صورة كاملة للمنطقة الحدودية في القطب الشمالي. أعداد الحيوانات ضئيلة في المنطقة الشمالية، والسبب الى حد بعيد هو قلّة الطعام. وفي طريق العودة جنوباً، في خطوط العرض المتقدمة، تعود الحيوانات الى الظهور كالفقمة وطيور الغلموت والنورس والنوء، ويعاود علماء الحيوان عملهم. يغادر فريق علماء المحيطات السفينة في نزهة قصيرة، لكنهم يواجهون دباً قطبياً يزن نحو ٨٠٠ كيلوغرام وينجون منه بأعجوبة. أتوجه الى أحدهم وأسأله: "كم بقي من جبابرة القطب هؤلاء؟"

فيجيبني: "ما زال هناك نحو ٤٠ ألفاً في منطقة القطب الشمالي كلها." تتردد كثيراً أثناء الحديث عبارة "ما زال." ففي القطب الشمالي ما زال الاشعاع الذري تحت نقطة الخطر، وما زال تلوث المياه دون الدرجات المرعبة، وما زال صيد الحيتان لم يقضِ بعد على فرص انقاذها من الانقراض.

العلماء على متن سفينتنا ليسوا من دعاة تحسين العالم الرومنسيين. الا أن علمهم كفريق يضمّ اختصاصيين بمختلف فروع المعرفة يظهر ان إتلاف البيئة يحمل صفة تراكمية وتصاعدية إذا لم يأخذ السياسيون والمسؤولون اجراءات سريعة.

بعد ثلاثة أسابيع من إبحارنا من سبتزبرغن نصل الى بلدة ترومسو النروجية حيث نغادر السفينة. وقد بلغت تكاليف الرحلة البحرية ٨٠ ألف مارك (٤٠ ألف دولار) في اليوم، أمّنتها الوزارة الاتحادية وبلدية برمن.

يقول البروفسور همبل: "هذه الرحلة استثمار جدير بالعناء. فما من سفينة غير "بولارسترن" تسمح باجراء أبحاث في منطقة تبعد أكثر من ٨٠ درجة شمالا. والحياة المشتركة على متنها تعزّز التعاون بين الاختصاصيين بجميع أنواع المعرفة، كما أن في الامكان تحليل بعض النتائج مباشرة. وأهم من ذلك كله أنها تتيح للعلماء الذين اعتادوا العمل منفصلين ألوف الكيلومترات بعضهم عن بعض، فرصة للنقاش المباشر وتبادل وجهات النظر."

بير شميت – ولتر ■

(٢) وصلت "بولارسترن" في رحلة لاحقة الى نقطة تقع على ٨٦ درجة و١١ دقيقة شمالا.

دائرة المعارف

لا تخلو مقالة في "المختار" من كلمة ندر ورودها في مقالات سابقة. هنا كلمات منتقاة من الاعداد الستة الاخيرة. وقد وُضع أمام كل كلمة أربعة معانٍ، واحد منها صحيح. والمطلوب من القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. لَجاجة: تلعثُم – عناد والحاح – جرأة – دجاجة برية.
٢. حيطة: مخزون – جِوار – محاذرة – زاد المسافر.
٣. ضَيْر: ضرر – بيت الثعلب – ألم – جوع شديد.
٤. نكثَ: قَلَبَ – فقأ – وخز – نقض ونبذ.
٥. امتُقِع: حُمِل على الظهر – تغير لونه – نسي – وُضع في الماء.
٦. حرِّيف: ماهر – واسع الحيلة – لاذع – مائل.
٧. فِلْع: ولد – غصن – سن مكسورة – شق.
٨. ركيك: ضعيف – عجوز – رقيق – سريع العدو.
٩. خبا: خمد – توارى – مُني بخيبة – تعثّر.
١٠. تقاعس: تذمَّر – قوَّس ظهره – تأخر – جَبُن.
١١. استشرى: فسد – تفاقم وعظم – مرض – باع.
١٢. مُنافٍ: متفوق – مشرف – معاند – مباين ومخالف.
١٣. وجار: جحر الضبع – مأوى – حجاب – جدل عنيف.
١٤. أرومة: غاية – رائحة عطرة – غزالة – أصل.
١٥. تخضَّب: اغتسل – تلوَّن – احمرَّ خجلا – أثخن بالجروح.
١٦. استوفى: أمات – أخذ – خان وغدر – اختار.
١٧. نَزِق: قذر – زلق – طائش عَجول – كثير الهزل.
١٨. راهِن: دائم ثابت – بغيض – مقيَّد – مقبل.
١٩. حُمَيّا: مروءة – ريح حارة – حمّى – شدة الغضب.
٢٠. اصطلى: لمع – استدفأ – احتجب – طلب حماية.
٢١. واجف: يابس – نازف – خافق مضطرب – ساكن.
٢٢. عويص: أعْوَج – دائم العصيان – صعب – مسدود.
٢٣. ازدان: طلع ثمره – تبختر – ثقل – تزيّن.
٢٤. انبجس: انفجر – ارتبك – فُضح – نطق بعد صمت.
٢٥. حصافة: حُسْن – جودة الرأي – شجاعة – لطف.

الأجوبة الصحيحة

١. اللَجاجة: العناد والالحاح. يقال: "في فؤاده لجاجة" أي خفقان من الجوع.
٢. الحيطة: المحاذرة والمحافظة على النفس. التحويطة: بيوت مصطفة كالدائرة.
٣. الضير: الضرر. الضَوْر: الجوع الشديد.
٤. نكث العهد أو البيع: نقضه ونبذه. النكيثة: النفس.
٥. امتُقِع: تغير لونه من حزن أو فزع كأنه ضُرب بشيء حتى يتغير. مَقَعَهُ بشرّ: رماه به.
٦. الحرِّيف: اللاذع اللسان بحرارته. يقال "هذا بصل حرّيف."
٧. الفلْع: الشق في القدم وغيرها. الفالعة: الداهية.
٨. الركيك: الضعيف في عقله أو رأيه والقليل الهمة. كلام ركيك: سخيف الالفاظ والمعاني.
٩. خَبَتِ النار: خمدت. يقال "خبا لهبه" أي سكن فوراً غضبه.
١٠. تقاعس عن الأمر: تأخر.
١١. استشـرت الامـور: تفـاقمت وعظمت. أشرى البرق: لمع واشتد لمعانه.
١٢. مُنافٍ: مباين ومخالف. يقال "هذا ينافي ذاك" أي يباينه ويخالفه.
١٣. الوجار: جحر الضبع وغيرها. الوَجْر: شبه كهف في الجبل.
١٤. الارومة: اصل الشيء. ايضـاً: الحَسَب. يقال "هُو شريف الارومة."
١٥. تخضّبت بالحناء: تلونت به. اخضوضب الشجر: اخضرّ.
١٦. استوفى حقه: أخذه تاماً وافياً. أوفى على المئة: زاد.
١٧. النَزِق: الطائش والخفيف عند الغضب والعَجُول في جهل وحمق.
١٨. الراهِن: الدائم والثابت والمتين. أيضاً: المُعَدّ. حجة راهنة: قوية.
١٩. الحُمَيّا: شدة الغضب وأوله. يقال: "لا تكلمه في حُمَيّا غضبه."
٢٠. اصطلى بالنار: استدفأ. يقال: "فلان لا يُصطلى بناره" أي انه شجاع لا يطاق.
٢١. القلب الـواجـف: الخـافـق، المضطرب.
٢٢. العويص: الصعب. كلام عويص: يصعب فهمه.
٢٣. ازدان: تزيّن. أمراض الزينة: ما يكون منها في الشعر والجلد والاظفار.
٢٤. انبجس الماء: انفجر. عين بجيس: غزيرة.
٢٥. الحَصافة: جودة الرأي واحكام العقل. يقال "فلان حَصِف وحصيف."

المستوى

٢١ – ٢٥: ممتاز
١٦ – ٢٠: جيد جداً
١١ – ١٥: مقبول

لا تبالغوا في الرياضة!

ان السعي الى اللياقة البدنية من طريق القول المأثور "لا كسب من غير ألم" قد يؤدي الى عواقب وخيمة

قبل خمس سنوات بدأت بكثير من الحماسة برنامجاً للتمارين الحيهوائية (★). ومثل كثير من الناس كنت مقتنعاً بالفوائد الصحية المتعددة الجوانب التي توفرها التمارين البدنية، مثل انخفاض الوزن والكولسترول وضغط الدم وتقوية جهاز المناعة في الجسم. ولكوني أتحدر من عائلة ذات ماضٍ طبي مع ضغط الدم المرتفع والامراض القلبية، كنت أعرف أن التمارين الرياضية المنتظمة، مع نمط حياة يتصف بالاتزان في التدخين وتناول الاطعمة الفقيرة بالدهنيات والكولسترول، هي أمور لا بد منها لتأمين حياة طويلة وصحية.

لذلك مارست التمارين الرياضية المنهكة في النادي المحلي، ركضاً على سجادة متحركة و"قيادة" لدراجة ثابتة، ثلاث مرات في الاسبوع بمعدل ثلاثين دقيقة كل مرة. وبعد مضي شهرين أصبحت أكثر لياقة ونشاطاً وانخفض ضغط الدم لدي عشر نقاط.

استنتجت من ذلك أنه اذا كان في مقدوري أن أنجز كل ذلك في ثلاث مرات أسبوعياً فإن المزيد من التمارين سيعود عليّ بفوائد أكبر كثيراً.

خلال الاشهر الستة التي تلت زدت تماريني ساعة أو أكثر ركضاً خمس مرات

(★) Aerobic exercises

أو ستاً في الاسبوع. في البدء بدت هذه الرياضات كأنها تحسن لياقتي، ولكن مع استمرار التمارين الثقيلة سرعان ما شعرت بألم في عضلاتي وركبي. وغالباً ما كنت أشعر بالارهاق بدل الانتعاش بعد كل تمرين. والاسوأ من ذلك أنني وجدت نفسي أكثر عرضة للزكام. ألم يكن مفترضاً أن تحميني التمارين الرياضية من كل ذلك؟

فورة عصرية. إن التمارين الرياضية تعزز نظام المناعة، ولكن الى حد معين. يقول الدكتور توماس توماسي رئيس دائرة الطب الجزيئي والمناعة ومدير معهد روزويل بارك التذكاري في بافلو بنيويورك: "إن التمارين الرياضية المفرطة قد تؤدي الى اضعاف نظام المناعة."

والى ذلك هنالك دلائل تؤكد أن التمارين الرياضية المفرطة تزيد من امكان التعرض للاذى. وتظهر الدراسات التي أجراها الدكتور كينيث كوبر مدير مركز الابحاث الحيهوائية في دالاس وغيره من الباحثين أن معظم الناس يمكنهم الوصول الى النتيجة المتوخاة من التمرين، أي المرحلة التي تصل فيها أوفر كمية من الاوكسيجين الى جميع أنحاء الجسم، بممارسة التمارين الحيهوائية بين ٢٠ و ٤٥ دقيقة ثلاث أو أربع مرات في الاسبوع. وبعد ذلك لا يؤدي أي جهد اضافي الى أي نتيجة إيجابية. بل ان النتائج قد تأتي عكسية.

لنأخذ مثالا على ذلك رالف لويس الذي تقاعد في كرافتس كومون في فيرمونت. كان في الفترة التي سبقت ذلك يحافظ على لياقته البدنية بممارسة السباحة غير مرة في الاسبوع. أما في فيرمونت فهو انتقل الى ممارسة التزلج. وبسرعة فائقة وصل الى التزلج ٢٥ كيلومتراً في اليوم. وأثرت هذه التمرينات اليومية في نفسيته فارتفعت معنوياته. ويقول متذكراً: "حتى عندما بدأ وركي يؤلمني أنحيت باللائمة على الجو الرطب."

ولكن في النهاية لم يعد في استطاعة لويس حتى الانحناء لربط شريط حذائه. وكشف الفحص الطبي المشكلة:التهاب



المفاصل العظمية الذي زاده الافراط في التمارين وسبب في النهاية تآكلا في الورك. واليوم، بعد جراحتي ابدال مفاصل وأشهر من العلاج، يفيد لويس من التمارين الحيهوائية التي يمارسها ثلاث مرات في الاسبوع سيراً بطيئاً لا يخلو من العرج في مروج القرية.

وراء هذه الاصابات الطويلة الامد تكمن فورة التمارين الحيهوائية. إن ملايين الناس اليوم يمارسون تمارينهم بانتظام. كثير منهم يمارسون الجري، بينما يحصل غيرهم على المنافع الحيهوائية بواسطة المشي أو السباحة أو ركوب الدراجات الهوائية أو ممارسة الألعاب الجمبازية أو الرقص العنيف أو التزلج أو الوثب أمام جهاز التلفزيون على ايقاع برنامج للتمرين.

قاعدة خاطئة. كثيرون من الذين يمارسون الرياضة يبالغون فيها الى حد أنهم يتأذون بدل أن يصبحوا أكثر لياقة. ولقد حقق علماء الاوبئة في "مراكز الحد من الامراض" في أتلنتا بولاية جورجيا مع ٢٥٠٠ رجل وامرأة بعد مرور سنة على اشتراكهم في مسابقة ركض لمسافة عشرة كيلومترات. فتبين أن أكثر من ثلثهم أجبروا على تقليص تمارينهم أو الغائها بسبب اصابة عضلاتهم، وأن سُبعهم خضعوا للمعالجة الطبية بسبب هذه الاصابات.

وهذه الظواهر ماثلة أيضاً في أنواع أخرى من التمارين الحيهوائية. ويقول الخبراء ان عدداً قليلا من الذين يبدأون برنامجاً للتمارين الحيهوائية يستمرون فترة كافية لإدراك فوائده. وفي الوقت الحاضر يقرّ اختصاصيو التجبير والتقويم ان عملهم مزدهر في معالجة تمزق العضلات والتهاب الأوتار والتواء المفاصل والكسور العظمية وسوى ذلك من المشاكل التي يسببها التمرين المفرط.

لكن هذه أمور يمكن تداركها. يقول طبيب القلب جايمس ريب مدير مختبر التمارين الفيزيولوجية في كلية الطب بجامعة مساتشوستس: "إن النصح الطبي بالتمارين الرياضية لا يعني الركض حتى العرج أو السباحة حتى تشنج الذراعين



والساقين." هنالك تأثيرات مفيدة صحياً حتى في أقل درجات التمارين الرياضية الصحيحة. فالسير بسرعة تزيد ٣٥ في المئة على سيرك المعتاد يمكن أن يوصل جهاز الاوعية الدموية لديك الى المستوى الرياضي في أقل من عشرين دقيقة.

إذاً يجب اجتناب قاعدة "لا كسب من غير ألم." وينصح الدكتور ريب: "إن مفتاح الوصول الى أعلى الفوائد في التمارين الرياضية هو في اتباع برنامج منطقي وغير مؤذ."

هنا نصائح يقدمها خبراء:

□ ابدأ بمعرفة وضعك الصحي العام. وهذه المعرفة يجب أن تبنى، مبدئياً، على فحص طبي يأخذ في الاعتبار عمرك ووزنك ونمط حياتك ووضعك الصحي الحالي ونتائج اختبار صحة أوعيتك الدموية. وينبه الدكتور كوبر: "اذا كنت تنوي ممارسة رياضة أكثر نشاطاً من المشي فسيكون ضرورياً الخضوع لفحص طبي شامل، مع التشديد على اختبار الإجهاد، اذا كنت تجاوزت الاربعين أو كنت مدخناً أو بديناً أو من عائلة ذات ماضٍ طبي في ما يختص بأمراض القلب أو ارتفاع ضغط الدم أو ارتفاع نسبة الكولسترول."

أما اذا لم تخضع لفحص طبي شامل فإن رهانك الاسلم هو في افتراضك أن وضعك الصحي رديء وعليك أن تبدأ ببطء. يقول الدكتور روبرت ليوي في "الدليل الطبي الكامل" الصادر عن كلية الاطباء والجراحين في جامعة كولومبيا: "إن البرنامج الامثل لتمارين القلب والاوعية الدموية هو المرن والمتدرج." فاذا كنت تنوي ممارسة الرقص الحيهوائي، مثلاً، فعليك أن تسجل في صف المبتدئين. بعد ذلك يمكنك أن تتدرج الى تمارين أكثر تقدماً واجهاداً عندما يصبح جسدك مهيأ لها.

□ توجه نحو نطاق هدفك المحدد. ان الغاية من اتباع برنامج منطقي وغير ضار هي زيادة فاعلية عمل الرئتين والقلب حتى يتمكنا من توزيع أكبر كمية من الاوكسيجين من دون إلحاق أذى بالجهاز العضلي والهيكل العظمي. ومن البديهي أن الجهد المطلوب لزيادة نبضات القلب يختلف بين شخص وآخر. إن رجلا متوسط العمر يعاني بعض الوزن الزائد ويقضي معظم وقته جالساً لا يحتاج الى أكثر من بضع دقائق من السير السريع ليحصل على زيادة في نبضات قلبه.

يمكنك أن تحدد نطاق هدفك من خلال معادلة بسيطة: أولا، حدّد الحد الاعلى لضربات قلبك في الدقيقة بطرح عمرك من ٢٢٠. ان الحد الاعلى لشخص في الخامسة والثلاثين من عمره، مثلا، هو ١٨٥ ضربة في الدقيقة. ثانياً، احتسب ٦٠ في المئة و٨٥ في المئة من الحد الاعلى لديك، فيكون النطاق الواقع بين الرقمين هو نطاق هدفك (أي بين ١١١ و١٥٧ نبضة في الدقيقة بالنسبة الى شخص في الخامسة والثلاثين من عمره.

الآن، راقب معدل نبضات قلبك خلال التمرين وبعده مباشرة. ضع اصبعين أو ثلاث أصابع على الشريان النابض داخل معصمك، أو على أحد الشريانين السباتيين في العنق. عدّ الضربات لمدة عشر ثوانٍ ثم اضرب الرقم في ستة

لاحتساب عدد الضربات في الدقيقة الواحدة: اذا وجدت أن قلبك يعمل أدنى من نطاق هدفك أثناء التمرين، عجّل حركاتك التمرينية. أما اذا كان معدل نبضات قلبك أعلى من نطاق هدفك فتمهلّ أو توقف موقتاً عن التمرين.

وأعلم أن بعض الادوية، كالتي توصف في حالات ارتفاع ضغط الدم، يمكن أن تؤثر في سرعة نبضات قلبك. اذا كنت تتناول أي ادوية بانتظام، استشر طبيبك قبل أن تبدأ برنامجاً للتمارين الرياضية.

□ اختر التمرين الذي يضع سرعة نبضات قلبك في نطاق هدفك والذي يكون ممتعاً وغير مؤذ في آن. هناك كثير من النشاطات التي تزيد فاعلية وصول الاوكسيجين الى أجهزتك، وبينها المشي السريع والهرولة والركض وركوب الدراجة الهوائية والسباحة والرقص النشيط والقفز فوق الحبل. لكن بعض هذه التمارين يتميز بالجهد القوي فيشكل ضغطاً فائقاً على العضلات والمفاصل، من ذلك الركض والرقص الحيهوائي والقفز فوق الحبل.

واعلم أن ليس من الضروري أن تكون في منتصف عمرك لتجد أن التمارين الحيهوائية المجهدة شاقة جداً. حتى ابن الخامسة والعشرين قد يتعرض للأذى اذا بدأ التمارين المجهدة بحماسة كلية ولم يكن مهيأ لها.

ما هو البديل؟

ينصح الدكتور ريب وغيره من أطباء القلب بالمشي. في دراسة حديثة تبين أن ٩٠ في المئة من النساء اللواتي تراوح أعمارهن بين العشرين والتاسعة والسبعين استطعن الحصول على معدل النبض المطلوب خلال كيلومتر ونصف كيلومتر من السير السريع، كما أن ٨٠ في المئة من الرجال الذين تخطوا الستين استطاعوا الحصول على الفوائد الكاملة من جراء هذا التمرين. كذلك تبين أن ثلثي الرجال تمكنوا من الوصول الى نطاق هدفهم خلال كيلومتر ونصف كيلومتر.

قبل مدة وجيزة أخضعت ثلاث نسوة من أعمار متفاوتة لاختبارات تناولت قوة القلب والاوعية الدموية، في مركز النشاطات الحيهوائية في دالاس. كانت احداهن بطلة في الكمال الجسماني، من كاليفورنيا، وفي الثامنة والعشرين من عمرها. وكانت الثانية من نيويورك، في الاربعين من عمرها، تعمل بائعة ولا تمارس الرياضة بانتظام بل تسير عدة كيلومترات يومياً بداعي عملها في بيع الادوات واللوازم المكتبية. وكانت الثالثة جدة من تكساس في الرابعة والستين من عمرها، مارست التمارين الرياضية على نحو متقطع خلال حياتها. ماذا كانت النتيجة؟ البائعة المتجولة أتت في الطليعة مع فارق شاسع في النتيجة. وحلت الجدة في المرتبة الثانية. أما بطلة كمال الاجسام فحلت في المرتبة الثالثة.

يشدد الدكتور ريب: "إن مفتاح الوصول الى أوعية دموية سليمة وقلب سليم يكمن في الثبات وليس في السرعة. وبمقدار ما يسرع الناس في تجسيد هذه الفكرة في أنظمتهم الرياضية، يكونون أوفر صحة وأكثر لياقة."

ستانلي انغلبارت ■



مؤسسة خيرية تحقق أحلام أولاد مرضى لم تبق لهم من الحياة سوى أيام

قد لا يلاحظ الزائر شيئاً غير عادي لدى إلقائه نظرة أولية خاطفة على أحد الاضرحة في مدافن كيواني في إيلينوي. يقرأ هذه الكلمات المحفورة في الرخام المصقول: "كريستوفر جايمس غريشس، شرطي درّاج في ولاية أريزونا." لكن أمارات الدهشة تعلو وجه الزائر عندما يتمعن في التاريخ المحفور: "٨/٨/٧٢ - ٥/٣/٨٠." عندئذ يتساءل: كيف يمكن ذلك؟ هل يعقل أن يحصل هذا الصبي على وظيفة شرطي درّاج في الولاية وهو لم يتعدّ السابعة من عمره؟

الجواب هو نعم، وذلك بفضل مؤسسة "أطلب أمنية،" وهي منظمة أمريكية وطنية لا تتوخى الربح، هدفها تحقيق أغلى الرغبات لدى الاطفال الذين يعانون أمراضاً مميتة. وقد عمل أكثر من ٦٠٠٠ متطوع في "أطلب أمنية" على تحقيق أماني ألوف الاولاد، فوقفت فتاة في السابعة من عمرها الى جانب رئيس الولايات المتحدة وأضاءت شجرة الميلاد الوطنية، ورمى صبي في التاسعة الكرة الافتتاحية في مباراة لفريقه المفضل، وقابل شاب في السادسة عشرة الاميرة ديانا زوجة ولي العهد البريطاني.

في يونيو (حزيران) ١٩٧٧ في مدينة فينيكس بولاية أريزونا التقى الطفل كريس غريشس الشرطي تومي أوستن. فذات يوم عاد أوستن من عمله الى البيت ليجد صبياً غريباً ممدداً على كنبة في غرفة الجلوس. استدار الولد وصوب مسدس أطفال نحو رجل القانون محذراً: "اجمد في مكانك، إنني شرطي."

ولم يبعد الصبي ذو السنوات الاربع مسدسه عن أوستن الا بعدما فتشه بدقة. وعندئذ قال له: "مرحباً، اسمي كريس."

كان كريستوفر غريشس ابن احدى صديقات زوجة أوستن. واذ كان يعاني من مرض السرطان فقد تركته امه ممدداً على الكنبة أثناء زيارتها لصديقتها. كانت حاله مدعاة الى الحزن، لكنه كان يملك هالة لا تقاوم أسرت أوستن، وخصوصاً أن طموحه الاعظم كان أن يصبح شرطياً. ويتذكر اوستن: "منذ وقع نظري على كريس صارت أوتار قلبي في يديه."

بعد ثلاث سنوات ساءت حال كريس، فصممّ أوستن مع شرطيين من زملائه في دائرة الامن العام في أريزونا على رفع معنوياته. وفي السابع والعشرين من شهر ابريل (نيسان) عام ١٩٨٠ حلقت طوافة تابعة للشرطة فوق أنحاء مدينة فينيكس وكريس داخلها. ثم حطت في المقر الرئيسي للدائرة حيث كان في انتظاره



أربع دراجات نارية وثلاث سيارات تابعة للشرطة. وهناك أدى القسم كشرطي فخري، ثم أجلس الى مقود سيارة للشرطة وهو قاعد في حضن شرطي. وفي اليوم التالي ألبس الصبي خوذة ونظارتين وشارة الشرطة وزياً رسمياً خيط خصيصاً له. وهو كان يطير فرحاً.

وبعد يومين من مراسم تقليده منصبه في الشرطة أدخل كريس المستشفى. وكان طلبه الوحيد أن توضع خوذته ولباسه الرسمي حيث يراهما دائماً. وبعد ثلاثة أيام توفي كريس. ودفن الشرطي الصغير وهو في لباسه الرسمي، وأجريت له مراسم دفن رسمية مع كامل التشريفات..

أحلام بلا حدود. أدرك أوستن وآخرون ما كان يعنيه حلم كريس في أن يكون شرطياً دراجاً. ويقول أوستن: "تبين لنا أن مئات الاطفال في العالم يملكون أحلاماً كبيرة ووقتاً قليلا. هناك أطفال نستطيع أن نفرحهم ولو لدقيقة واحدة. فقررنا أن نفعل شيئاً لهؤلاء."

وهكذا ولدت مؤسسة "أطلب أمنية" في خريف ١٩٨٠. في البداية عملت المؤسسة ضمن نطاق محلي. ومع ذيوع صيتها انهمرت عليها طلبات المساعدة من أرجاء البلاد. وفي أوائل ١٩٨٣ توسعت المنظمة لتصبح "مؤسسة اطلب امنية الامريكية،" وهي اليوم توجه أكثر من مئة فرع في الولايات المتحدة، اضافة الى مؤسسات فرعية في كندا وأوستراليا ونيوزيلنده وبريطانيا.

أما مواصفات الولد "صاحب الامنية" فهي: أن يراوح عمره بين سنتين ونصف سنة و١٨ سنة، وأن يثبت أنه مصاب بمرض مميت. ويجب أن تكون الامنية نابعة حقاً من قلبه، وأن يوافق اهله وطبيبه الخاص على صواب الفكرة. أما الوضع المادي فليس بالعامل المهم، كذلك تكاليف تحقيق الامنية. ففي العام ١٩٨٧ وحده استطاع المتطوعون أن يجمعوا ٦،٨ ملايين دولار، وكان هذا كافياً لتحقيق ٢٠٠٠ أمنية بمعدل ٣٤٠٠ دولار للامنية الواحدة. يقول مايك لويس الرئيس السابق لمؤسسة "أطلب أمنية": "لا يحد حلم الطفل إلا مخيلته."

إن أحلام بعض الصغار بسيطة. كانت فتاة تعاني مرضاً موهناً في العظام، فتمنت فقط أن تتلقى رسائل يومية تفضها بيدها. فأمنت المؤسسة أشخاصاً يراسلونها. ولكن ثمة أمنيات أخرى أكثر تعقيداً. احدى المراهقات، مثلا، طلبت أن تزور الاراضي المقدسة في فلسطين، فكان لها ما أرادت. تقول جاين مارتنز مؤسسة فرع واشنطن: "لا نستطيع أن نعد هؤلاء الاطفال بالسلام على الارض أو بأنهم سيتحسنون صحياً، لكننا نستطيع أن نجعل الطفل يشعر لفترة وجيزة بأنه الشخص الاكثر أهمية في العالم."

ولشدة تعاطف المؤسسة مع حاجات الاولاد، طوّرت مقدرة خارقة في تحقيق الامنيات. فقبل مدة قريبة علم فرع لوس انجلس أن بريان، وهو صبي في السادسة من العمر مصاب بورم في الدماغ يستحيل استئصاله، مفتون بالملاحة الجوية وأنه يرغب في اقتناء نموذج مصغر لطائرة. لكنه يتجه نحو العمى وبراعته اليدوية تتدنى بسرعة.

فرأى مايك لويس، وهو طيار خاص، أن بريان قد يرغب في سماع هدير الطائرات. وهو يقول: "لقد حصل بريان على طائرته المصغرة. لكننا زودناه أيضاً جهاز راديو فيه موجة لالتقاط ذبذبات الطيران التجاري. بعد ذلك طلبنا من القبطان جيري ستامبس أن يقدم الى الصبي خوذة طيار وأشرطته كنا صنعناها لهذا الغرض." وجد ستامبس نفسه مذعناً لهذه الامنية. فطلب بدوره من زملائه الطيارين أن يتصلوا ببريان لاسلياً ويتمنوا له الشفاء العاجل كلما حلقوا فوق منطقة أورانج في ولاية كاليفورنيا. ولم يمض وقت وجيز حتى بات جميع الطيارين المحلقين فوق جنوب كاليفورنيا يتصلون ببريان.

يقول لويس: "لا أستطيع التفكير في شيء آخر قد يعني لبريان ولعائلته أكثر مما عناه تحقيق هذه الامنية التي أدخلت البهجة الى حياته. ولقد أبقى بريان الجهاز اللاسلكي يعمل مدة ٢٤ ساعة في اليوم حتى يوم وفاته.

رقصت بقلبها. ان النشوة الناجمة عن ادخال الفرح الى قلوب الصغار تنتقل كالعدوى غير مقتصرة على متطوعي المؤسسة. حلمت ماليندا ذات السنوات العشر من مدينة واشنطن طوال حياتها بأن تصبح راقصة، لكنها كانت تعاني نقصاً في تغذية العضلات جعلها مقعدة في كرسي متحرك. وباتت أمنيتها القلبية أن تشاهد عرضاً حياً للباليه. أمنت لها مؤسسة "أطلب أمنية" أمسية راقصة في "باليه بنسلفانيا" بدأت بجولة خلف الكواليس وقدمت لها بعدها الراقصة الشهيرة تامارا هادلي خفّيها وتنورتها التي رقصت بها الليلة السابقة. ثم أرشدت الفتاة المنبهرة وأفراد عائلتها الى مقصورتهم في المسرح.

لقد تحققت الامنية، او هكذا بدا. إلا أن الراقصين أعدوا للفتاة مفاجأة بدورهم. فقبل انزال الستارة في نهاية العرض تقدم الراقصون جميعهم أمام مقصورة مالیندا وانحنوا بانسجام. وفيما الاضواء مسلطة على وجه مالیندا قذفت الراقصة هادلي نحوها باقة زهور.

تلك الليلة رقصت ماليندا بقلبها.

تدرك مؤسسة "أطلبِ أمنية" أن الطفل عندما يعاني مرضاً مميتاً تتألم العائلة بأسرها. تقول ليندا جينسن التي فقدت ابنها وهو في السابعة من العمر نتيجة اصابته بالسرطان: "أثناء مرض يان خصصنا له الكثير من وقتنا حتى شعر شقيقاه بأنهما مهملان."

ولما علمت المؤسسة أن يان يرغب في زيارة مركز جون كندي الفضائي في فلوريدا دعت جميع أفراد العائلة الى المشاركة في الرحلة، وهكذا لم يعد شقيقا يان يشعران بأنهما مهملان. تقول ليندا جينسن: "لبعض الوقت عدنا عائلة طبيعية. لقد أتاحت لنا الرحلة اجتياز أوقات عصيبة وتركت لنا جميعاً ذكرى نستعيدها الى الابد."

مدمنو المساعدة. تسرف المؤسسة في السخاء عند تحقيق أمنية ما. وحين يكون الولد مع عائلته في طور تحقيق الامنية، تؤمّن جميع المصاريف المتعلقة ببطاقات السفر والتنقلات والامتعة ووجبات الطعام وحتى المصروف الشخصي، إما من المؤسسة واما من هبات فاعلي الخير. ولا يتوجب على العائلة أي مصاريف. ويشرح لويس هذا الامر: "الهدف هو إحداث فترة زمنية خالية كلياً من الهموم بمقدار ما تسمح به ظروف الحياة الانسانية. نحن نحقق الامنية ونَنسحب فاسحين في المجال للعائلة لكي تتمتع بها."

وتعوّل المنظمة كلياً على الهبات من أموال وهدايا وخدمات. ولما كانت تعتمد الى حد بعيد على المتطوعين، فإن أقل من ١٦ في المئة من أموال التبرعات تذهب الى الاعمال الادارية.

يجب على المتطوعين أن يكونوا جاهزين عند أول اشارة لترك كل شيء والسعي الى تلبية أمنية معقدة. تقول جاين مارتنز: "نحن نعمل حسب مواعيد الطبيعة وليس حسب مواعيدنا. لذلك نضطر غالباً الى التحرك بسرعة."

هكذا كانت الحال مع جون ابن السادسة عشرة الذي حلم بأن يحتفل بعيد ميلاد أبيض. كانت المشكلة أن الوقت هو منتصف شهر يوليو (تموز) وجون يقطن في فينيكس ويعلم أنه لن يعيش حتى الميلاد في ديسمبر (كانون الاول).

باشرت المؤسسة العمل. نقل جون ووالدته وجدته وشقيقاه وشقيقتاه الى كوخ في منطقة بحيرة تاهو في نيفادا المحاطة بجبال سامقة مكللة بالثلوج. وأضرمت النار في المدفأة وتلألأت شجرة ميلاد وحولها علب هدايا. ووضع ديك ريمي في الثلاجة جاهزاً لادخاله الفرن. ولم يغفل فريق المؤسسة أي شيء. وعندما قرع جرس الباب في ليلة باردة قام جون لفتحه، فإذا به أمام جوقة غنت له أغنيات ميلادية.

وتوفي جون بعد ذلك بأسبوع، ولكن بقيت للعائلة ذكرى عيد ميلاد لن تنساه.

نقطة تحول. ليس مستغرباً أن تدفع الامنية الولد المريض الى جمع قواه فجأة، كما حصل في حال أندريه وهو صبي في السابعة من العمر من ليفيتاون في

نيويورك كان يعاني داء استسقاء الرأس، وهي حالة يضغط فيها السائل الزائد في الجمجمة على الدماغ فيؤدي الى انتفاخ الرأس. وبعد الخضوع لـ٢٢ جراحة لادخال الانابيب البلاستيكية التي تجفف السائل عن الدماغ، فقد أندريه ارادته في الحياة. انخفض وزنه الى ١٥ كيلوغراماً وضعف الامل بنجاته.

ثم علمت المؤسسة برغبة أندريه في احياء حفلة كبيرة في ذكرى مولده. فنظم محققو الاماني حفلة لا مثيل لها، دعي اليها سبعون صديقاً وضمّت مأكولات شهية وقالب حلوى ضخماً ومهرجين.

"اما الشيء البارز،" تقول والدة أندريه، "فكان الفرقة الموسيقية الكبيرة المؤلفة من ٥٥ عازفاً والتي وقفت أمام منزلنا وعزفت أغنية العيد."

كان ذلك بالنسبة الى اندريه نقطة تحول في حياته. فجأة تحسنت حاله الصحية.

وتقول والدته: "انه اليوم ولد مختلف كلياً. لقد زاد وزنه ١٨ كيلوغراماً وهو يذهب الى المدرسة ويملك ارادة قوية للحياة."

بعد الحفلة تبرع أندريه بمدخراته، وهي ٣٧ دولاراً أمريكياً من فئة السنتات، الى الفرع المحلي لمنظمة "أطلب أمنية." وهو قال آنذاك: "أريد أن أهب هذا المال طفلا آخر كي تتحقق أمنيته."

بير أولا وإميلي دولير ■



بسمة الجدة

كانت الجدة في الحمام تنظف أسنانها الاصطناعية. فلحقت بها حفيدتها ابنة الاربع السنوات وراحت تراقبها بصمت وهي تنهي غسل الاسنان ثم تضعها في فمها. بعد ذلك توجهت البنت الى أمها وسألتها: "هل تستطيعين نزع أسنانك يا ماما؟"

فاجابت الام الشابة: "لا، وحق السماء!"

فأخذ العجب البنت وقالت: "تستطيع جدتي أن تضع بسمتها في يدها!"

ا. م. غ.

عندما يضيّع الزوج عقله

لي زوج لا يضع شيئا في مكانه ويعتمد على ترتيبي ومساعدتي اياه في تحديد المكان الذي نسي فيه ما أضاعه، إذ أسأله: "متى استخدمته آخر مرة؟"

وذات يوم عطلة عمدت الى هذا الاسلوب مرارا فيما كان ينجز أعمالا صغيرة متنوعة في البيت. وفي آخر السهرة كان يعمل على "مشروع" كبير فصرخ: "أعتقد أني أضعت عقلي!"

فسألته بصوت عذب: "حسناً، متى استخدمته آخر مرة؟"

ر. ج.

أن تحبّ...

أحبَّ أي شيء فيُعتصر قلبك وربما ينكسر. ولكي تتأكد من أنك ستحتفظ به سليماً عليك ألا تمنحه أحداً، ولا حتى حيواناً. أحِطْه بالهوايات ووسائل الترف التافهة، وجنّبه أي ارتباط. احبسه في تابوت انانيتك. لكنه في هذا التابوت الآمن المظلم الساكن الخانق سوف يتغير. لن ينكسر، بل سيغدو متحجراً، غير قابل للكسر. ولا سبيل الى اصلاحه. أن تحب يعني أن تكون قابلا للانجراح.

سيسيل داي لويس

كاتب وروائي بريطاني

نزهة داخل الذات

لا ريب في أن الاندفاع الى إسقاط كل شيء وبدء حياة جديدة برمتها هو من علامات التغيير الاكثر وروداً والاكثر رفضاً.

غير أني، على مر السنين، بتّ مفرطاً في الشك في قيمة اقتلاع المرء نفسه من محيط ليتجذر في محيط آخر. وإذ أنظر خلفي الى التنقلات الكبرى التي فكرت فيها ولم أقدم عليها، لا أجد في حافظتي الآن ما أتمنى حقاً لو أني فعلته. قد يكون انتقالي الى القطب الحدث الذي كان سيفتح أمامي آفاقاً واسعة، بيد أنني، لو انتقلت الى هناك، فربما انتهيت طعاماً للدببة. ولربما فوّت بعض المناسبات العظيمة لتحسين أحوالي. ولكن اذا كان يساورني أي ندم – واني لنادم حقاً – فلأني لم أعمل كفاية على تعديل جغرافيتي الداخلية الخاصة، ولم أكن أكثر اقداماً على المغامرة في الرحلات التي قمت بها داخل ذاتي.

لودن وينرايت، كاتب امريكي

فن المحادثة

يكاد فن المحادثة ينقرض. ولكن وفقاً لكل المقاييس ليست هناك فعلا سُبُل للاحتكاك بذهن انسان آخر الا بالكلام. تحتاج المحادثة الجيدة، مثل كل مأثرة اخرى، الى التمرين. وفي أيامنا من الصعب اكتسابها. هناك النقاش المنفعل. وهناك الرجل الذي يملأ وقت الحاضرين باخباره الطريفة. وهناك الاختصاصي الذي يبدي رأياً في موضوع اختصاصه. لكن ذلك كله ليس محادثة. فالكر والفر، وبراعة قولبة الجملة، وتوقيت الكلام، والاخذ والعطاء الذكيان – هذه الصفات جميعها في المحادثة الجيدة – تحتاج الى أناس لامعين يلعبون كرة مضرب كلامية. وإنها لتسلية تفوق التلفاز.

ف.غ.



طرائف أمّ

تمسكت بإيمانها أن الشخص الهازل لا يهاب العالم

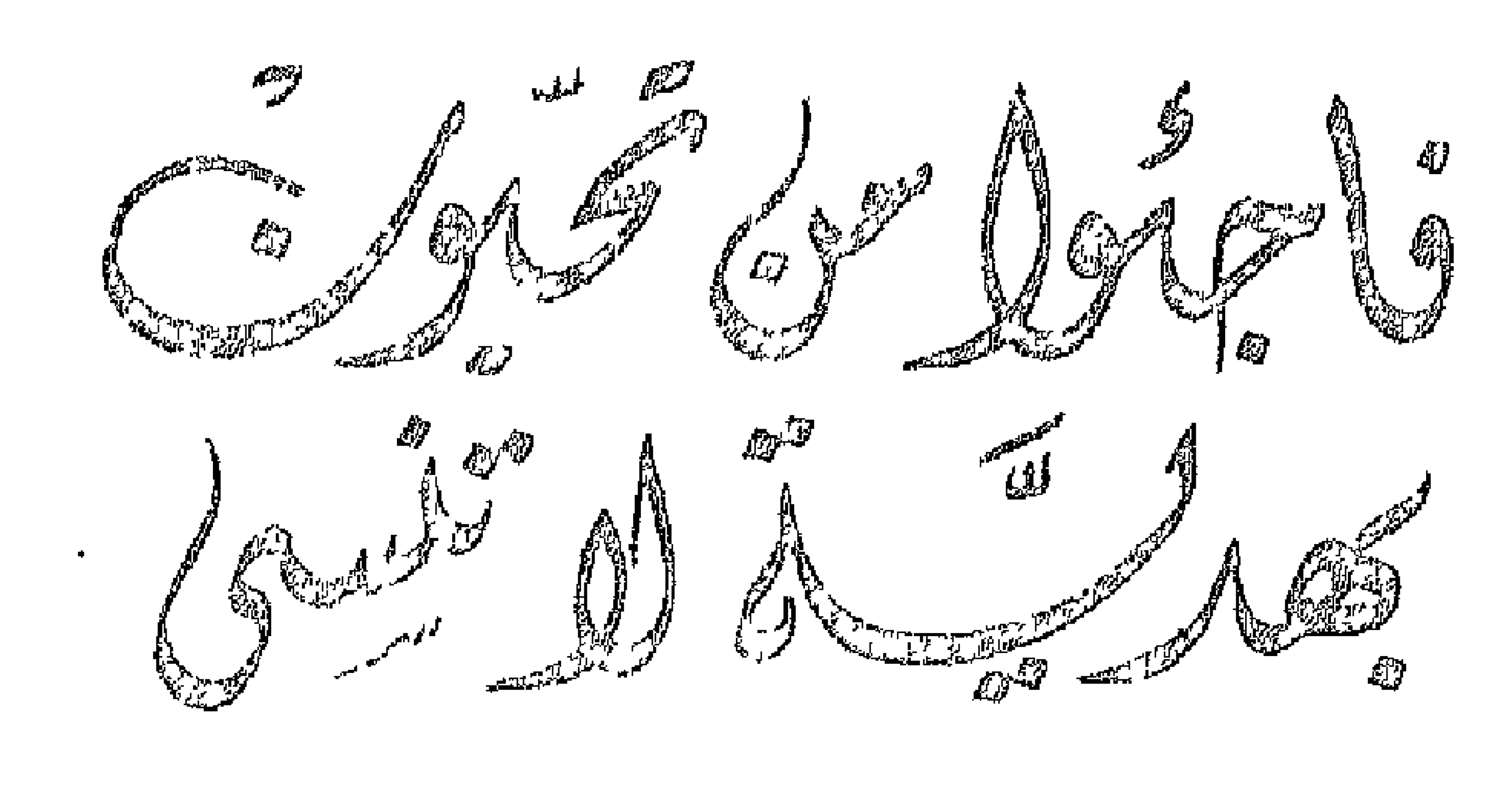
يُعتبر إلقاء النكات أرقى الفنون في عائلتنا. وقد برع والداي في الخدع اللاهية. وطالما أصغينا بحماسة ونحن أطفال الى "مقالبهما" الاسطورية مثلما يصغي الآخرون الى بطولات أجدادهم في الحرب.

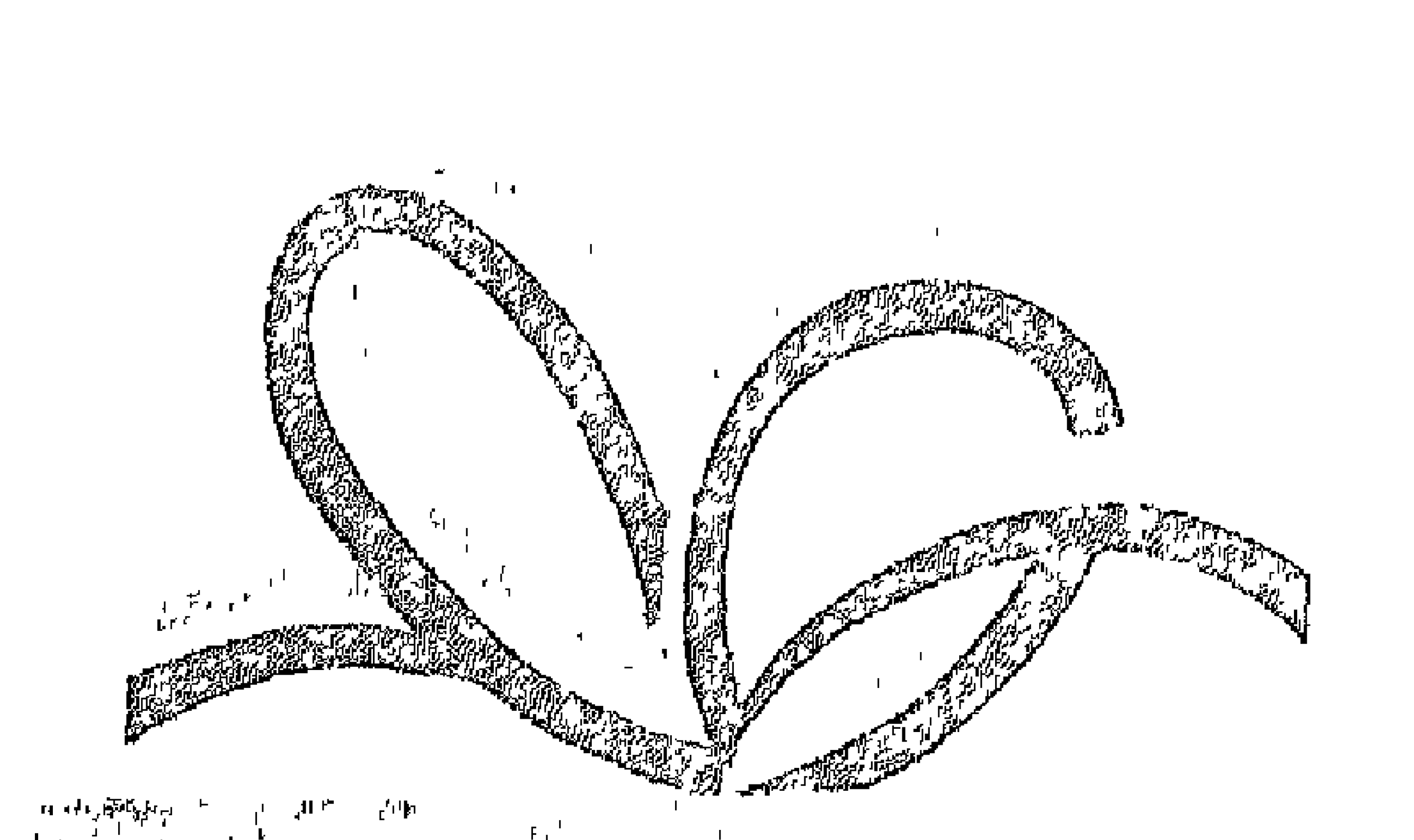
ذات مرة أمضى والداي أسابيع في بناء وحش بحري يبلغ طوله ثلاثة أمتار، من اطارات شاحنات وحجار اسمنت وقضبان مكانس وأخشاب ووسائد، وألقياه ليطفو في بركة أحد الاصدقاء. ومرة أخرى أربكا هواة جمع الاصداف إذ غليا مئات من الاصداف الجيدة مع صبغة خضراء ونثراها على الشاطىء قبل الشروق. وصباح عيد الميلاد وجدت في جوربي المعلق فوق المدخنة رِجلا. لقد أقنعت والدتي صاحب أحد المخازن بإعارتها رجل إحدى العارضات.

قد يهمل والداي احتفالنا بالعيد، لكنهما لا ينسيان إخبارنا نكتة. يفسران النكتة وهما لا يزالان يضحكان لها. عندما كنت في التاسعة وأختي ايمي في السابعة، كنا نمضي معظم اجازاتنا في منزلنا المريح الواسع نصغي الى والدينا يتباحثان في كل نقطة نظرية أو تطبيقية في فن إلقاء النكات: فكر دائماً في المستمعين. إن لم تلقَ الضحك المتوقع فعليك تنميق الكلام لتكون أفضل في المرة التالية.

كان والدي مولعاً بسرد قصص مثيرة في المقاهي أبطالها من الحيوانات أو الحشرات. وقد شاعت أخبار هذه

Condensed from «An American Childhood,» copyright © 1987 by Annie Dillard, published by Harper & Row, Publishers, Inc., New York, N.Y.
Illustration: David Womersley





تمر اعياد من نحب في غفلة عنا، فننسى مثلا ان عيد الآباء يقع في ١٢ يناير (كانون الثاني) وعيد الامهات في ٢١ مارس (آذار).

كما المناسبات الاجتماعية والشخصية ولاسيما منها اعياد الميلاد الشخصية وذكرى الزواج او التخرج او عيد الحب...

فهل فكرتم في هدية غير عادية، هدية ترافق من تحبون لأكثر من سنة، ترفقونها ببطاقة شخصية تعبرون فيها عن عاطفتكم تجاهه واهتمامكم به؟

فاذا اردتم اهداء من تحبون اشتراكاً لمدة سنة في "المختار" تفيدون خلالها من العرض الخاص (١٦ عدداً بدلا من ١٢) خلال الفترة بين ١٩٨٩/٦/١ و١٩٩٠/٥/٣٠ فما عليكم الا ملء القسيمة باسم من تودون اهداءه الاشتراك وعنوانه الكامل مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك بقيمة ٢٥ دولاراً امريكياً باسم "المختار من ريدرز دايجست" وارسالهما بالبريد المضمون (المسجل) الى احد العنوانين الآتيين:

بنك المشرق ش.م.ل.
ص.ب. ١٥٢٤
بيروت لبنان
BANK ALMASHREK S.A.L.
P.O.BOX 1524
BEIRUT-LEBANON

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت لبنان
ALLIED BUSINESS BANK S.A.L.
P.O.BOX 113-7165
BEIRUT-LEBANON

لا تنسوا ان ترسلوا مع القسيمة والشيك بطاقة شخصية موجهة الى المهدى اليه فنضعها بدورنا ضمن الرسالة التي نوجهها اليه.

اسم المهدى اليه ______________

____

عنوانه ______________

____

المناسبة وتاريخها ______________

توقيع المهدي ______________

مع أخلص تمنياتنا



لعبة التحدي في الثقافة والمعلومات

هرم المعرفة

لعبة عربية تثقيفية مشوقة

- هرم المعرفة: صممت وانتجت في لبنان
- هرم المعرفة: اول لعبة معرفة (ثقافة عامة في اللغة العربية)
- هرم المعرفة: لعبة من التي لها رواج كبير في العالم
- هرم المعرفة: لمن اراد توسيع معلوماته في كل الميادين والحقول
- هرم المعرفة: طريقة جديدة في الترفيه والتسلية
- هرم المعرفة: لعبة تسلية للشباب والعائلة كلها
- هرم المعرفة: من سن الخامسة عشرة وما فوق
- هرم المعرفة: ٣٦٠٠ سؤال و٣٦٠٠ جواب
- هرم المعرفة: ستة مواضيع مختلفة

تاريخ
فنون
علوم

هرم المعرفة مسجلة في لبنان - جميع الحقوق محفوظة ١٩٨٧

هرم المعرفة تجدونها في جميع محلات الالعاب والمكتبات
انتاج: شركة انتاج وتسويق الالعاب الثقافية ش.م.م. PROMEGA S.A.R.L.

الحيوانات الخرافية في معظم المقاهي، ومنها الكلاب الناطقة والقرود المجنونة.

الكلب والسيجار - إتبعت والدتي الاسلوب الحواري في الكوميديا المسرحية: ذهب شاب الى طبيب نفساني، فقال له هذا: "انك مجنون."

- أريد رأياً آخر.

"أنت قبيح."

أو هذه: كيف تخرج فيلا من المسرح؟ لن تستطيع ذلك، فالمسرح في دمه.

نشأنا مع النكات الكلاسيكية. أخبرنا والدانا جميع النكات التقليدية القديمة. كانت خاتماتها أقوى التعابير التي عرفناها في صغرنا.

خصصت بعض النكات المختارة لمناسبات استثنائية. وقد كانت إحداها في غاية التعقيد واستغرقت تأديتها طوال عطلة نهاية الاسبوع مع الاصدقاء المتسامحين. في البداية سردت أمي قصة طويلة تافهة عن بنّاء أوقع قطعة قرميد. ما من شيء مضحك في ذلك.

في اليوم التالي روت أمي للاصدقاء طرفة عن راكبين غاضبين في قطار. تسحب السيدة السيجار المشتعل ذا الرائحة الكريهة من فم الرجل وترميه من نافذة القطار. يمسك الرجل بالكلب الاسود الصغير في حضنها ويقذفه من النافذة ذاتها.

أخيراً، حين ينزل المسافران بصمت في المحطة، ماذا يشاهدان على الرصيف؟ الكلب الاسود. وماذا يحمل في فمه؟ فأجاب الاصدقاء بصوت واحد: "السيجار!"

فقالت أمي بانتصار: "لا، حجر القرميد."

برعت أمي في هذا الصنف من النكات. أثارتها روح المجازفة فيها. وتوسطت الملاحظات الحادة الذكية حياتها اليومية. ونحن تعلمنا في وقت مبكر التجاوب مع أخبارها لنراقبها تسرع متحمسة الى الخاتمة.

عادات غريبة - عشقت أمي كل من تحدى مبارزاتها الكلامية. أخضعت لجراحة في إحدى عينيها. وعلى طاولة الجراحة قبل أن تستسلم للتخدير استغاثت بالجرّاح طارحة عليه سؤالا خططت له قبل أسابيع: "هل سأتمكن من العزف على البيانو بعد الآن؟"

أجاب الجراح: "لن تنطلي علي هذه الخدعة القديمة."

وهي فعلا نكتة قديمة. كان على الجراح أن يجيب: "أجل أيتها السيدة الجريئة." فترد والدتي بدورها "حسناً، لطالما أردت أن أتعلم العزف." لكن الجراح كان حذقاً، وقد أحبت أمي من يحزر الامور.

رعتنا في طفولتنا بحنان واهتمام، وبعدما كبرنا أشركتنا في دعاباتها. إن ردت على مكالمة هاتفية خاطئة قالت: "دقيقة من فضلك." ثم حملت الهاتف إلي أو إلى أختي ايمي قائلة: "أجيبي، اسمك جينا." أو أسوأ من ذلك: "انها لك."

إنها طاقة لا تتوقف ولا تنسى أمراً. عندما انتقلنا الى حي آخر في المدينة أقنعت مكتب البريد بابقاء عنوانها القديم لأنها طبعت أوراقاً وظروفاً وفقه.

لا أدري كيف فعلت ذلك. لعشرات السنين تعيَّن على كلٍ موزع بريد جديد أن يتعلم أنه على رغم وضع ذلك العنوان على الرسائل الموجهة الى عائلتنا فإنه يسلمها هنا.

لم يطب لها مذاق الطوابع، لذا لم تكن تلعقها بل كانت تلعق زاوية الظرف. كانت تلصق ورق الزجاج على جوانب أدراج المطبخ وتحت الخزائن لتحظى بمكان قريب لاشعال عود ثقاب.

كانت تعتبر الامتثال البليد خطيئة، إنه الغباء عينه والجدول الهائل الذي لا تتهاون والدتي في مواجهته. اذ كانت لا تملك آراء تستهجنها غالبية الناس، ولا تنتصر لها يومياً، فالعالم أفضل من دونك.

كثيراً ما سمعت صوت أمي العاطفي يسألني وايمي وأختنا الصغرى مولي السؤال نفسه: هل هذه فكرتك أم فكرة غيرك؟ كما انها اتخذت مواقف مستهجنة وغريبة. كانت المعارضة شعارها، وهي كانت مستعدة لتحدي أي شخص في أي شأن.

إن أعلنت رأياً مقبولا لدى الناس رمقتني قائلة: "حقاً! كيف تدرين؟" فأقع في الشرك. فمن الخطأ أن أجيب: "الجميع موافق على ذلك." ففي هذه الحال كنا جميعاً ندرك ما سيحدث، اذ انها ستسألني: "هل استشرت الجميع قبل اتخاذ قرارك؟ ماذا لو قرر الجميع اعادة الهنود الى أرضهم؟"

لم تقصد أمي اخافتنا أو إرباكنا بسخريتها ودعاباتها. انها وسيلتَها الوحيدة لايقاظنا. فروح الدعابة هي تمرين على الاستقلالية والحق.

لقد كان واضحاً لي ولشقيقتيَّ أن الشرَّ اذا طغا على أصحابنا يوماً أو أصيبت الجيرة بالجنون، فعلى كل منا اتخاذ موقف خاص.

آني ديلار ■



فوضى جامعية

كنت أرشد الزوار في جولة داخل حرم الجامعة وفتحت باب غرفة عُرف صاحبها بترتيبه، ففوجئت بأنها تعج بالفوضى. فالسرير غير مرتب والمجلات مبعثرة على الارض والاكواب الوسخة تغطي المناضد. وإذ حاولت جاهداً أن أبرر الموقف أمام الطلاب الجدد وأهلهم خلّصني من ورطتي أحد الآباء الذي قال: "لقد شاهدت عدداً كبيراً من غرف المنامة في جولات منظمة داخل الاحرام الجامعية، لكنّ هذه هي أول غرفة أراها تتسم بالواقعية!"

ج.ل.

قال موظف عن مديره الإنتهازي: "هو من النوع الذي يصنع جبالاً من أتربة النمل ثم يبيع الناس أجهزة لتسلق الجبال."

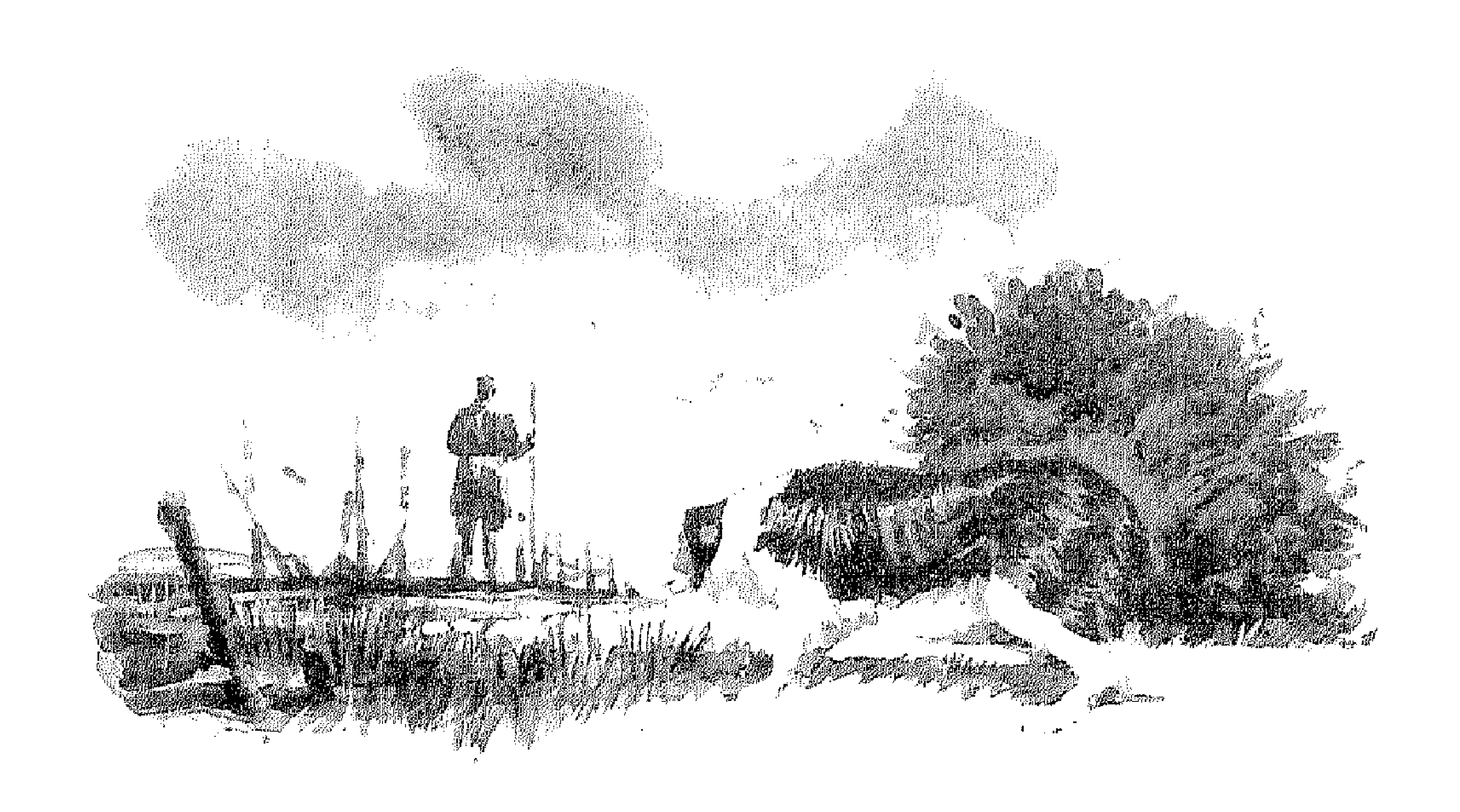
أ.ب.

كلبُ الحَربْ

ملخص من كتاب

بقلم آلن لويد





كلبُ الحَربْ

كان سراً غامضاً ومخلوقاً محيّراً.
وبدا أنه لم يأت من مكان ما، وظل يبتعد... ويبتعد!
يقولون: "من ضلّ مرة ضلّ أبداً."
ان الكلب الهجين ذا العينين المتوسلتين جلب الفرح والضحك لاسرة مزارعة آوته.
فرد ضيافتها بشجاعة لا تجارى.
جعل آلن لويد ريف همشاير، جنوب انكلترا، مسرحاً لقصته الاخيرة، فجاءت رائعة كلاسيكية غنية بالايحاء.
تبدأ القصة في العام ١٩٤٠ زمن ما يسمى "الحرب المزيفة."

Condensed from «The Farm Dog,» (C) 1986 A.R.LLoyd,
published by Century Hutchinson Ltd., London. Illustrations: Pat Owen

هبت الريح عاصفة من الشمال، واندفعت السحب الباردة أمامها فيما الكلب يرتجف في السياج. كان نحيف الجسم ذا عينين مترقرقتين تراقبان عناء المزارع.

أمسك المزارع بجعبته، فاذا بالكلب يتلوى مقترباً شيئاً فشيئاً، ولعابه يسيل. ثم راح يشم القارورة الحافظة الحرارة وما معها من طعام. وما لبثت نظرات ولف تك أن التقت عيني الكلب. وتساءل الرجل: "أي مخلوق أرى أمامي؟ فانت متسوّل فقير قلّما يناسب جزاراً."

قطع تك بعنف كسرة خبز ونقفها باصبعه، ثم أتبعها بقطعة جبن. أما الكلب وهو هجين خشن فتشمم الفضلات. قال تك: "لن تسمن على الفتات، فعد الى منزلك، اذا كان لك منزل، لأن لدي حقلا أريد أن أسيجه."

توانى الكلب بعناد وقد شدته غريزته الى الرجل. وعندما حل الظلام تبعه الى بيته في المزرعة. حك الباب بمخالبه وهو يعوي. الى حين، لم يحدث شيء، ثم ارتفع مزلاج وفتحت فجوة في أسفل الباب فدخل وقد أذهله الضوء والدفء.

صاحت المرأة بصوت أجش: "ما هذا يا تك، قل لي، بحق السماء."

الحطب يلتهب في الموقد، والسراج يبعث في الجو نوراً ضعيفاً. خزانة ترتفع حتى السقف وعليها فواتير وبضائع.

ربض الكلب في زاوية. انه ضعيف يفتش عن ملجأ ولا يبدو أنه يريد اكثر من ذلك. ان مصيره بين ايدي المزارع وزوجته، يستطيعان أن يفعلا به ما يشاءان.

قال تك: "اسم "زاك" محفور على طوقه، ولا أثر لاي عنوان."

فردت المرأة والاستياء باد عليها: "لن نحتفظ به."

- يا روز، اذهبي واملأي له طاسا من الطعام."

أجلست المرأة الكلب على مقعد قرميدي في المطبخ قرب الموقد. فأكل ككلب بحر، وكانت شفتاه مقلوبتين وأسنانه تنهش الطعام. قالت روز بتململ: "الحيوان يتضور جوعاً."

صعد المزارع وزوجته الى الطبقة العليا تاركين زاك في الظلمة. قالت روز لزوجها: "انه ليس جرواً."

فرد: "لقد أمضى شبابه... مثلنا."

- لا بد أنه سيغادرنا غداً.

الليل ساكن، والجليد يزنر النوافذ، فيما طيور البوم تنعب.

استرخى زاك الى جانب الموقد. كان متألماً من تعب المرج والغابة، ومن قضاء النهار والليل شارداً.

لا بد أنه نام. وفجأة امتلأت الغرفة دخاناً كثيفاً كضباب. وفي الضباب يستوطن الرعب. ذعر زاك، فهرع نحو السلالم وراح يعوي عواء لجوجاً كأنه يحض على عمل معجل. كاد تك أن يختنق من الدخان، فأخذ يترنح وهو يهبط الى الطبقة السفلى مرتديا ثياب النوم. قال: "انه البساط."

وتناهى اليه صوت زوجته متهماً: "اهمالك للنار كاد أن يقضي علينا."
– حسناً، الآن نحن في أمان، ولو تأخرنا دقيقتين لشوينا.
"انه الكلب، نذير شر." – لماذا تلعنينه يا امرأة، ألأنه أيقظنا؟
"انت على حق لقد فعل ذلك من أجلنا ويجب ان نكافئه."
جرى الكلب صباحاً يستمتع بالجليد وقد امتلأ جوفه طعاماً جيداً. عند ذاك لانت المرأة وقالت: "أنت تحتاج الى أن تسمن، ولكن تذكر انك لا تزال قيد التجربة."

حيوان بارع

ادار تك محرك شاحنة المزرعة، ثم فتح باب مقعده لزاك قائلا: "أدخل ولا تضع الوقت." قاد تك سيارته القديمة بسرعة فائقة مندفعاً ومتمايلا بين السياجات. وكان يكلم نفسه أكثر مما يكلم زاك الذي جلس مستقيماً. وما لبث أن تمتم: "اللعنة على الغجر وأمهارهم!"
تنشق الكلب الهواء وأذناه مرخيتان. صاح تك: "تلك هي الكائنات المتسولة." خمسة أمهار صغيرة ترعى بين زرع الشتاء. شد تك كابح الشاحنة وترجل منها ملوحاً بيديه: "تخلص منها أيها الكلب. سنرى الآن أي نوع من الكلاب أنت!" وشرع تك يركض صارخاً، فيما أسرع زاك الى الامام طبقاً لمزاجه. في لونه احمرار قاتم، واسمرار ضارب الى الاصفرار، وبياض قليل. لكن السواد كان غالباً. أما الامهار الصغيرة فجرت عالية الرؤوس مفتحة المناخر، مسرعة نحو المرج، عائدة الى حيث مجمّع أكواخ الغجر قرب حدود الغابة.
عوى زاك. انه كان مزهواً.
قال تك لروز: "يحمل زاك ملامح كلب قطيع."
وأظهر زاك براعته ثانية عندما حلقت طائرات حربية في تمرينات فوق أرض تك. ففرت خرافه من الحظيرة طارحة الحواجز المشبكة أرضاً وهي في رعب أعمى. وثارت متدافعة صاخبة عبر الممر الضيق. فتح تك باب الحظيرة وقال لزاك: "أرجعها." فرمى الكلب بنفسه نحو الخرفان الامامية مزمجراً، مفرقعاً. وعندما وصل راع معمر وكلباه – ذكر وانثى – كانت الخراف منقادة نحو الحظيرة.
أصبح زاك حديث قرية مورتون. وقال عنه البيطار: "ما دام في هذه البراعة فسيأتي من يطالب به."
أما ستيف سائق جرار تك الذي أتى بالفدان لبيطرته فقال: "ربما،" ورمى الى زاك قشرة حافر ليلوكها.
ولاحظ البيطار أن "كلباً شارداً يقطع مسافات، وقد يكون مطروداً من مكان ما."
فرد على ستيف: "لن يتخلى تك عن الكلب بسهولة."
أكب البيطار على مطرقته وقال: "انه متشبث برأيه، جميع أفراد أسرة تك عنيدون. روي رحل للالتحاق بالجيش، وشقيقته داي تعمل في لندن."

أزهر الزعرور البري فذهب زاك مع ستيف في الشاحنة لاستقبال داي في محطة السكة الحديد. بدت الفتاة بقبعتها وقفازيها وحذائها المديني أنيقة جداً. أما في البيت فأبدلت بثيابها ثياب مزرعة. فاستحسن زاك ذلك لانه يعني بالنسبة اليه انها باتت تنتمي الى الاسرة.

تذمر تك من رحيل روي قائلا: "كان يجب أن يبقى في المزرعة."

فقالت داي: "ان المزرعة هي كل ما تفكر فيه!"

فاضاف تك: "الاعشاب تحتاج الى عزق، والبطاطا الى قلع. يجب أن يكون هنا من يساعد في الكفاح."

جلست داي الى طاولة غرفة الجلوس، ووضع زاك رأسه في حضنها، فقالت: "أستطيع ان اعزق الاعشاب وان أقلع غلة البطاطا المبكرة."

– لكنك ستعودين قريباً الى المدينة."

دللت الفتاة الكلب الهجين وتمتمت: "ما هي أجرة العمل يا والدي؟ اعتقد أنه ما دام زاك استطاع أن يبقى هنا، أستطيع أنا كذلك."

جمع شمل العائلة

عاد روي الى البيت في اجازة بعد موقعة دنكرك. كان طويل القامة مثل تك ولكن أنحف منه. شم زاك رائحة الطبخ الذي صنع خصيصاً للعريف وهو قالب من شرائح اللحم المطبوخ. أما روي، ذو الوجه النحيف المتعب، فكان ينقد الوجبة نقداً. سمَّر زاك عينيه على الجندي وتقدم نحوه، فأطعمه روي فضلاته سائلا: "من أين جئتم بصندوق القمامة العتيق هذا؟"

قالت داي: "زاك سرّ المزرعة الغامض. انه لغز."

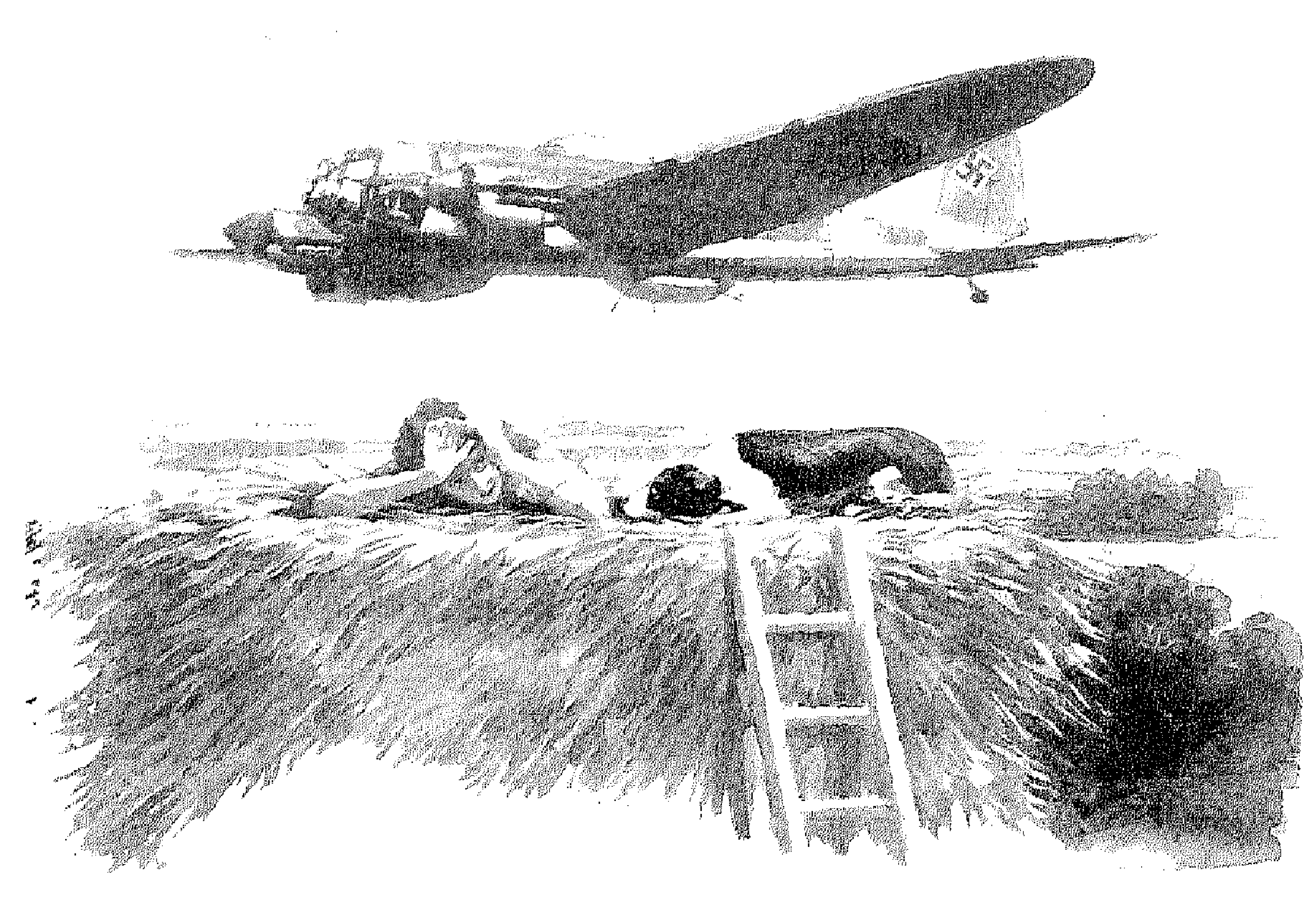
فعلق تك مفتخراً:" انه مفيد جداً يا بني."

من مهارات زاك في المزرعة تسلق السلالم. وذات يوم صعد السلم مع داي الى سطح كدسة التبن حيث جلست هي تراقب نبات الذرة المتماوج وتمتع عينيها بالمناظر الجميلة. فجأة هدرت محركات من بعيد، ثم اقترب الصوت فاجفل زاك. وحينما ارتفع الهدير انبطحت داي، ثم تصاعد الضجيج واندفعت قاذفة القنابل "هنكل" بعنف فوق كومة التبن.

وتوارى زاك من غير أن يأكل طعامه. فطمأن تك روز قائلا: "لا بدّ أن يعود."

بحث تك وروي حول المزرعة عن زاك. وتناهى الى مسامعهما هديل الحمام من الغابة واضحاً في سكون المساء. قال تك لروي: "عندما تنتهي الحرب ستتولى أنت شؤون المزرعة." لكن الجندي فكر ملياً في زملائه في السرية. فبعضهم مات وبعضهم الاخر ما زال مفقوداً. وكان التطويع بدأ في فرقة مغاوير جديدة، ففكر في تقديم طلب للتطوع.

بلغ زاك الغابة. وما ان توّغل فيها حتى حلّت العتمة. ثم وصل الى أرض زراعية حيث كان حطابان يقطعان شجرة. رآها زاك تتداعى فوقه وأغصانها تتقصف.



قال أحدهما: "يا للهول! هناك كلب تحت الشجرة!" هرب زاك مسرعاً. وبدأت الاغصان تتكسر وتتساقط حوله، فجرى راكضاً بين الحطام.

وأضاف الرجل: "لقد أخطأته الشجرة، وهذا سيلقنه درساً في الشرود. ففي هذه المستنقعات عظام حيوانات نافقة تفوق ما في سمك القدّ من عظام."

حرب في الجو

عاد تك الى بيته في المزرعة، وواصل روي البحث. كانت الخفافيش تحوم فوق الزريبة عندما وصل روي الى مدخل الفناء منادياً: "مرحبا ، أنظروا ما وجدت." واذا زاك يبرز من الظلمة وهو يهز ذنبه.

كان الهجين متعباً، لكنه لاقى أصحابه بحرارة، فاستجابوا له وقد ارتاحوا للقياه. أشرق وجه تك وصرخت داي مغمومة: "ان جلده مملوء شوكاً، ساعدنا يا أبي على نزعه."

سر زاك اهتمام الجميع به. وأطعمته روز برفق.

غادر روي المزرعة في الاثنين التالي. وقاد ستيف الجرّار لاقتلاع البطاطا بينما العمال يتصببون عرقاً في شمس يوليو (تموز) اللافحة. وكان معظم عمّال القطاف نساء قويات ألِفن احوال الطقس القاسية والعمل في الحقل، وليس في قرية مورتون أي مجال آخر للعمل. فجلبن معهن أطفالهن الذين أخذوا يتشاجرون.

اضطجع زاك بجانب تك وهو يزن المحصول. وكانت أصوات الصفار عالية، لكن صوتاً

عميقاً يشبه طنين النحل في شجرة ليمون وصل الى مسامع الهجين من دون غيره. وازداد الهدير فاذا بالآخرين يتطلعون الى فوق.

فتمتمت داي: "انها طائرات!"

رأى تلك المقاتلات، لكن نور الشمس بهره فأضاعها. ولمعت مجموعة أخرى جاءت بأعداد كبيرة على نحو تشكيلات. وسرعان ما انصب وابل من الرصاص المستهلك الفارغ، فقال تك بلهجة الآمر: "أنزلوا الصغار الى القنوات." وأخذ يركض مع داي ممسكين بالاطفال. وانضم زاك الى الجموع المتشتتة. واذا بصبي يستغيث وقد تعثر، فوقف زاك الى جانبه، وجلس الاثنان وسط جذور النبات والصغير ممسك بالكلب. صرخت داي: "جيء به الى هنا." فأمسك زاك بثياب الطفل وجره بلطف الى الامام بينما امتدت الايادي لمساعدته.

رسمت البقع الفضية دوائر من ذيول البخار وهي تسرع منعطفة بعنف في الفضاء. واذا باحداها تزداد حجماً وتضاعف دوران محركها الهادر وهي تتجه نزولا نحو الارض نافثة لهباً.

تنفس تك الصعداء وهو يقول: "لقد قفز من الطائرة." ولكن ليس ثمة من مظلة فتحت. وسقطت الطائرة في الغابة وراء المرج. فصمت الجميع ثم سمع صوت انفجار تبعه تصاعد دخان أسود خانق. فأسف تك: "مسكين، من سيعثر عليه في المستنقع؟"

قالت داي لستيف وهو يصعد الى الجرار: "الآن بدأت الحرب جدياً. الله أعلم بما سيحدث."

فأجابها ستيف: "أنا أعلم شيئاً واحداً فقط، وهو انني لن أبقى هنا طويلا بينما الآخرون يموتون."

أفاد ستيف من أسبوع عطلته في أكتوبر (تشرين الاول) للذهاب الى لندن بغية الاتصال بمجلس انتقاء طواقم الطيران. وذهب زاك وداي لتوديعه في المحطة، وكان يبدو فتياً في سترته المنظفة حديثاً وشعره المقصوص.

قالت داي: "لاطف الكلب، فهو سيجلب لك حظاً سعيداً."

فربّت ستيف الهجين.

(ارتفع الصوت الهادر واندفعت الطائرة نزولا وقد تأججت النار فيها.) أخذ الكلب يلهث لهاثاً حاداً. ثم استيقظ وصدره يعلو ويهبط. كانت غرفة الجلوس هادئة والموقد دافئاً. فقالت روز: "حسناً، ابتعد عن الموقد، فأنت حار جداً، ولا بد أنك كنت تحلم."

وذات مساء توجهت قاذفات القنابل الى ميدلاندز، وسمعت روز هدير محركاتها بينما كانت تعمل في توضيب غلة اليوم من البيض. ثم دخلت داي لتبلغها الخبر: "أمي، ستيف سيلتحق بسلاح الجو، وهو يخبر والدي بذلك الآن."

اتجهت روز بنظرها الى الموقد، فرمقت صورة روي الموضوعة على الرف فوقه، ثم فكرت ملياً وقالت: "الكل يرحل. وستيف كان ملزماً بالرحيل، لكنه بقي حتى الآن من أجلك. هل ستشتاقين اليه؟"

تفادت الفتاة الجواب، فهي لم تكن متأكدة من شعورها، ثم قالت: "ألن نفتقده كلنا؟ مسكين والدي، فالأمر سيكون صعباً عليه."
قالت روز متجهمة: "اذا كان هذا أسوأ ما سيحدث لنا قبل انتهاء الحرب فسنكون محظوظين." ثم مسدت تنورتها واضافت: "حرّكي النار يا بنية، فهي خامدة لا ترضي والدك. أما أنت يا زاك فلا تنتقل من مكانك ولا تفكر في مغادرتنا الا بعد مرور بعض الوقت."

البحث

الموسم موسم حصاد. وستيف، وهو الآن في سلاح المدفعية الجوية، أتى في أجازة أسبوع. اقترب من المزرعة عبر الطريق المألوفة فالتقى بديله الضخم جيم ابن شقيق الحدّاد. فأخبره جيم: "معلمّي طريح الفراش، والكلب رحل."
كان ترحيب روز ودياً، لكن الاجهاد كان بادياً عليها. فقالت: "انهار تك كعجل مذبوح. وقد قال الطبيب انه مصاب بالتهاب الرئة. يمكنك أن تصعد لرؤيته لاحقاً فهو نائم الآن." تفحّص ستيف غرفة الجلوس وكان يفوح منها أريج الازهار ورائحة التشميع. شتّان ما بينها وبين السريّة العسكرية ورائحة طائرات "بلنهايم" الحربية. وعلى رف المدفأة وضعت صورة مغاوير في جزائر لوفوتن شمال النروج يظهر فيها روي بينهم. في هذه المرحلة من الحرب بدت هجمات المغاوير كوخز الإبر إذ كانت البواخر البريطانية تتعرض لضرب عنيف في شمال الاطلسي، لكن تلك المجومات شكلت قوة داعمة.
قال ستيف: "ليتني عرفت، لكنت جلبت له شيئاً ما."



فردت روز: "كل ما يحتاج اليه هو ذلك الكلب الهائم دائماً والله يعلم الى أين يصل في تجواله."

قال ستيف وداي معاً: "نحن سنبحث عنه."

في محلة الغجر في المرج قالت لهما غجرّية ان زاك في الغابة وانها سمعت عواء في الليل. فمشيا نحو الغابة. وكان الجو يزداد برودة والاشجار كثافة. ناديا زاك، فاخترق صراخهما الاشجار. وكانت ارض الغابة المقطوعة ساكنة وقد غطتها طبقة من الاعشاب التي نمت حديثاً. توغلت داي في الغابة وهي تتقدم ستيف، فاعترضهما ضباب مشبع بالبخار يزحف حول جذور الاشجار. كان عمق الغابة مليئاً بالاخطار. هنا اختفت أمهار برية وابتلعتها المستنقعات.

توقفت داي وهتفت: "انها الطائرة الحربية! " فقد ظهر مؤخرها في المستنقع. وأضافت: "أتتذكر ذلك اليوم عندما كنا في حقل البطاطا؟" قال ستيف منذهلاً: لا بد من أن الطيار في قاع المستنقع."

قالت داي: "زاك ليس هنا، لنعد الى البيت."

هناك وجدا تك مستيقظاً مستنداً الى وسادات. عبر ستائر روز ظهرت الابقار وهي تسير متثاقلة بضروع ملأى الى الملبنة. استدار تك بوهن مصغياً. ثم تنفس بجهد قائلاً: "لقد تأخرتْ، كان على الكلب أن يقودها. أين زاك؟ أريده."

أصبح الرجل الضخم ناحلاً كظل وعيناه تحدقان من تجويفين رماديين. قال ستيف: "استرح، أنا سأساعد في العمل يا معلّم."

- لقد نفق الكلب، لدي شعوَر بذلك.

في نهاية يوم مضن من تجميع الحزم وتكديسها في الحقل خبأت داي في راحة يدها حبوب ذرة. كانت الحبوب قاسية وذهبية اللون، فقالت داي: "ستكون الغلة جيدة، وهذا ما سيبهجه ويبعد فكره عن الهجين. شكراً لك يا ستيف على مساعدتك ."

نظر اليها ستيف بحب وقال: "أمك تدعونا." وكانت روز عند بوابة الحقل تنادي: "الطعام جاهز." والتقت عيناها عيني ستيف، فأضافت: "قد تفتقد رفقاء مائدتك الرقباء، ولكن عندي طعام وافر."

لفت انتباه داي باب البيت وقد ترك مفتوحاً. كان ثمة وحل على الدرج الصواني ممتد الى عتبة الباب وعبر أرض الطبقة الاولى الى السلالم، وهي آثار واضحة للبد أقدام حيوان. سبقت داي امها وستيف الى اعلى السلالم وهي تلهث. وتطلع الثلاثة الى غرفة تك فرأوا الفراش مبعثراً وقد غطاه الوحل، وذيل زاك يهتز بهياج. التقاهم بسرور وقد نحل جسمه وتبلل وتلوث. حدقت روز الى تك منذهلة، فقد كان جالساً مستقيماً مفترّ الاسارير.

قال ضاحكاً: "يمكنك أن تصرفي الطبيب. فانني أشعر بتحسن. لا تتذمري، وأطعمي هذا المتسول، فهو كلب مسكين فارغ البطن." أجابت روز وقد أفاقت من ذهولها: "كلب مسكين؟ أنظر الى غطاء السريرا"

نظر ستيف الى المرأتين. كانتا دامعتي العيون بين ضحك وبكاء. فرفت عيناه وقد سرت اليه العدوى.

عرض سينمائي

لازم زاك تك وهو يتماثل الى الشفاء. وبين حين وآخر كان يقود البقر ويتدبر امور الفئران ويراقب الأبنية. تأكد لتك أن المزرعة غدت أمينة برجوع الكلب. وقال لروز: "لقد ترتبت أمور المزرعة، انها مكان مختلف الآن."

وذات مساء تعقّب زاك الدرّاجين وهم في طريقهم الى السينما. وكان ركوب الدراجة يبعث في داي النشاط خلال أوقات فراغها النادرة. فشعرت بارتياح اذ انطلقت وستيف على دراجتيهما. وكانت عظام ستيف ترتجّ فوق دراجة روز فيتمايل كمهرج ويمازح داي قائلا: "طائرات بلنهايم اللعينة أكثر أماناً من دراجة أمك." نظرت موظفة شباك التذاكر بفضول الى ستيف وسألت ببرودة: "مقعدان خلفيان؟" ثم أضافت: "لا يمكنكما ادخال الكلب."

"الكلب؟" التفت الاثنان فوجدا الهجين وراءهما. هممت داي منزعجة: "لقد تركته في البيت." فغمزها ستيف بعينه وقال: "جدي المقعدين." ثم اخذ زاك خارجاً الى الجهة الخلفية وأومأ اليه بأن ينتظر عند الباب. عاد ستيف الى ردهة السينما. وعندما اطفئت الانوار في الداخل، فتح باب المخرج فانسل زاك الى الداخل وهو يهزّ ذنبه."

حذرت داي ستيف: "سوف يشخر!" وما لبث شخير زاك أن ارتفع وبلغ أعلاه خلال مشهد عاطفي. ذرفت داي الدمع من شدّة الضحك، وعندما انتهى الفيلم نبح الكلب، وصاحت داي: "أراهن أنه يكون هنا في السينما عندما يختفي."

في الطريق الى المنزل بدا زاك رمادي اللون في ضوء النجوم. وكان يتقدمهما مسرعاً وهو يهرّ. فقال ستيف: "لا بدّ أن هناك ثعلباً أو غريراً." ترجلت داي حينما أصبحت الطريق شديدة الانحدار، وتوسلت الى ستيف قائلة: "كن حذراً، سأشتاق اليك."

قال لها ستيف: "تستطيعين ان تتزوجيني."

فأجابت بصوت أجش: "أطلب مني ذلك ثانية، في مابعد. فأنت ستعود." فطمأنها قائلا: "مثل الكلب."

هبت ريح شرقية. فحملت داي المخالي الى الحقل حيث كان جيم يقود فرس المزرعة ممهداً التربة. وخيل اليها أنها سمعت صوتاً بعيداً، فقال جيم: "انها طائرة وأظن انها ستنخفض."

جثم الكلب مرتعداً، فانحنت داي تمسد شعر رقبته وقالت: "زاك لا يتحمل الطائرات، خصوصاً المنخفضة منها." واذا بنقطة سوداء تتسع وتجنح تحت الغيوم وهي تكاد تلتطم بالغابات. شرق جيم بريقه قائلا: "ها هي آتية، تثلم السماء مقتربة منا."

فرّ الهجين مسرعاً. فوصل الى عربة واختبأ تحتها. انه يعرف هدير تلك المحركات جيداً، فهو ما زال يرى ذلك الكابوس في المنام.



(في ذلك اليوم البعيد كانت الطائرة تجرّ ألسنة النار وراءها، وانفصلت عنها أجزاء انطلقت مدوّمة تخرق عباب الظلام. اهتزت الطائرة الهالكة هادرة وانثنت بقوة ثم عبرت مسرعة وقد تحطم جناحاها.)

صرخ جيم: "انها طائرة بلنهايم!"

واذ عبرت الطائرة فوق أبنية المزرعة قفز قلب داي من مكانه ثم ما لبثت الطائرة أن مالت محلّقة برشاقة ونظرات داي ترافقها في تحليقها. فتجرّأ جيم وقال لها: "آنسة داي، يبدو أنك تجمدت من البرد، فأنت وزاك ترتجفان."

البرقية

قال روي انه سيكون في البيت يوم عيد الميلاد، لكن اجازته الغيت. وقد سلب المقعد الفارغ لذّة العشاء وأفسد على الآخرين متعتهم. زاك وحده كان مسروراً، فقد سُمح له بوجبات اضافية.

أبحرت فرقة المغاوير التي ينتمي اليها روي أول الاسبوع الذي تلا عيد الميلاد، للاغارة على فاغسو، وهي جزيرة صغيرة مقابلة للشاطىء النروجي كانت آنذاك قاعدة للعدو. وبعد أيام قلائل عرج موزع البريد تحت المطر الشديد على منزل تك في المزرعة.

المياه تسيل على زجاج النوافذ. مشت روز الى غرفة الجلوس وهي تفكر في المرّات التي عاشت فيها تلك اللحظة بذهنها. تركت الظرف مختوماً، لكنها فتحته في فكرها وقرأت بلاغ وزارة الحربية. لم تكن في حاجة الى مراجعة الكلمات، فأنزلت الصورة وضمت وجه روي اليها.

بعد لحظة أنَّ زاك شاكياً. كانت نظرته تعكس حزنها، وعندما جثمت على المتكأ القى برأسه على وزرتها. فتنهدت المرأة وقالت: "بلى، أنت تعلم."

واظب زاك على مرافقة تك وهو يحرث الارض، حارساً قارورة مشروبه الحافظة للحرارة. وكان تك يواظب على عمله بحكم العادة معتمراً قبعته المائلة المتسخة وعيناه مركزتان على الحقل أمامه، قائلا في نفسه: "هذا هو المستقبل، هذا ما كان روي يعوّل عليه."

موت ولده ملأ حياته ظلاماً.

ذات مساء كانت داي تمشط زاك واذا بالهاتف يرن، فهرعت اليه وبعد لحظة بلغ صوتها غرفة الجلوس وهي تقول: "ستيف!" نظر تك الى روز في ضوء القنديل. لم ينبس أحد بكلمة، لكنه عرف ما يدور في فكرها: لماذا لا يكون روي؟
لخصت داي لوالديها ما قاله ستيف: "انه عُيّن في فرقة جديدة. لا عمليات حربية في الوقت الحاضر. يقول ان عمله الجديد ممل ويتطلب مزيداً من التدرب، لكنه آمن على الاقل. يبدو أن قطر الطائرات الشراعية ينطوي على مخاطر أقل."

دليل حيوي

في أعالي ساوث داونز تحررت الطائرة من الحبل القاطر. وراقب ستيف من مؤخر طائرة الـ"هاليفاكس" طائرة الـ"هورسا" وهي تبتعد منحدرة. فقال في نفسه: "تعال يا يوم الجمعة!" اذ تنتهي دورته التدريبية ويحصل على خمسة أيام اجازة يقضيها في مورتون مع داي وزاك.
توجهت قاذفة القنابل الى موطنها. واذا بصوت على الجهاز اللاسلكي الداخلي يقول: "الوقود يتدفق. واحد، اثنان. الضغط يهبط." تأوه ستيف. انها طلعته الجوية الاخيرة قبل الاجازة. لقد خسروا قبل أيام رفقاء في حوادث احتراق المحركات. وشعر بتسارع نبضه.
زحف المدفعي الآخر الى ستيف وهو يبتسم وصرخ: "نسيت أن أجلب طعاماً." فناوله ستيف شطيرة فقال له: "شكراً يا رفيقي، فأنا أشعر بالجوع." تلمس الاوسترالي جيبه وأخرج فأرة صغيرة بيضاء قائلا باشراقة: "ماتيلدا جائعة أيضاً." قضمت الفأرة فتات الخبز. ثم قال: "قرقعة المحركات الباقية تدل على أنها بالية."
وعندما هبطا أخيراً هرعت سيارتا اطفاء واسعاف لنجدتهما. وقهقه الاوسترالي قائلا: "ماتيلدا جالبة حظ، أنا لا أطير من دونها."
التقى ستيف داي عند محطة السكة الحديد، فعانقها وقال: "اكتشفت سر زاك." فسألته: "وهل أخبرك به عصفور صغير؟" فأجاب مازحاً: "لا، بل فأرة صغيرة، اعتقد أن الكلب أتى الينا من طريق الجو."

في بيت المزرعة جلس الجميع لشرب الشاي، فسألت روز ستيف: "أحقا يصطحبون الكلاب في الجو؟"
فنهرها تك: "طبعاً لا!" لقد كان دائما سريع الغضب في غياب زاك.
تدخلت داي قائلة: "أبي، لقد أتى زاك في بداية الحرب عندما كانت الامور أسهل وأكثر حرية. يا لها من حرب زائفة حقاً."



أومأ ستيف برأسه موافقاً وقال: "لقد كان اصطحاب الحيوانات الجالبة للحظ في الطلعات الاستكشافية رائجاً في تلك الايام."

قالت روز متأملة: "أذكر الطائرة الاولى في الغابة، لا أحد يعرف أين تحطمت. اضطرمت فيها النيران ثم توارت كالنجم المذنّب."

كان ستيف يصلح محرّك الجرار في ساحة المزرعة عندما جاءت داي ولمست ذراعه قائلة بحماسة: "شوهد زاك في الغابة. نستطيع أن نقتفي أثره بمساعدة كلب آخر. كلبة الراعي الاسكوتلندية تستطيع مساعدتنا، فهي في شوق عارم الى زاك."

تحرك زاك بحذر كثعلب وكأن توحش الغابة انتقل اليه. نشطت تيارات الهواء ودندنت الريح المتغلغلة في الاغصان لحناً رتيباً. عرف زاك الطريق من زياراته السابقة. كانت تتصدرها اشجار الخنشار والبتولا وجذوع ضخمة مكسوة بالأشنة.

(في ذلك اليوم البعيد ضحك الرجل قائلا: "لا ينبغي أن نأخذ الكلب معنا، فهو لن يحب ذلك." لكن الطيار الآخر رفع الهجين قائلا: "انه يؤثر ألا يترك هنا. هيا اصعد يا زاك.")

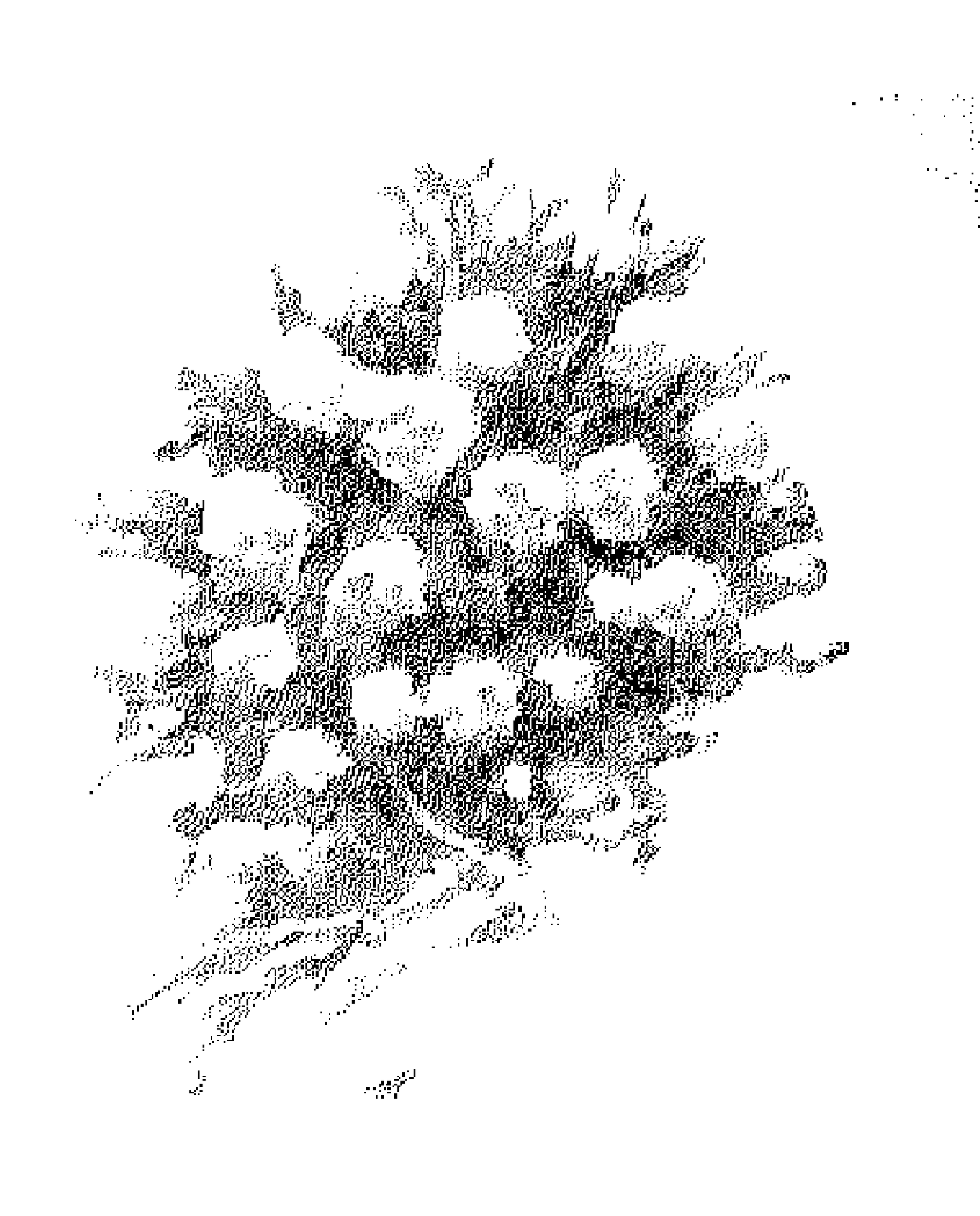
سألت داي: كم علينا أن نسير بعد؟" نبحت كلبة الراعي عندما شمت رائحة زاك عند حدود الغابة. نظر ستيف الى ساعة يده فوجد أن ساعة مضت منذ بدأوا تعقب زاك. اسودت سماء الغابة ودوّم فيها بخار ابيض. كانت المستنقعات قريبة.

(في ذلك اليوم البعيد مالت الطائرة ثم وثبت بعد اصطدامها بالأرض. ولبضع لحظات لم يدر الكلب المندسّ في ركن الطيار ماذا حصل.

رشح الوقود واختفى نصف ركن الطيار فقفز زاك من الركن ليستقر في الوحل. رأى الوقود يشتعل بعنف. صاحباه ما زالا في الطائرة. حاول ان يقترب، لكن الحرارة اللافحة صدته.)

نبحت الكلبة باهتياج، فقال ستيف لداي بصوت أجش: "أظنّ أننا اقتربنا. أول ما وجداه كان محرّكاً غطى العليق جزءاً منه. عندئذ توقفت داي خائفة. العثور على الطائرة الحربية في المرة السابقة جمّد الدم في عروقها، فكيف اذاً وهذه الطائرة أكبر بكثير.





كان جناحها الضخم المقطوع يرتفع عالياً حاملا علم ألمانيا الأسود.

قال ستيف: "انها طائرة هنكل."

طغا رعب داي على شفقتها عندما رأت مقعد الطيار. ما تبقى من قائد الطائرة الذي كان ما يزال معتمراً الخوذة الجلدية، مال نحوها.

ثمة ظل انسلّ وهو يهرّ. تنفست داي الصعداء قائلة: "انه الهجين." فحذرها ستيف: "حذار، انه غاضب."

قالت داي: "أنا حذرة." وصرخت: "زاك!" وخطت نحوه. واذ شم الكلب رائحتها مشى منحرفاً وذيله يرتعش، وأخذ يتمرغ بينما كانت داي تبدي اهتمامها الزائد به وتضمه الى صدرها وهي تنهره قائلة: "لا بدّ انك جائع. أنت عائد الى البيت، فأنت تعيش معنا الآن."

زاك الشجاع

عندما أخبر ستيف تك أنه سأل داي الزواج منه قال له المزارع: سألتها؟ مع داي، لن تحصل على شيء بالسؤال. حدد موعداً يا ولدي، وأبلغها به."

نجحت الخطة، وتزوجا في فصل الشتاء.

قال تك: "أظن أن الواحد منهما يليق بالآخر." فأجابت روز: "انهما مغرمان." وقال تك: "انها بداية حسنة يا روزي."

ارتعشت شفة روز وقالت: "تقول حسنة؟ وماذا عن التقنين والقنابل وتشتت العائلات؟"

أجاب تك: "ستكون لهما المزرعة."

عندما عادوا الى البيت كان زاك في الانتظار. لقد بان عمره أو كاد. وفكرت داي: "أربع سنوات في انكلترا، ربما هي ثلث عمره."

ما فتىء الكلب يغيب أحياناً وإن قصرت فترات غيابه. وقال جيم متأملا: "زاك كلب غريب، فهو وفيّ للطرفين."

فأجابته داي: "انه كلب، لا أكثر ولا أقل."

أما "الكلب اللاأكثر واللاأقل" فسدد دينه لاسرة تك يوم أفلت الثور.

انطلق تك الى الملبنة بسيارته، فوجد راعي البقر منطرحاً على حافة الطريق والثور مطرق الرأس ونظره مسمر في ضحيته. وكان جيم يصرخ ملوحاً بيديه ويرشق الثور بالحصى محاولا الهاءه.

كانت زوجة تك تكره الثور. قالت لزوجها: "ذات يوم سيقتل احدهم."

صرخ تك: "لا تتحرك." ترجل من الشاحنة ومعه عصا واقترب متوتراً. قال بصوت

يشبه نعيب الغراب: "أهدأ، استقر." فاضطرب الثور ودار طارحاً تك على ظهره كأنه لعبة من خشب. دنا الحيوان الضخم من المزارع ببطء. رأى تك الرأس العظيم فوقه. وفكر جيم: "لا حظ له في النجاة."

ثم جاء زاك، فربض في الطريق وكشر عن أنيابه. أما الثور فنفخ بمنخريه. رأى تك الثور يهجم على الهجين، والكلب العجوز عاجز عن التخلص منه. كان له مكان أمين واحد: تحت عنق الثور.

تعلق زاك بعنق الثور وعضه بفكيه المحكمين.

أخذ الثور يرجّحه وقد ثارت ثائرته. اما هو فاستمر ممسكاً بالعنق. وقف تك على قدميه بحذر بينما ذهب جيم لمساعدة الراعي. في هذه الاثناء كان زاك ما زال ممسكاً بالثور الذي جرّه نحو باب زريبة البقر حيث حاول أن يسحقه.

تلمّس تك طريقه الى سيارته. أدار المحرك واندفع نحو خاصرة الثور. أحس تك بصدمة. وتمنى أن يخرج الكلب سليماً

خار الثور إذ أجبر على دخول الزريبة بالقوة.

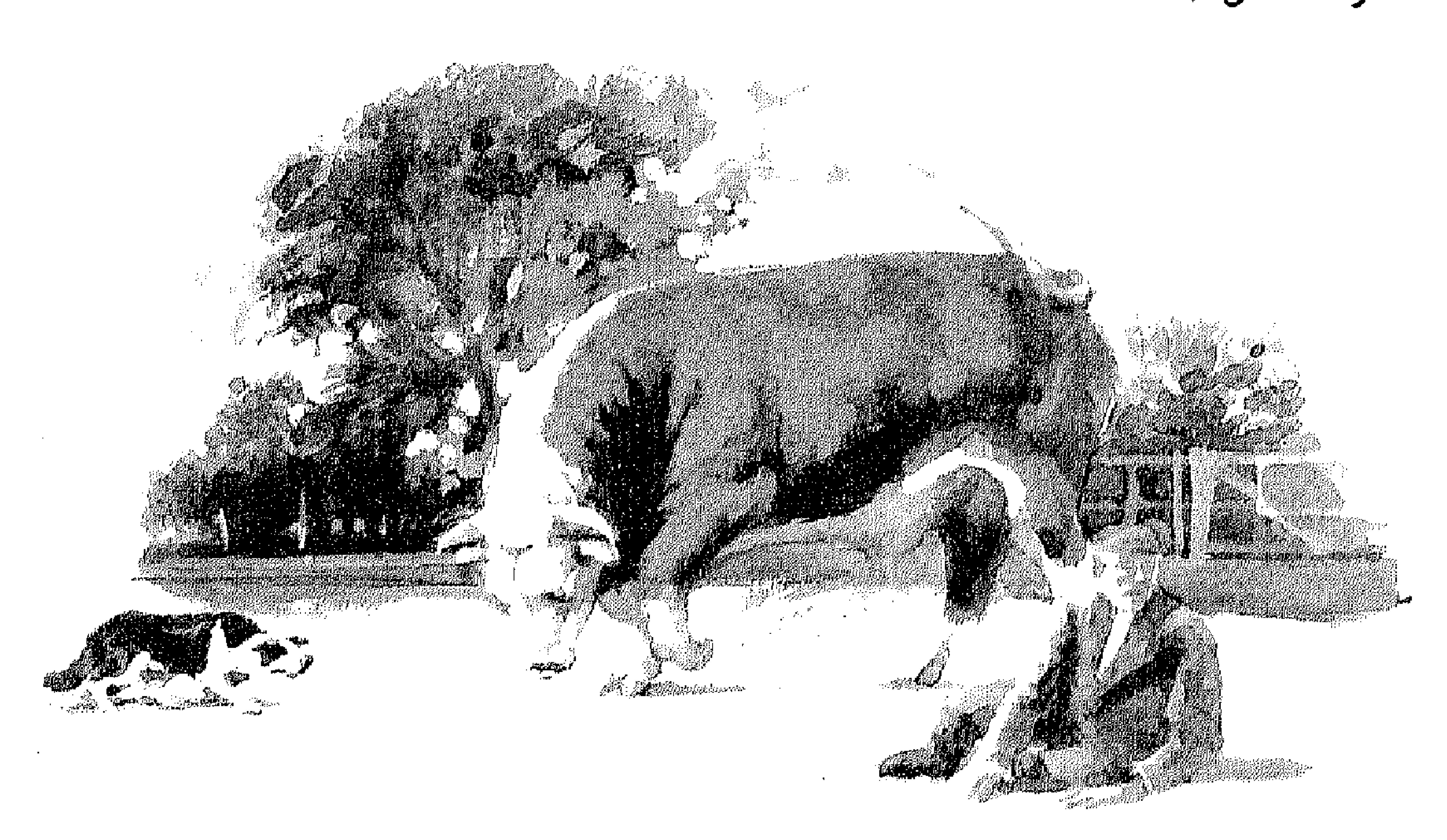
ترجل تك قائلا: "هل أصابك مكروه ايها الراعي؟"

- أنا صحيح معافى. أين الهجين؟

كان زاك تحت الشاحنة. توسل اليه تك: "أخرج أيها الكلب"، وجثا قرب اللوحة الخلفية فبان له زاك.

أمسكه المزارع وقال: "انك أفضل كلب حصلت عليه."

وصلت روز. حدقت الى ما حولها وصرخت: "هل قتل أحد؟" فأجابها جيم برصانة: "زاك كان هنا."



نظرت روز بحزن وحنو الى أنف الكلب وفمه الرماديين والى عينيه الراشحتين، وقالت: "زاك المسكين يموت. ماذا سيفعل تك من دونه؟"

ليلة طويلة

كانت الشمس غاربة عندما افتقد تك زاك. قد يكون منتظراً في سياج الاشجار.
وقالت داي: "ربما هو في البيت." لكن روز لم تره.

في ذلك الصباح بدا زاك ضعيفاً، وقلما تحرك وقت الفطور. وبعد الغداء كان لا يزال هناك. جاء الى روز مرة واحدة ينشج على نحو مؤثر، فاوقفت تنظيف البيض لتواسيه. وفكرت بأسى: كان عليها أن تعطيه مزيداً من الوقت.

قالت: "لقد ذهب نهائياً يا تك."

فأجاب تك وهو مضطرب الوجه: "نعم."

ذرفت داي الدمع قائلة: "لقد عوّدنا أن يتيه بعيداً. أنا سأجده؟"

أمسكها أبوها بمرفقها وقال: "لا، ليس ليلا في الغابة. دعيه يذهب فهو مصمم على ذلك."

اما الكلب فقد تعثر وسط الاجمة التي لفّها الظلام، وخدشت الاشواك جانبيه وتثاقلت خطواته اذ خانته قواه. وكان الظلام يزداد.

انحسرت موجة الحياة، لكنه استجمع قواه المتلاشية بعناد. كان القمر مرتفعاً عندما وصل الكلب الى الحطام زاحفاً المتر الأخير بالسنتيمترات. وارتمى الى جانب ركن الطيار. لقد أتمّ رحلته.

نعم زاك بالسلام لفترة وجيزة قبل أن يلفظ أنفاسه الاخيرة.

لم يغمض لتك جفن. كان الليل غائماً في معظمه. تطلع من النافذة، وفكر في الغابة، في عمقها، وأحس بفراغ.

نهض تك وانتعل حذاء مطاطياً ثم تناول معطفه. في الخارج أنعشه الهواء. وكان الظلام ما زال مخيماً، لكن الهواء كان جافاً. حرك مصباحه في كل اتجاه ولكن لم يرَ اي شيء يتحرك. كان يعلم أنه يبحث عبثاً، الا انه تابع البحث. انه يحتاج الى برهان.

الفجر يقترب، وعصفور واحد يزقزق. واذا بهدير كبير يسكت العصفور المفرد ويرعب تك. ارتفع الصوت. بدا كأنه يرتفع من الظلمة ويصعد من الغابة. ثم رأى سرب الطائرات في الفضاء.

اندفع نحو المنزل ونادى: "روز،



تعـالي وانظري."تعثـرت روز الى الخارج بثوب المنامة، ورافقتها داي مشعثة الشعر. كانت الطائرات تملأ السماء. جاءت أسراباً وفي كل مكان هدير يدوي.

هرع تك الى الخراف وكانت خائفة سريعة الاضطراب. وباندفاع مفاجىء هدرت طائرة فوق رأسه. صرخ الراعي في القطيع الفار، وأرسل كلبه ليوقفه.

سأله تك: "أين الكلبة؟" "أومأ الى كوخه قائلا: "أنظر في الداخل."

كان الكوخ مظلماً. حدق تك في الزاوية فاذا بكلبة الراعي مضطجعة هناك تراقبه والجراء التي ترضعها تتلوى مستكنّة. صاح تك: "أهي من زاك؟"

– ماذا تظن؟

قال تك بنعومة: "نعم، انها من زاك."

آلن لويد ■

ترجمة السفير هنري أبو فاضل

أمضى الكاتب البريطاني حياته في الريف. وفي صغره قاد الجرارات. وبعدما خدم في احدى فرق الفرسان القليلة في الجيش تحوّل الى الصحافة. والآن يعيش في مزرعة في جنوب غرب مقاطعة كنت. ومن رواياته الرائجة التي تدور أحداثها في الريف: "ثعلب الماء الأخير" و"كاين" وهي قصة ابن عرس يتم تحويلها حالياً فيلماً طويلا للرسوم المتحركة.



الكتابة نوع لا كم

كتب إرنستو ساباتو، الروائي والصحافي وكاتب المقالات الارجنتيني:

«لا حاجة الى الاكثار من الكتابة. فان أنت عرضت مشاكل الحياة والموت والمصير والامل ومغزى العيش، فحري ان تضعها في كتابين أو ثلاثة كتب. اذ لا فائدة من تدبيج ١٠٠ كتاب، والا كانت أغاثا كريستي أعظم من شكسبير."

أ. س.

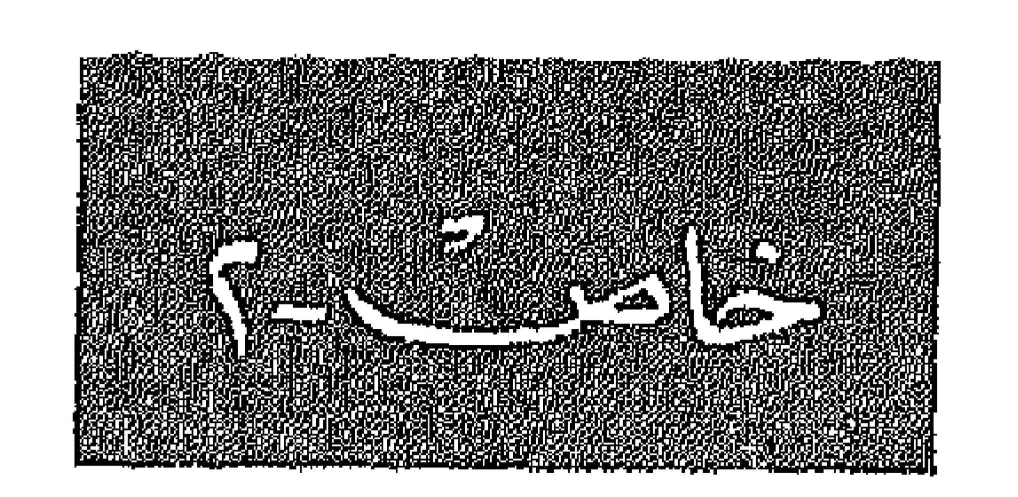
علماء الاقتصاد

علماء الاقتصاد أناس يكسبون رزقهم بالتكهن بأن اغسطس (آب) سيكون لهاباً ويناير (كانون الثاني) سيكون بارداً – ولكن ليس حتماً.

ك. ك.

عندما نعجز عن ايجاد الرضى داخل نفوسنا فلا جدوى من البحث عنه في مكان آخر.

لاروشفوكو، كاتب فرنسي




غريق البئر المهجورة

بقلم يانيس تيرويت

حين انتشل الطفل بيلي بليك من بئر مهجورة في فناء منزل والديه في منطقة نائية بمقاطعة كولومبيا البريطانية في كندا، كان متراخياً ممتقع اللون وقد مضت ٤٨ دقيقة على بقائه في الماء. فاتصل سائق سيارة الاسعاف لاسلكياً بمركز هيوستن الصحي قائلا: "نحن قادمون ومعنا ولد غريق."

كان من المفترض أن يموت بيلي بليك لان جميع العوامل كانت ضده. انما بفضل جهود رجال الطوارىء تجاوز المحنة الاولى وبقي حياً. ومنذ ذلك الحين تولت أمه رعايته بمحبتها وبارادة لا تقهر.

ظهر الثلثاء في ٢٣ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٤ كانت دون بليك (٢٤ عاماً) في فناء منزلها في بلدة بيرو النائية في كولومبيا البريطانية تطعم فرسها. وبالقرب منها كان ابنها الاكبر بيلي يلتقط باقات من البرسيم ويقحم رأسه في سياج الزريبة ويقدمها الى الفرس الكستنائية. وكان بيلي، وعمره ٣٠ شهراً، طفلا طويل القامة قوي البنية، بني الشعر والعينين كأمه. وكان يلازمها كظلها. ولكن حين استدارت لتملأ الدلو



ماء كان بيلي اختفى من ورائها. فارتاعت وأخذت تدور متفقدة اياه في كل مكان.

نادت ملهوفة: "بيلي!" فلم تلق جواباً. فتعاظم قلقها وراحت تتفحص الزريبة والفناء. لقد اختفى بيلي في أقل من دقيقة. وكانت ساعتها تشير الى الثانية عشرة والدقيقة الثالثة. فهتفت في داخلها: لا يمكن أن يختفي. انه لا يفارقني أبداً. ثم هرعت الى جدول صغير وراء السياج الغربي وكان جافاً، فلم تحظ بابنها. فاندفعت راجعة الى المنزل حيث كان ابنها براندون، وعمره خمسة أسابيع، ينام نوماً عميقاً. وأخذت تذرع البيت والفناء وتنادي بيلي وفكرت: انني في حاجة الى من يساعدني!

كان زوجها بيل في عمله ينقل الوقود الى قاطعي الاشجار في الغابات. وكانت شقيقتها إيلين بايكر في مكتبها في شركة الوقود في هيوستن على بعد ٤٠ كيلومتراً. فاتصلت دون بابن خالها وين هولز وأخته كارين المقيمين على بعد كيلومتر واحد، فأجابها وين: "أنا قادم للحال."

ومن ثم نادت أقرب جيرانها، المقاول جورج كلوريك. وما لبث وين أن وصل، وانضم اليهم ١٥ شخصاً أخذوا يمشطون الطرق والغابة والجدول. واوضحت لهم دون أن بيلي يرتدي سترة زرقاء زاهية تمكن رؤيتها عن بعد بوضوح.

وفي الساعة ١٢،٣٥ تأكد لهم أنهم تجاوزوا أبعد نقطة يمكن أن يصل اليها بيلي الصغير ماشياً. فاتصل وين هولز بفرسان الشرطة الكندية في هيوستن وأبلغهم نبأ اختفاء بيلي.

وخطرت للجار كلوريك فكرة: اذا لم يكن بيلي في فناء المنزل، فلعله تحت الارض. فقال لدون: "دلّيني أين كان بالضبط حين اختفى."

في الفناء، على بعد نصف متر من المعلف الملاصق لسياج الزريبة، كانت هناك سقيفة خشبية ذات سطح مائل. وكان بيلي يقف على العشب في فسحة ضيقة تعلوها سقيفة. فتذكر كلوريك: يا الهي، هذه السقيفة هي غطاء البئر القديمة! وحين حدّق الى الفسحة الضيقة بان له ثقب قطره ٣٠ سنتيمتراً، فأحس قلبه يهبط. وصرخت دون: "ان هذا الثقب لم يكن موجوداً! اذا كان بيلي سقط في البئر فلا شك في انه مات!" واخذت ترتجف، فقادها الجيران الى منزلها.

قال كلوريك لزوجته فيرنا: "يبدو أن التراب حول أعلى البئر سقط داخلها، فانزلق بيلي معه."

اتصلت فيرنا بمركز الاسعاف في برنس جورج، ثم بالشركة حيث يعمل زوج دون وشقيقتها. وسألت دون بمن يمكنها أن تتصل أيضاً. فقالت لها: "أطلبي والدي وندل هولز في هيوستن." ولدى مكالمته قالت له دون مذعورة: "قد اختفى بيلي، أرجوك ساعدني يا أبي!"

وفي الخارج عمد كلوريك وهولز والجار فانر بايمان الى هدم السقيفة، فلم يروا سوى كومة من النفايات وألواح خشب تحجب الماء. وكان هولز أصغر الثلاثة، وهو سائق شاحنة في السابعة والثلاثين من العمر قوي البنية يعمل بالمعدات الثقيلة. فدلّى

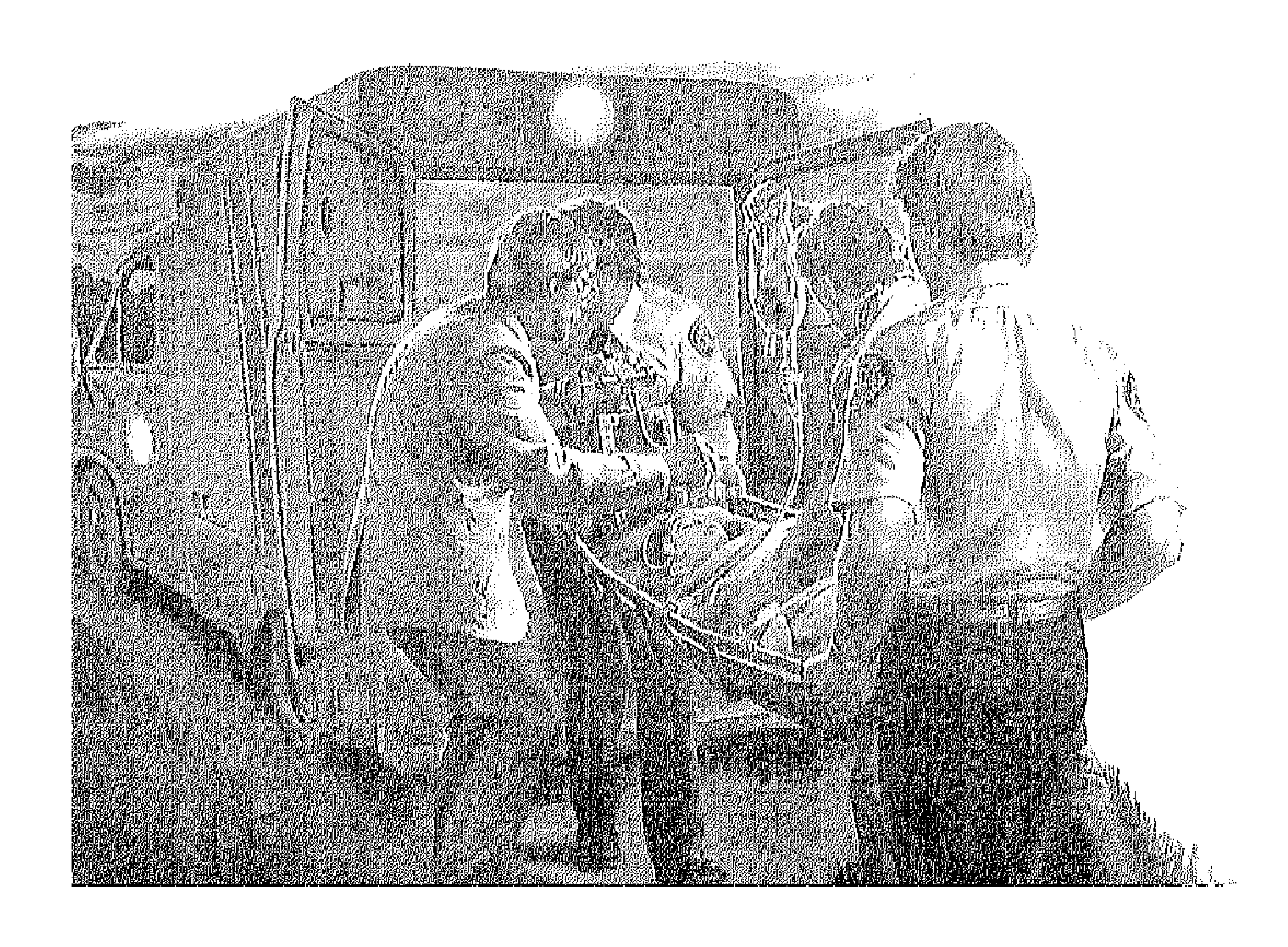
نفسه في البئر وأخذ يتحسس بحذر موطئاً جانبياً لقدميه. واستقر على رف خشبي متداع على عمق مترين من سطح الارض. وهرع كلوريك فجلب سلّم درج يستخدمها في عمله ويبلغ طولها خمسة أمتار، وناولها لهولز. فحرك بها هولز الحطام على عمق أكثر من متر تحته وأزاح قطعة من الخشب، فظهر بيلي عائماً ووجهه الى أعلى طافياً بسترته المحشوة. فشهق هولز: "يا الهي، انه هنا!"

نبض خافت

عقد هولز قدميه وتطاول متدلياً الى أبعد ما أمكنه. واستطاع بجهد الامساك بطرف سترة بيلي. ثم استوى ورفع الولد الى أعلى. فانحنى كلوريك وأخذ بذراع بيلي وانتشله خارج البئر.

في تلك اللحظة وصل والد دون من هيوستن وخرجت هي من البيت فيما كان كلوريك ينتشل بيلي. وما ان رأته حتى صرخت متفجعة: "لا، لا! " وارتمت بين ذراعي والدها.

كان بيلي شاحب اللون مطبق العينين متهدلا ينضح بالماء، وبدا شبه ميت. وكانت الساعة ١٢،٥١ وقد مضت ٤٨ دقيقة وهو في البئر. ألقاه كلوريك على الارض وأخذ ينعشه بالتنفس من الفم الى الفم، ثم ضغط صدره بقوة فخرج الماء من فمه. وفيما تابع كلوريك ضغط صدره تولى بايمان عملية التنفس. وبعد خروج هولز من البئر شارك في عملية ضغط الصدر الى أن وصل المسعفان توم ليونارد وجايمس ستيلز قبيل الاولى بعد الظهر. وهما أيقنا أن بيلي مات، لكن ستيلز فكر: انه طفل صغير، علينا أن نحاول شيئاً. وبدأ ستيلز يضغط صدر بيلي مرة في الثانية، وبعد كل خمس ضغطات كان ليونارد يزفر مرتين في فمه.



وبعد ثلاث دقائق وصلت سيارة اسعاف وصفارتها تدوي عالياً وفيها المتطوعان لويس آركي مدير مركز هيوستن التجاري وبارم بريهار المسؤول عن الاسعافات الاولية في منشرة خشب. وفيما حمل آركي الصغير الى سيارة الاسعاف على لوح نقّال، عمل بريهار على انعاشه بالتنفس من الفم الى الفم، وتابع ليونارد ضغط صدره. وفي الطريق ركع بريهار وهو يتنفس في فم بيلي كل خمس ثوان، وجلس ليونارد متابعاً ضغط صدره. واتصل آركي بمركز هيوستن الصحي قائلا: "نحن قادمون ومعنا ولد غريق."

وصلت سيارة الاسعاف في الساعة ١٫١٤ بعد الظهر الى عيادة المركز حيث كان ينتظرها ثلاثة أطباء في غرفة الطوارىء. فهرع الدكتور وليم دوران بكمامة وجه للتنفس، وتسلم الدكتور بريان فينيمور عملية ضغط الصدر، ونزعت الدكتورة دافني هارت ملابس بيلي. ولم يظهر الفحص السريع ما يدل على نسمة حياة في الطفل: لا تنفس ولا نبض ولا ارتكاس في العينين الجامدتين اللتين اتسعت حدقتاهما. وكانت حرارته ٢٤ درجة مئوية أي أدنى ١٣ درجة من الحرارة الطبيعية. وأظهر جهاز تخطيط القلب أن هذا ما زال يولّد نشاطاً كهربائياً خفيفاً، وهو أمر يستمر لفترة وجيزة بعد الوفاة.

قرر دوران، رئيس الفريق، أن يجرب انعاشه، اذ عرف أن الاطفال ينتعشون أحياناً لدى تغطيسهم في الماء البارد، ذلك بأن أجسادهم الصغيرة تبرد بسرعة الى الحد الذي يستجيب القلب ويضخ الاوكسيجين والمغذيات الى الدماغ في مجرى دم بارد يحدث هبوطاً واقياً في الحرارة. فاذا أمكن بعث الحرارة في بيلي بسرعة فهناك أمل ضئيل في انعاشه.

تولى فينيمور عملية التهوئة فيما أولج دوران أنبوباً داخل الرغامى (القصبة الهوائية) ليبقي مجرى الهواء مفتوحاً. ثم أولج أنبوباً وريدياً في عرق صغير في الجانب الايمن من رقبة بيلي ينقل محلولا ملحياً وجرعات صغيرة من منبه للقلب. وأولج هارت أنبوباً في بطن بيلي ليدفىء داخل جسمه بجريان محلول ملحي فاتر. وبقي بريهار وليونارد وآركي يعملون بتوجيهات دوران. فتناوب بريهار وليونارد ضغط صدر بيلي فيما كان آركي يساعد الممرضات في تسخين الحرامات وملء قوارير الماء الفاتر لوضعها خلف رجلي بيلي.

تفحص دوران ميزان حرارة المعي المستقيم وشاشة جهاز تخطيط القلب وضغط الدم والشرايين السّباتي والفخذي (١) في رقبة بيلي وفخذه، فأنبأه غياب النبض أن القلب ما زال هامدا. وفيما ارتفعت حرارة بيلي تدريجاً الى ٢٨ درجة مئوية كان يقترب من نقطة مصيرية حيث قد يتعرض القلب، وان كان متوقفاً، لانبعاث نشاط كهربائي متقلب يعرّض الانتعاش للخطر. قال دوران لمساعديه: "تفاءلوا، ستظهر النتيجة قريباً."

لكن جهاز تخطيط القلب لم يظهر نتائج شاذة فيما كانت حرارة بيلي آخذة في

(١) Carotid and femoral arteries

الارتفاع. وحين بلغت الحرارة ٣٠ درجة مئوية في الثانية والنصف بعد الظهر كان تغلّب على الازمة الاولى. وبعد ١٥ دقيقة أحسّ دوران نبضاً في الشريان السباتي، وأثبت ميزان ضغط الدم أن القلب بدأ الضخ تلقائياً. فجسّ آركي معصم بيلي وهتف مغالباً دموعه حين لمس نبضاً خافتاً: "لقد ظفرت بالنبض! انني أحسُّها!"

في هذا الوقت بدا بيلي يتنفس ذاتياً، تقطع تنفسه بين الحين والآخر شهقات يرتج لها صدره الصغير. فأوقف دوران عملية ضغط الصدر، لكنه طلب من فينيمور أن يواصل ضخ الاوكسيجين الى رئتي بيلي. كانت حاله لا تزال خطيرة، لكنه كان على قيد الحياة.

ارتياح ممزوج بقلق

في منزلها في بيرو كانت دون تحت تأثير صدمة قاسية، فريسة للهستيريا ونوبات الاغماء. فما ان تصحو حتى تجد نفسها في دوامة مأسوية فتغرق في لجة من الحزن والتفجع وتعود الى الاغماء. ولم يتصل أحد بزوجها. وكان أخوها مارشال وصهرها ديل بيكر عائدين من هيوستن غافلين عما حدث. واذا بزوجة ديل تتجاوزهما بسرعة خاطفة في شاحنتها. فقال ديل: "ان ايلين لا تقود سيارتها أبداً بسرعة كهذه. أسرع، فلا بد من أن يكون قد حدث أمر خطير."

كانت إيلين بيكر هرعت خارج مكتبها حالما اتصلت بها زوجة كلوريك، وها قد انضمّت الى شقيقتها. ولما كان جميع الذين شاهدوا بيلي اعتقدوا أنه ميت، فما من أحد رأى أن يأخذ دون الى العيادة حيث نُقل، خوفاً من إطالة عذابها. وحين بدأت تصرخ: "أريد أن أموت معه، انه حياتي، لا أستطيع أن أحيا من دونه" ضمتها إيلين اليها.

قالت لها بحزم: "لن تموتي يا دون." والتقطت براندون الذي كان نائماً والقته بين ذراعيها مضيفة: ان هذا الطفل في حاجة اليك." فاحتضنت دون براندون وشعرت بدفق عظيم من الحياة يغمر كيانها وقالت في نفسها: لا استطيع ان أستسلم لليأس. وسألت شقيقتها: "هل كلّمت المستشفى؟" فطلبت إيلين المستشفى وناولتها سماعة الهاتف، فقيل لها: "قبل دقيقتين نجحنا في حمل القلب على النبض."

فقالت دون وهي ترتجف: هل أقدر ان آتي؟"

فقيل لها: "متى تشائين."

فقالت في نفسها: حين احتضنت براندون وشعرت بالحياة تدب فيه، شعرت بالحياة تدب في بيلي أيضاً.

كان بيل بليك في احدى طرق الغابة حين أبلغه رئيسه النبأ. وكان بليك (٣٦ سنة) سائق شاحنة طويل القامة لا يدع العواطف تجرفه، لكن زوجته وولديه كانوا كل شيء في حياته. فما ان عرف بالحادث حتى اندفع هادراً بشاحنته في الطرق المتعرجة الوعرة الى هيوستن.

في العيادة أخبره دوران: "لقد نجحنا في اعادة الحياة الى قلبه." فتنفّس بيل عميقاً. وحين وصلت دون ضمها اليه وكلاهما يبكيان.

قال لهما دوران: "لا ترتعبا لدى رؤيته، فهو منتفخ وهذا أمر طبيعي، وفي رجليه بقع حمراء إذ حتى زجاجات الماء الفاتر تسبّب حروقاً حين تكون الحرارة ٢٤ درجة مئوية. لكنه حي يرزق وفي حال حسنة."

وفيما دخلا غرفة الطوارىء أمسكت دون بيد بيل. وكانت عينا الطفل مضمدتين بالشاش وشفتاه زرقاوين متورمتين ورجلاه حمراوين. وكان جسمه استعاد لونه الطبيعي. أخذت دون بيده فصدمت ببرودتها الشديدة. لكن ارتياح الطبيب كان ممزوجاً بالقلق على القلب والرئتين، اذ حين تبدأ بالعمل يحتمل حدوث صدمة وضغط داخلي قد يؤديان الى ارتكاسات مدمرة في الاعضاء والجهاز العصبي المركزي. فالطفل يحتاج الى معالجة طارئة اكثر تعقيداً مما يستطيعه أي طبيب عائلي.

اتصل دوران بمستشفى الاطفال في فانكوفر وطلب إرشادات وارسال طائرة اسعاف. فأشار عليه الدكتور روبرت أدلي المناوب في وحدة العناية الفائقة بأن يعطي بيلي عقار "بنكورونيوم" لشلّ عضلات التنفس وغيرها، لان هذا يجعل التهوئة الاصطناعية اكثر سهولة ويخفف التقلصات غير الطبيعية. وتعين على فريق دوران مواصلة تزويده الاوكسيجين وتدفئته حتى تصل طائرة الاسعاف.

طلب دوران من فرسان الشرطة الكندية أن يجلبوا له عقار بنكورونيوم من سيمنزز التي تبعد ٦٠ كيلومتراً. وفيما واصل فينيمور الضخ بجهاز التنفس اليدوي حافظ هارت على جريان السائل الدافىء عبر بطن بيلي. وكان دوران يتفحص باستمرار علامات الحياة لدى بيلي، وقلبه يخفق خشية كلما تقلب ضغط الدم. وقرابة الثالثة بعد الظهر تقلّص البؤبؤان في عيني بيلي الى حجمهما الطبيعي، مؤكدين وجود الحياة في قاعدة الدماغ التي تضبط الوظائف الآلية كالتنفس ومعدل نبض القلب وحركة العين. لكن بيلي بقي في غيبوبة. وكان هدف دوران ابقاء الولد في حال مستقرة كي لا يحدث طارىء يتلف أجزاء أخرى من الدماغ يتعذر شفاؤها.

في الرابعة الا ربعاً أخذ بيلي يضرب الهواء من وقت الى آخر بذراعه أو برجله بحركات لاإرادية توقفت حين أعطاه دوران جرعات من البنكورونيوم ضمن الوريد في فترات متقطعة. وكانت كل اشارات بيلي الحياتية طبيعية حين وصل فريق الاسعاف الطائر في الساعة ٦،٣٥. وشمل الفريق مساعدين طبيين وطبيب أطفال من وحدة العناية الفائقة في مستشفى الاطفال هو الدكتور تشارلز كولدويل واختصاصياً بمعالجة التنفس هو جيف فايكون.

لدى فحص الصبي قال كولدويل لدوران: "انني معجب جداً بعمل فريقك." وأمضى ٩٠ دقيقة يحضّر بيلي للرحلة مع فايكون، اذ ان استقراره كان أهم من سرعة نقله. فأبدل كولدويل أنبوب الرغامى في فم بيلي بآخر في أنفه بحيث لا يتعرض للازاحة خلال الطيران. وفي سبيل وقاية الحقن الوريدي أحدث شقاً في رسغ قدمه وأولج أنبوباً في عرق هناك كبديل من الذي في رقبته. وأجرى الفريق تدقيقاً تاماً لكي لا ينفصل شيء من مكانه أثناء نقل بيلي، لان بيلي في مصاف المرضى الاشد خطورة.

قبل مغادرة الفريق الطائر تكلم كولدويل الى بيل ودون: "ان حالة بيلي مستقرة لكنه لا يزال مريضاً جداً. فبعض الاولاد لا يبقون أحياء بعد الغرق، واذا نجوا فقد يصابون بتلف في الدماغ. لذا رأيت من واجبي أن أنبهكما."

فسألته دون: "هل يمكنني الذهاب معكم؟"

فأجابها: "انني آسف لان لا مكان لك معنا."

غادر فريق الاسعاف الطائر الى فانكوفر في الساعة ٨،٠٥ مساء. وخلال الرحلة التي استغرقت ٦٠ دقيقة كان أعضاؤه يراقبون تنفس بيلي ومعدل نبض قلبه وحرارته. وابقاه كولدويل في حالة شلل باعطائه بنكورونيوم. وباستخدام جهاز تنفس نقّال كان فاكون يكثّف تهوئته لخفض معدل ثاني أوكسيد الكربون في دمه. وقد وصلوا الى مستشفى كولومبيا البريطانية للاطفال في الساعة ١١،٤٥ مساء ونقلوا بيلي مباشرة الى قسم العناية الفائقة في أدرلي.

"انه جزء من روحي"

حالما علمت دون أن بيلي سينقل بالطائرة الى الجنوب اتصلت بوالدتها إليانور هولمز وهي عاملة صحية في مصح للمعاقين عقلياً في كاملوبس. فبادرت هذه الى حجز مقعد في طائرة الى فانكوفر، ووصلت الى هناك في التاسعة مساء وراحت تذرع غرفة الانتظار في المستشفى حتى منتصف الليل حين أفيدت: "ان حفيدك في غرفة العناية الفائقة." فاسترقت النظر وشاهدت بيلي مربوطاً الى شبكة من الانابيب يحيط به ستة أطباء. وجاءها أحدهم قائلا: "انه مستقر، لكننا لا نعلم ان كان سيعيش."

اتصلت الجدة بابنتها التي قالت: "سأركب أول طائرة متوجهة الى هناك." فتعهدت الجدة بالبقاء في المستشفى طوال الليل. وأعطيت غرفة قرب وحدة العناية الفائقة، وكانت تنهض كل ساعة وتسترق النظر الى بيلي فتجده بلا حراك مغمض العينين شبه نائم – أو قد يكون ميتاً. لكن الجدة قالت في نفسها: لو لم يكن هناك أمل لما كانوا يبذلون أقصى جهدهم.

لم تستطع دون النوم في بيتها. فأخذت تحشو حقيبتها بلعب بيلي وحرامه وبدمية كلب أهداها اليه أبوه عند ولادة براندون. ثم حزمت ملابسها وأخذت تذرع أرض المنزل حتى الصباح.

وفي الصباح اصطحبتها ايلين الى برنس جورج على بعد ٢٥٠ كيلومتراً شرقاً حيث ركبت طائرة الى فانكوفر في الساعة ١٠،١٠. وفي الطائرة تكوّمت في مقعدها وفي يدها حرام بيلي تحجب به وجهها ودموعها عن عيون الفضوليين.

وفي فانكوفر ركبت سيارة أجرة اوصلتها الى وحدة العناية الفائقة حيث كانت والدتها في انتظارها، وقد انهارت بين ذراعي والدتها التي قالت لها: "اعلمي يا ابنتي انه مريض جداً، لكنه مقاتل مثلك." واقتادتها احدى الممرضات الى بيلي وقالت لها: "تقدرين أن تمكثي معه ما شئت من الوقت."

كان بيلي لا يزال مشلولا ويتنفس اصطناعياً لمنع تورّم الدماغ. وكان مسجّى عاريا على بطانية تبريد للحفاظ على حرارته بدرجة ٣٦،٤ مئوية. وكان جهاز التنفس ينقل اليه ٨٠ في المئة أوكسيجيناً من منخر، وفي المنخر الآخر أنبوب امتد الى المعدة أولج فيه دواء مضاد للحموضة في معدته. ووضع على صدره جهاز لمراقبة القلب، وفي معصمه الايمن أنبوب شرياني، وفي رقبته وذراعه اليسرى ورسغه الايسر أنابيب وريدية تحمل اليه التغذية والمورفين وعقار "ديازيبام". وكانت زجاجات الماء الفاتر في هيوستن سببت له حروقاً شديدة في ربلتي ساقيه. لكن امه ذكرت نفسها ان هذه كانت ثمناً زهيداً لاحيائه.

أمسكت دون بيد بيلي وهمست: "اني أحبك يا بيلي، لا تخف، سيكون كل شيء على ما يرام." وقالت في نفسها: أنا أعرف أنه لا يقدر أن يسمعني، ولكن ربما أدرك أنني هنا معه.

في صباح اليوم التالي قال لها أدرلي: "يتوقف شفاء بيلي على ما حدث له في البئر وكيف كانت استجابة جسمه، فتلك أمور تفوتنا معرفتها. إنما لا بد من أن يكون دماغه برد قبل أن يتوقف قلبه، فلولا ذلك لما كان حياً. لقد كان حظه كبيراً الى الآن، ونرجو أن يبقى كذلك."

استمعت دون الى طمأنة أدرلي بامتنان، لكنها أحسّت بدهشته لكون ولدها بقي حياً. فتمتمت: "يا الهي، لا تدع بيلي يعود الى أحضان الموت."

كانت دون لا تزال بجانب ولدها في العاشرة ليلا. فقالت لها أمها: "إنك في حاجة الى الغذاء والنوم يا دون." وكان أحد العاملين الاجتماعيين هيأ لهما غرفة في النزل التابع للمستشفى. وفيما خرجت بها والدتها من الغرفة احتجت قائلة: "لكني لا أستطيع مفارقته يا أمي."

جلست دون طوال النهار التالي الى جانب بيلي تكلمه برفق: "أمك هنا يا بيلي، كذلك جدتك ووالدك وبراندون. جميعنا نحبك ونريدك أن تعود الى البيت." وراحت تكرر أسماء أنسباء كثيرين يفتقدونه وذكريات حلوة وأغنيات وتهويدات طفولية سعيدة.

وفيما كان أدرلي يدقق بصورة منتظمة في مؤشرات الحياة لدى بيلي دهش اذ وجد خطوط مرسمة موجات الدماغ (٢) أكثر انتظاماً مما كان يتوقع. فقال في نفسه: لعل عجيبة حدثت عندنا.

صباح الجمعة في الساعة ١١،٠٨، بعد مرور ثلاثة أيام على الحادث، أوقف أدرلي حقن عقار بنكورونيوم. وبدأ بيلي يفيق تدريجاً وفتح عينيه، فخفق قلب دون. انما نظراً الى الحد الادنى من الاستجابة لديه عرف أدرلي أن العجيبة لم تتم، فقال لأمه: "بعد كل الذي تعرّض له تبدو حاله حسنة، لكن تلف الدماغ قد يكون شديداً. فعلينا الآن أن نفكر في نوعية حياته."

أجابته: "يكفيني أنه بقي حياً." لكن ارتياحها كان مشوباً بالخيبة، لأنها مع ادراكها

(٢) Electroencephalograms

أن بيلي قد لا يشفى كلياً فانها كانت في قرارتها تصلي لكي تحصل أعجوبة.
كانت دون صغيرة القامة، نحيفة، ووجدت صعوبة خلال حمل طفليها، فقد ولدا بجراحة قيصرية. وهي حين رأت بيلي بعد ولادته وحملته تملكتها نشوة وقالت في نفسها: انه جزء من روحي. والآن صممت على أن تكون حياته سعيدة وان تكن مختلفة.

لم يكن ذلك تصميماً فارغاً، فقد خبرت تأثير تلف الدماغ اذ انها وهي في الرابعة عشرة من عمرها عملت كمتطوعة في كاملوبس. وبعد تخرجها في المدرسة الثانوية تابعت مقرراً مدته عشرة أشهر وتأهلت كعاملة للعناية بالاولاد. وعملت في كاملوبس الى حين ولادة بيلي في ٨ فبراير (شباط) ١٩٨٣. ثم وجد زوجها بيل عملا في الشمال فانتقل والعائلة الى بيرو.

بسمة على شفتيه

مساء أول يوم جمعة بعد الحادث طار بيل الى فانكوفر مع براندون. وخيل اليه أن بيلي عرف صوته. ومع أن دون كانت مفعمة بالآمال فقد قالت لزوجها: "إنك غير واقعي."

أجابها: "انني مثقل بالالم أيضاً."

وقالت لها أمها بعد ذلك: "كوني شاكرة لأن زوجك متفائل، فبعض الازواج قد يقولون لك ان بيلي عاجز عن سماع صوتك، فهلمّي الى البيت واعتني بي وببراندون. إنما بيل يقدّر ما تفعلينه."

في عطلة نهاية الاسبوع تلك بقي بيل مع بيلي ليتسنى لدون قضاء الوقت مع براندون.

وحالما شفي بيلي من الشلل بدأ يتحرك على نحو تشنّجي مثلما توقّع أدرلي. أخذت أطرافه تضرب الهواء، ثم تهدأ متوترة استجابة لرسائل غير طبيعية من الدماغ المعطوب. وحين نزع عنه جهاز التنفس وحملته دون بين ذراعيها أخيراً، أخذ جسمه ينتفض وبدت عيناه زجاجيتين وكان يئن انينا متواصلا كالبكاء انما غير مصحوب بدموع.

بعدما نجا بيلي من خطر الموت نقل في ٣٠ أكتوبر (تشرين الاول)، بعد سبعة ايام من الحادث، الى جناح الحالات العصبية. وأزيلت من جسمه كل الاجهزة والادوات المساندة باستثناء الانبوب الممتد من الانف الى المعدة والذي يزوده الغذاء والفيتامينات والمضادات الحيوية لمنع العدوى والادوية المسكّنة لتخفيف آلامه. كانت رجله اليسرى لا تزال ممدودة جامدة واليمنى مطويّة بشدة على بطنه. وكان ظهره مقوّساً وساعداه متصالبتين فوق صدره وقبضتاه مطبقتين. وتوقفت تشنجاته وأنينه أثناء نومه. عندذاك كان يبدو هادئاً وكأنه في أتم حال، ما أيقظ في دون أملا بشفائه وأمدها بالقوة للبقاء الى جانبه ١٢ ساعة يومياً وهي تغني له وتتكلم اليه ممنّية اياه بالشفاء والعودة الى البيت.

حين رجع بيل الى فانكوفر يوم الجمعة التالي حدّق اليه بيلي لبضع ثوان. فقال لدون التي غلب عليها البكاء: "هل رأيت ذلك؟ لقد تبسّم!" وتساءلا لاحقا عما رأيا من بيلي، أكان حقيقياً أم من نسج خيالهما؟ لكنهما كانا متيقنين من رؤيتهما في عيني بيلي الجامدتي النظرات ومضة ابتسامة.

هذه المرة تركت دون براندون في عهدة إيلين لكي يتسنى لها أن تخرج قليلا. إنما كان عليها طوال نهاية الاسبوع تحاشي مراسلي الصحف ومصوري التلفزيون. كانت تتضايق من الحاح فرق التلفزيون في متابعة أخبار بيلي ومن عناوين الصحف التي جاء فيها: الطفل الميت قد يسعده الحظ فيعيش. واقترحت ادارة المستشفى عقد مؤتمر صحافي. وفي هذا المؤتمر واجهت دون المراسلين برباطة جأش وقد بذلت أقصى جهد لضبط مشاعرها، وقالت لهم: "كل رجائي هو أن يعود بيلي قادراً على أن ينعم بالحياة، وكل تحسن آخر نعمة فائضة."

قلة من الذين شاهدوا دون وهي تتكلم في التلفزيون رأوها على وشك الانهيار. كانت تشدد عزيمتها بالعناية بشؤون بيلي. وبيّن لها أحد الاختصاصيين بالمعالجة الفيزيائية كيف تغير وضعه لتخفيف شدة تشنجاته. وكان لا يزال يغذى بواسطة الانابيب، لكنها أقنعت الممرضات بالسماح لها باعطائه نقطاً قليلة من الماء والعصير بواسطة محقنة ورشفات من اللبن تعلّم أن يمتصها.

وجاء بيل في نهاية الاسبوع التالي ومعه براندون، فأصرت دون على أن يبقيه معها قائلة: "انني في حاجة الى بعض الحياة الطبيعية."

فقال لها بيل: "الديك ما يكفيك من العمل والهم، واذا بقي براندون معك فذلك يزيد قلقي على ثلاثتكم." ولكن كان لها ما أرادت، وقدمت المستشفى عربة وسجادة وضعتا الى جانب سرير بيلي ليتسنى لبراندون اللعب والنوم. وعادت أم دون الى عملها في كاملوبس، وكانت دون مغتبطة لوجود طفلها معها ليؤنسها ببهجته ومرحه.

كان بيلي لا يزال معرضاً للتشنجات، يئن ويظهر استجابات أساسية فقط. وكانت دون ترهب عملية كشط الجلد المحروق عن ربلتي ساقيه حتى ينكشف لحمه الاحمر الحيّ. وفي ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) بعد عملية كشط تامة وبعدما أصبح قادراً على تحمل المخدر، طعّم أحد جرّاحي التجميل ربلتيه بجلد نزع من فخذه الايمن، وغلّف رجليه بقالبي جصّ من أعلى الفخذ حتى أصابع القدمين.

بعد ستة أيام أزيل القالبان، وكان صوت المنشار وهو يقطع الجص يروّع دون. لكن الاطباء طمأنوها الى أن صراخ بيلي وتوثبه بسبب صوت المنشار كانا استجابة طبيعية ما يؤكد أن عملية التطعيم نجحت.

بعد ذلك أصبح بيلي مهيأ للانتقال الى مستشفى سوني هيل، وهو مركز لتأهيل الاولاد المصابين بتلف شديد في الدماغ. وكانت دون متيقنة من أن اقامة بيلي هناك ستكون قصيرة، لكن أدرلي حذرها: "انه لا يتحسّن بمقدار ما كنا نتوقع، فعليك وزوجك ألا تبالغا في التفاؤل."

كانت السيدة هولز تعضد ابنتها في تصميمها، وهي قالت لها: "لا أنت ولا بيل ولا أنا يمكن أن نستسلم. انت مع بيلي كل يوم، وستشاهدين اولى علامات الشفاء."

وحين نقل بيلي الى مستشفى سوني هيل في ٥ ديسمبر (كانون الاول) عزز أطباء الاطفال هذه الكلمات. فعلى رغم تشنجاته وبكائه الغامض من دون دموع، وكون ذلك دليلا على تلف شديد في الدماغ، فقد رأوا أن بقاء دون مع بيلي قد يساعد في تحسّن حاله. فاتخذت دون مقراً لاقامتها في نزل للوالدين في جوار المستشفى.

أثناء تجوال بيلي في أرجاء المستشفى في كرسي خاص صمم لسند ظهره، لاحظت دون ومضات خافتة تدل على تيقّظ عقله. ففي غرفة اللعب بدا كأنه يسمع ثرثرة ببغاء. وذات يوم فيما كانت تدور حوله راح يتبعها بعينيه، وذلك يدل على تقدم حقيقي. فهتفت دون: "بيلي، إنك تتطلع الى أمك!"

دموع حقيقية

أظهرت استجابات بيلي أن قسماً من دماغه على الاقل كان في حال تمكنه من التعلّم. وحين التقت دون الفريق الطبي في ١٩ ديسمبر (كانون الاول) للتباحث في شأن تقدم بيلي، أفادت الاختصاصية بالمعالجة الفيزيائية كريستنا نلسون أنه كان يتعقبها بعينيه وكان يلاحظ الالوان الزاهية. ولاحظ طبيب الاطفال ملفن دو ليفي أن بيلي يغار حين تحمل دون براندون، وذلك أمر طبيعي. وكان جسم بيلي يزداد رخاوة وخفت تشنجاته، واقترح على دون أن تمرّنه في بركة المستشفى لتنشيط عضلاته.

بعد أسبوعين كوفئت دون بمفاجأة أخرى اذ تبسّم لها بيلي عندما انحنت فوقه وهي تدفع كرسيّه في المستشفى. فكادت لا تصدق ما رأت، وسألت امرأة مسنّة كانت الى جانبها: "أحقيقة تبسّم ولدي أم انني واهمة؟"

فأجابتها المرأة وقد أخذتها الدهشة: "بكل تأكيد، أنا رأيته يتبسم."

وحين تكلم أحدهم من ورائهما رفع بيلي رأسه ومال بجسمه متابعاً مصدر الصوت.

في اليوم التالي بعد تمرين السباحة غنّت له دون احدى أغنياته المفضّلة. ولدى سماعها انفجر بيلي باكياً، وتلك كانت أولى دموع يذرفها منذ وقوع الحادث. فانتزعته دون من الكرسي وركضت به في المستشفى هاتفة: "لقد ذرف دموعاً حقيقية!"

ومنذ ذلك اليوم بات بيلي يسكب دموعه بحرّية. انما في نهاية يناير (كانون الثاني) كان زاد ابتسامه وقلّ بكاؤه وباتت دموعه تنسكب في الاوقات المناسبة. وفي ٥ فبراير (شباط) قهقه حين دغدغت دون كتفه، ثم شهق متعجباً من ذاته. وبدأت دون تسلّيه بألعاب طفولته، واستطاعت بذلك أن تجعله يضحك ويبتسم.

في أوائل مارس (آذار) أخبرت دون الفريق الطبي أنها ترغب في أخذ بيلي الى البيت في نهاية الشهر. لكن أعضاء الفريق رأوا أنه سيكون من الصعب على دون معالجة بيلي لوحدها في بلدتها الصغيرة النائية. الا انهم احتراماً لارادتها قبلوا بقرارها، وعلمتها الاختصاصية بالمعالجة الفيزيائية بعض التمارين والالعاب. وفيما

دون وزوجها يحزمان أمتعتهما للرحلة، خشخشت مفاتيح الشاحنة أمام بيلي فامسكها بيده اليسرى.

كانت دون مرتاحة لانهم لم يكونوا عائدين الى منزلهم السابق المليء بالذكريات المؤلمة، بل نقلوا الى مسكن مجاور لايلين وديل. وكانت دون تحمل بيلي في أرجاء البيت من غرفة الى غرفة وهي تقوم بأعمال الطهو والتنظيف، وتسنده بالوسادات لانه كان لا يزال عاجزاً عن الجلوس. ومرة في الاسبوع كان يأتي مستشار في شؤون تنمية الاطفال فيساعد دون في تمرين عضلات بيلي ويحضر ألعاباً لتقوية حركاته ورؤيته. وقد تعلّم بيلي وبراندون الزحف معاً. فكان براندون، وعمره ثمانية أشهر، يزحف على يديه ورجليه فيما كان بيلي يرمي بيديه الى الامام ويجر رجليه. وحين استعاد قوته بات يقف عندما يمسك يد أبيه أو أمه. ولما رجع الى فانكوفر في يونيو (حزيران) سر الفريق الطبي لتقدمه. وقال آدرلي لزملائه وهو يحتضنه جذِلا: "أنظروا الى بيلي بليك!"

مساعدة الأخ الصغير

كانت يد بيلي اليمنى تأثرت بالتلف الذي أصاب الدماغ، الا أنه تعلم استخدام يده اليسرى بحركات تشنجية. وفي أغسطس (آب) أصبح براندون قادراً على الوقوف بمفرده ومساعدة بيلي على الوقوف بعد ذلك بشهر. وهو علّم بيلي أن يصعد الدرج زحفاً.

لكن بيلي ظل عاجزاً عن الكلام، وكان تشنجياً. وبدأت دون تعي أنه سيبقى مصاباً ببعض العوائق. وهي أمضت معه أكثر من خمسة أشهر مترجحة بين اليأس والامل، تستمد القوة من محبتها لولديها ولزوجها. لكن ما عانته استنزف قواها عقلياً وجسدياً حتى باتت عاجزة عن مقاومة اليأس الذي اعتصر قلبها وكيانها.

وفيما اقتربت الذكرى السنوية الاولى للفاجعة طغت على العائلة ذكريات مؤلمة. ولم يكن بيل قادراً على التحدث عنها.

وقالت دون: "انني لا أستطيع البقاء هنا." واصطحبت ولديها جنوباً الى إندربي على بعد ألف كيلومتر لتقيم مع صديقة قديمة كانت تعلم ما قاسته دون من حزن وكبت وعذاب حين كان بيلي في المستشفى.

مساء ٢٢ أكتوبر (تشرين الاول) ليلة الذكرى السنوية الاولى للحادث اتصلت دون بزوجها لتقول له: "لست مهيأة بعد لاعود الى البيت." فنزلت عليه كلماتها نزول الزلزال المدمّر، فقاد سيارته طوال الليل الى إندربي وفي الصباح عاد مع زوجته وولديه الى البيت.

تعلم بيلي أن يزحف على أطرافه الاربعة ويمشي بضع خطوات ويمسك كوباً ويأكل بالملعقة. وكان فهمه جاوز قوة تحركه فبات يشعر بالخيبة لعجزه عن الكلام. لكن أفكاره كانت تشعّ في عينيه البنيتين، وكان فمه يلتوي وهو يجاهد لنطق كلمة، وأخيراً يرتفع صوته فيلفظ المقطع الاول منها. وكانت أمه تنتظر صابرة الى أن يتمكّن من لفظ كلمة مثل "حليب" أو "عصير" أو "كعك" قبل أن تعطيه ما يريد. وجعلت التعليم جزءاً من


بيلي مع أمه في صورة حديثة.

حياتها. وفيما كانت تغسل الصحون كان بيلي يتعلم عدّها على لوح التجفيف. وكل نشاط حولته لعباً، مشجعة بيلي على تعيين أسماء الاشياء والالوان وتمرين طاقات تحركه.

عندما بلغ بيلي الثالثة من عمره أُدخل حضانة خاصة في سيمذرز. وكانت دون تقود سيارتها مسافة مئة كيلومتر الى الحضانة مرتين في الاسبوع لكي يمضي بيلي خمس ساعات في برنامج للاولاد المعاقين. وقد تأثرت المديرة بوليت ماكفيليفراي بطبيعة بيلي المشرقة وتصميمه. وكان تنسيقه لا يزال ضعيفاً، ومع ذلك كان يثابر نصف ساعة ليتعلم التحكّم بلعبة عصت عليه. وبعد كل نجاح كان وجهه يشع بابتسامة كمن يقول: ها اني نجحت.

وكل بضعة أشهر كانت دون تأخذ بيلي الى مستشفى سوني هيل في فانكوفر لفحصه. وقد أفاد أطباؤه أنه يتقدم باطراد. وهو تمكن من أن يتعلم أشغالا ماهرة وأفكاراً فاقت تلك التي كان يعرفها قبل ٢٠ شهراً. وكانت قدرته على الاستيعاب والفهم أكبر من قدرته على التعبير. وسر الدكتور دو ليفي لرؤيته مبتهجاً وقادرا على الاتصال بواسطة عينيه ونطق بضع كلمات.

نعمة الحياة

الرجال الذين أنقذوا بيلي يتعجبون لشفائه. قال وين هولز: "لم يكن لدي أي أمل في انقاذه، ولكن كان علي أن أحاول. ولا أصدّق أنه بلغ هذا الحد في الشفاء، وأرجو أن ينعم عليه بالشفاء التام."

وعندما وقع الحادث كان بارم بريهار ينتظر عودة زوجته من الهند. وحال وصولها كان أول ما قالته: "أريد أن أرى بيلي بليك."

ليلة نقل بيلي في الطائرة الى فانكوفر لم يتمكن لويس آركي من الاكل أو النوم. وقال: "خلال سبع سنوات في عملي كمتطوع كانت نجاة بيلي أعظم مكافأة لي. قد تنقضي سنوات، لكني أعتقد أنه سيتغلب على عوائقه ويعيش حياة طبيعية كاملة."

وتعيش العائلة حالياً في مدينة فيكتوريا حيث يتردد بيلي على مركز ج.ر. بيركس للاولاد. هناك يتلقى علاجاً فيزيائياً وعملياً وكلامياً.

Photo: Gerry Kahrmann / Vancouver Province

تقول والدته دون: "سيظل يجد بعض الصعوبة في الكلام والمشي كمن أصيب بشلل خفيف في الدماغ، ولكن في استطاعته الآن رصف جملة متكاملة، وهو يقدر أن يمشي مستعيناً بعربة أطفال ويخطو بعض الخطوات بمفرده. يودّ أن يعامل كولد طبيعي. وهو عنيد ومثابر وطويل الأناة فلا يكف عن المحاولة. ان الناس يترقبون حدوث عجائب، لكن بيلي أسبغت عليه نعمة الحياة مرتين."

يقول الدكتور أدرلي: "ان بيلي بليك حي اليوم بفضل جهود الاشخاص الذين شهدوا الحادث: المنقذين ورجال الشرطة ورجال الاسعاف والفريق الطبي في مستشفى هيوستن، كلهم قاموا بعمل رائع."

وبيلي الان في حال أفضل كثيراً مما كان يرجى له بفضل تفاني أمه ولهفتها في العناية به. وكأن حنان الامومة وتضحيتها شعلة ايمان تحقق من آيات الشفاء ما يعجز عنه الطب.

يانيس تيرويت ■
ترجمة الياس عقل



خطوط الاطباء

خلال دراستي في كلية التمريض رحت أفك ذات يوم "رموز" طلب لاجراء فحص بالموجات فوق الصوتية. كان خط الطبيب كاتب الطلب مروّعاً، ولم أتمكن من تحديد العضو المطلوب فحصه بسبب رداءة الخط. عرضت معضلتي على مدرّستي التي راحت تقلب الرأي في هذه الكتابة "الهيروغليفية" ثم قالت: "مفتاح السر هنا، على الهامش، حيث رسمت كبد."

ولحسن الحظ سمعت احدى الممرضات هذه الملاحظة فتدخلت قائلة: "هذا امضاؤه! "

ج. ت.

شمس الريف

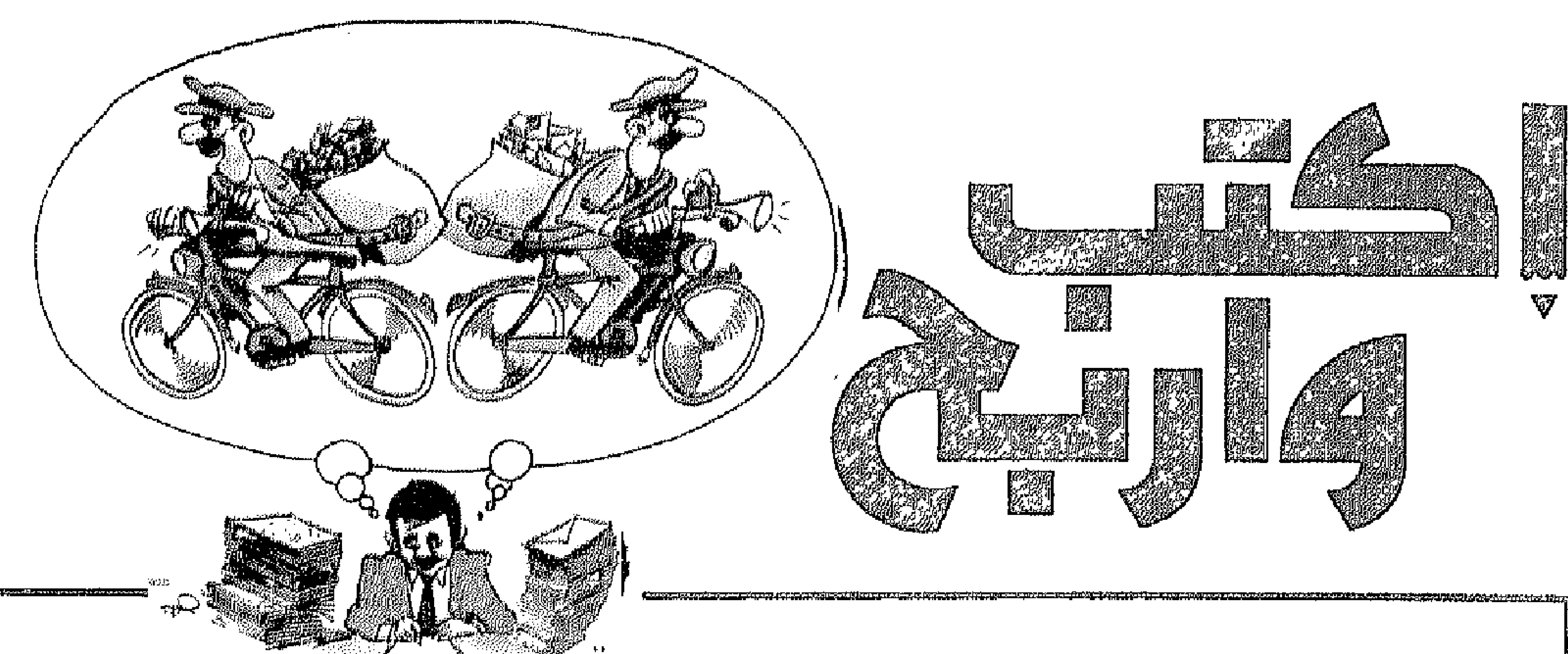
نشأ زوجي في الريف. لذلك كنت أعجب لماذا لا يثيره شروق الشمس البديع، مثلي. فجاء الشرح من صديق نشأ هو أيضاً في الريف: "لعله يتذكر شروقات كثيرة من فوق ظهر بغل."

أ. هـ.

سبحان مقسّم العقول الذي أرضى كل انسان بحصته.

مثل اسباني

اكتب واربح



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

* كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة
* كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
* ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
* ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملا. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصا اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
* تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
* لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
* لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي،



"سيدة المظلة" للرسام الامريكي كارل ألبرت بوير